الصحيح من الأثر في خطب المنبر

الجزء الثاني

تأليف
أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي
غفر الله له ولسائر المسلمين

طبعة جديدة منقحة ومزيدة

دار الإيمان
إسكندرية

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي
الصحيح من الأثر في خطب المنبر
دار الإيمان
إسكندرية

الخطبة الأولى

نواقـض الإسـلام

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ -ﷺ-، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، حَديثي مَعَكُمُ اليومَ حَوْلَ نَواقِضِ الإِسْلاَمِ.

وَهِيَ عَشَرَةَ نَواقِضَ، أَجْمَعَ المُسلمون عليها في الجُمْلَةِ، وهي:

الأَوَّل -الشِّرْك فِي عِبادَةِ اللَّه.

الثَّـانِي - من جَعلَ بينه وبين اللَّه وسائط ، يدعوهم ، ويسألهم الشفاعة ، ويتوكَّل عليهم - كفر إجماعًا .

الثالث - من لم يُكفِّر المشركين ، أو شكَّ في كُفرهم ، أو صحَّحَ مَذْهَبَهُم - كفر .

الـرَّابـع - مَن اعتَقَدَ أنَّ غَيرَ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ أكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ ، أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ : كالذي يُفَضِّلُ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَىٰ حُكْمِهِ - فهو كافر .

الخـامس - من أبغضَ شَيئًا مِمَّا جَاءَ بِه الرسولُ ﷺ ولو عمل به - كفر باتِّفَاقِ العلماءِ .

السـادس - مَنِ استهزأ بشيء من دين الرسول - ﷺ - ، أو ثوابه ، أو عقابه - كفر إجماعًا .

السابع - السِّحْرُ ، ومنه الصَّرْفُ والعَطْفُ ، فمن فعلهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ كفر .

الثامن: مظاهرةُ المُشْرِكِين ، ومعاونتهم علىٰ المسلمين .

التـاسع - مَنِ اعتقدَ أنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عن شريعة محَمَّدٍ - ﷺ - كَمَا وَسعَ الخَضِرَ الخُروجُ عن شريعة مُوسىٰ - عليه السلام - فهو كافر .

العاشر - الإعراض عن دين اللَّه - تعالىٰ - : لا يتعلَّمه ، ولا يعملُ به .

أَيُّهـا الناس، تلك عَشَرةُ نواقضَ ، لَخَّصها الإمامُ محمَّدُ بن عبد الوَهَّابِ - رحمه اللَّه - من كلام أهل العلم ، وقد أجاد وأفاد ، ومن المعلوم أنَّ نواقضَ الإسلام أكثر من ذلك ، لكن كُلّ النواقضِ مرجعُها إلىٰ هذه العشرة .

ونواقضُ الإسلامِ: هي مُفْسِدَاتُهُ التي متىٰ طَرَأَت عليه أفسدته ، وأحبطتْ عمَلَ صَاحِبِهِ ، وصار من الخالدين في النار .

أيُّها الناسُ، سوف أشرحُ لكم هذه النواقضَ بشيءٍ من التفصيل، فأعيروني أسماعَكُمْ.

النَّاقضُ الأوَّلُ من نواقض الإسلام ـ هو الشِّركُ في عبادة اللَّه، وهو أعظم ذنبٍ عُصِيَ اللَّهُ به، وكيف لا يكون كذلك، وقد جعل للَّهِ شريكًا في عبادته، وقد أوجده من العدم، وغَذَّاه بالنعم؟!

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

والشِّرْكُ ـ أيها الناسُ ـ ينقسم إلى قسمين:

١ ـ شرك أكبر.

٢ ـ شرك أصغر.

القسم الأول ـ الشرك الأكبر: لا يغفره اللَّه إلا بالتوبة، وصاحبُه إن لقي اللَّه به، فهو خالدٌ في النار.

وهو على أربعة أنواعٍ:

النوعُ الأوَّل ـ شرك الدعوة، دليله قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا

---

(١) انظر البيان شرح نواقض الإسلام لسليمان العلوان

اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

النوع الثاني ـ شِرْكُ النِّيَّة، والدليل قول اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

وهذا ـ أي شِرْكُ النِّيَّة ـ إنَّما جُعِلَ شِرْكًا أَكْبَر محمولاً علىٰ من كانت جميعُ أعماله مُرادًا بها غَيْرُ وَجْهِ اللَّه، أَمَّا مَنْ طرأ عليه الرِّياء، فهو شرك أصغر.

النوع الثالث من أنواع الشِّرْك ـ شِرْكُ الطاعة، وهي طاعةُ الأحبار والرُّهبان في معصية اللَّه، ويدخلُ في ذلك مَن اتَّبع غَيْرَهُ من المسلمين في خلافِ الدِّين مع علمه بذلك، واعتقد ذلك، والدليل قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [براءة: ٣١].

النوع الرابع من أنواع الشرك ـ شِرْكُ المحبَّة، والدليل علىٰ ذلك قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فالإنسان ـ لجهله بربِّه ـ تجدُهُ يحبُّ الآلهة من الأصنام وغيرها كحبِّ اللَّه، ويغضبُ لها أشدَّ من غضبه للَّه.

بل ومن الناس من يكون حُبُّهُ للوالي كحبِّه للَّه، ويستبشرُ بذكره ما لا يستبشر للَّه، وهذا شِرْكٌ أَكْبَرُ مُخرجٌ من الإسلام، قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ

يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزُّمَر: ٤٥].

ومــن الشرك الأكبر - أيُّها الناسُ - الذَّبْحُ لغير اللَّه؛ لأنَّ الذَّبْحَ للَّه عبادة، قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

وقال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]. فمن ذبح للأولياء أو للجنِّ فقد خرج عن الإسلام.

القسم الثاني من أقسام الشِّرك - الشِّرْك الأصغر، وصاحبه إن لقي اللَّه به، فهو تحت المشيئة، إن شاء اللَّه عفا عنه، وأدخله الجَنَّة، وإن شاء عذَّبه، ولكن مآله إلىٰ الجَنَّة، لأنَّ الشِّرْك الأصْغَر لا يُخْلِدُ صَاحِبَهُ فِي النَّارِ.

ومن أنواع الشِّرْك الأصغر: الحَلفُ بغير اللَّه، ومنه يسير الرِّياء والتصنع للخلق، وهذا القسم - أيُّهَا النَّاس - بَحْرٌ لا ساحِلَ له، فيجبُ علينا التفقُّهُ في هذا الباب.

أيُّها الناس، لقد أطلتُ فِي ذكر الناقض الأوَّل من نواقض الإسلام، وما ذاك إلاَّ لعظيم خطره علىٰ الأُمَّة.

والآن مع الناقض الثاني - وهو من جعل بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وسائطَ، يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكَّل عليهم - كفر إجماعًا.

وهذا - أيُّها الناسُ - من أعظم النواقض وقوعًا، فكم من الناسِ مَنْ يَتَّخذون وسائطَ، يدعونهم للمُلِمَّات، وإغاثة اللَّهفَان، وتفريج الكُرُبات، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين. والقرآن يدعو إلىٰ إخلاص العبادة للَّه وَحْدَهُ، وعَدَمِ جَعْلِ الوسائط بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقه، قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ

﴿يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أَيُّهَا النَّاسُ، لعل في هذا القدر كفايةٌ لِمن كان له قلبٌ.

والآن مع الناقض الثالث من نواقض الإسلام - وهو من لم يُكَفِّر المشركين، أو شكَّ في كفرهم، أو صحَّحَ مذهبهم.

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الإسلام لا يكتفي بعصمة دَم المسلم أن يقول: لا إله إلاَّ اللَّه، بل لا بُدَّ أنْ يُضيفَ إليه الكُفْرَ بما يُعْبَدُ من دون اللَّه، فإن لم يَكْفُرْ بما يُعْبَدُ من دُونِ اللَّه، لم يَحْرُمْ دَمُهُ ومالُهُ، والسيفُ مسلول عليه.

ففي صحيح مسلمٍ[1] من حديث معد بن طارقٍ عن أبيه - رضي اللَّه عنهما - قال: سمعتُ رسولَ اللَّه - ﷺ - يقول: «مَنْ قالَ: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّه - حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وحسابُهُ علَى اللَّه».

وربُّنَا - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

أَيُّهَا الناسُ، هذه هي مِلَّة إبراهيمَ التي مَنْ رغب عنها، فقد سَفِهَ نَفْسَهُ.

وقال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قال أحد العلماء: ووصفه بالطاغوت: أنْ تعتقد بُطلانَ عبادةِ غير اللَّه، وتتركها، وتبغضها، وتكفِّرَ أهلَها، وتُعادِيَهُمْ.

---

(١) رواه مسلم (٢٣).

الناقض الرابع من نواقض الإسلام ـ مَن اعتَقَدَ أنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبيِّ ـ ﷺ ـ أَكْمَلُ من هَدْيِه، أَوْ أَنَّ حكمَ غَيْرِه أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِه: كَالَّذِي يُفَضِّلُ حُكْمَ الطواغيتَ عَلَىٰ حكمه.

وما من شكٍّ ـ أَيُّهَا الناسُ ـ أنَّ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ أَكْمَلُ الهَدْيِ؛ لأَنَّهُ وَحْيٌ يُوحَىٰ إليه؛ كما قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤].

فمن اعتقد أنَّ هَدْيَ غَيْرِ النبي ﷺ أكملُ من هديه فقد كفر إجماعًا.

وكذلك مَنِ اعْتقد أنَّ حكمَ غَيْرِهِ أَحسن من حكمه، فقد كفر بإجماع أهل العلم.

فعلىٰ المسلم أنْ يعتقدَ اعتقادًا جازمًا أنَّ حكمَ اللَّهِ ورسولِهِ مُقَدَّمٌ علىٰ كُلِّ حكمٍ، فذلك مقتضىٰ شهادة أن لا إله إلا اللَّه.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

وأقسم اللَّهُ ـ سبحانه وتعالى ـ بنفسه أنهم لا يؤمنون، حتى يستكملوا ثلاثةَ أشياء:

١ ـ أن يحكموا الرسولَ ﷺ في جميع الأمورِ.

٢ ـ ألاَّ يجدوا في أنفسهم حَرَجًا مِمَّا قضىٰ به.

٣ ـ أنْ يُسلِّموا تسليمًا كاملاً لحكمه.

فقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

الناقض الخامس من نواقض الإسلام ـ من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ ولو عمل به ـ كفر باتفاق العلماء.

أيُّهَا النَّاسُ، ما فائدة الإيمان بما أُنزل على الرسول، والقلبُ يَكْرَهُ ذلك؟!، أليس هذا هو غايةُ الكفر والضلال؟!

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ حاكمًا بكفر من كره ما أنزل على رسوله ـ ﷺ ـ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمَّد: ٨، ٩].

وكُلُّ من كره ما أنزل اللَّه، مثل: حكم السارق، وحكم الزاني، وغير ذلك من الأحكام ـ فعمله حابط، وإن عمل بما كره، كما قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨].

وأستغفرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية

نواقض الإسلام

إنَّ الحمد للَّه، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفِرُهُ، ونَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شُرورِ أنفسِنَا، ومنْ سَيِّئاتِ أَعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ، فَلا مُضلَّ له، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَه، وأَشْهَدُ أنْ لا إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَد ذكرتُ في الخُطْبَة الأولى خَمْسَةَ نواقِض من نواقضِ الإسلامِ، وفي هذه الخُطْبَة أستكملُ ما بدأتُ به، راجيًا من اللَّه - سبحانه وتعالى - العون والسَّدَادَ، فهو - وَحْدَهُ - الهَادي إلَىٰ سَبيل الرَّشادِ.

النَّاقضُ السادسُ من نواقض الإسلام - مَنِ استهزأ بشيء من دين الرَّسُول - ﷺ -، أو ثوابه، أو عقابه - كفرَ بإجماع المُسلمين، ولو لم يقصدْ قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

فمن استهزأ بشيءٍ مِمَّا جاء به الرسولُ ﷺ: كالاستهزاء بالعلم الشرعيِّ، وأهلِهِ لأجلِهِ؛ وكالاستهزاءِ بثواب اللَّه وعقابِهِ، والاستهزاء بالآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكرِ من أَجْلِ أمرِهِمْ بهِ، أو نهيهم عَنْه كَفَرَ بالإجماع.

وقد نُقِلَ عَنْ بعضِ أَهْلِ العِلْمِ أنَّه من قال لمنْ يأمرُ بالمعروفِ: يا فضولي - من أجل أمره - فقد كفر.

ويدخل في ذلك من استهزأ بالصلاةِ، سواء كانتْ نافلَةً أو فريضة، وكذلك

الاستهزاءُ بالمُصلِّين لأجل صلاتهم، وكذلك الاستهزاء بِمَنْ أعْفَىٰ لِحيَتهُ لأجل إعفائها، أو بتارك الرِّبا لأجلِ تركِهِ ـ فهو كافر.

الناقض السابع من نواقض الإسلام ـ السِّحْرُ، ومنه الصَّرْفُ والعَطْفُ، فمن فعله ـ أو رضي به ـ كفر، والدليل: قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقد ذهب جمهورُ أهل العلم إلىٰ كُفْرِ السَّاحِرِ، وذهبوا إلىٰ قَتْلِهِ حَدًّا.

قال العلاَّمة حافظ حكمي ـ رحمه اللَّه ـ: «كُلُّ مَنْ تَعلَّم السِّحْرَ أو علَّمه، أَوْ عَمِلَ بِهِ ـ يَكفُرُ، كَكُفْرِ الشَّيَاطِينِ الَّذين علَّموه النَّاسَ؛ إذْ لا فَرْقَ بيْنَهُ وبيْنَهُمْ، بل هو تلميذُ الشيطانِ وخرِّيجُهُ، عنه روىٰ، وبه تخرَّج، وإيَّاه اتَّبَعَ».

الناقض الثامنُ من نواقضِ الإسـلام ـ مُظاهرة المشركين، ومعـاونتُهم على المسلمين، والدليل قول اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وهذا الأمر ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ ممَّا عمَّتْ به البَلْوَىٰ، وما ذاك إلاَّ بسبب الإعراضِ عَنْ تَعلُّم العُلُومِ الشَّرعيَّة، فإلىٰ اللَّهِ نشكو غُرْبَةَ الإسلامِ وأَهْلِهِ.

الناقض التـاسعُ من نواقض الإسلام ـ مَن اعْـتَقَـد أَنَّ بعْضَ الناسِ يَسَـعهُ الخُروجُ عَنْ شريعـة محمَّد ـ ﷺ ـ كما وَسعَ الخَضِرَ الخروجُ عَنْ شَريعةِ موسىٰ ـ عليه السلام ـ فهو كافرٌ، ومَنْ ظنَّ الاستغناءَ عنها، فقد خلع رِبْقَةَ الإسلامِ مِنْ عُنُقِهِ لتضمُّنه تكذيب قولِ اللَّهِ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وأخرج الحاكمُ في «مستدركه»، وحسَّنه الألباني في تخريج السُّنَّة[١] من حديث عبد اللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنه - قال: خَطَّ لنا رسولُ اللَّه - ﷺ - خَطًّا، ثمَّ قال: «هذا سبيلُ اللَّه». ثم خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يمِينِه، وعَنْ يَسَارِه، وقال: «هذه سُبُلٌ، على كُلِّ سبيل منها شيطانٌ يدعو إليه» ثمَّ قرأ: ﴿وأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِه﴾.

فدل هذا الحديثُ على أنَّ الطريق واحدٌ.

قال الإمام ابن القيم - رحمه اللَّه - في كتابه «التفسير القيم»[٢]: «وهذا لأنَّ الطريق المُوصلَ إلَى اللَّهِ واحدٌ، وهو ما بَعَثَ به رُسُلَهُ، وأَنْزَلَ كُتُبَهُ، ولا يقبلُ إليه أحدٌ إلاَّ مِنْ هذا الطريق، ولو أتَى مِنْ كُلِّ طريقٍ، واستفتحوا مِنْ كُلِّ بابٍ، فالطريقُ عليهم مسدودةٌ، والأبوابُ عليهم مُغْلقةٌ إلا مِنْ هذا الطريق الواحدِ؛ فإنَّه مُتَّصلٌ باللَّهِ، مُوْصِلٌ إلى اللَّه».

وأَخْرجَ الإمام أحمدُ فِي «مسنده»[٣] من حديث جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنه - عن النبيِّ ﷺ أنه رأى في يَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ - رضي اللَّه عنه - وَرَقَةً مِنَ التَّوراةِ، فقال: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فيها يابْنَ الخَطَّابِ؟!، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بها بيضاءَ نقيَّةً، ولو كان مُوسى حَيًّا، واتَّبعتُمُوهُ، وتَرَكْتُمُوني - لَضَلَلْتُمْ**».

وفي رواية: «**ولو كان موسى حَيًّا، ما وَسِعَهُ إلاَّ اتِّبَاعِي**». ومعنى مُتَهوِّكون: أي مُتَحيِّرون.

فنصَّ هذا الحديثُ وغيره على أنه لا يَسَعُ أحدًا الخروجُ عن شريعة محمدٍ - ﷺ -.

(١) رواه الحاكم، وهو في تخريج السنة للألباني برقم (ص١٧).
(٢) التفسير القيم (ص١٤، ١٥).
(٣) أخرجه أحمدُ في مسنده برقم (١٢٢).
(٣) المسند (٣/ ٣٨٧)، وحسَّنه الألباني لشواهده في الإرواء (١٥٨٩).

النَّاقِضُ العاشرُ مِنْ نـواقضِ الإسلام ـ الإعراضُ عَنْ دين اللَّه: لا يَتَعَلَّمُهُ، ولا يَعْمَلُ به، والدليلُ قولُهُ ـ تعالىٰ ـ : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السَّجدة: ٢٢].

والمُرَادُ بالإعْـراضِ هُنَا: الإعـراضُ عَنْ تَعلُّمِ أَصْلِ الدِّين، الذي به يكونُ المَرْءُ مُسلمًا حقًّا.

قالَ العـلاَّمة ابن القيم ـ رحـمه اللَّه ـ : «وأما الإعراضُ فأنْ يُعرِضَ بسمعِهِ وَقَلْبِهِ عَنِ الرَّسُولِ: لا يُصَدِّقُهُ، ولا يُكَذِّبُهُ، ولا يُوالِيهِ، ولا يُعادِيهِ، ولا يُصْغِي إِلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ أَلبَتَّةَ».

ومِنْ هُنا يتبيَّن لكُلِّ ذي عَقْلٍ حُكْمُ كثيرٍ مِنْ عُبَّادِ القُبُورِ، فإنهم مُعْرِضُون عَمَّا جاء به الرَّسُولُ ـ ﷺ ـ إعراضًا كُلِّيًّا بأسماعهم وقلوبهم، فإذا ذهبتَ تُقِيمُ عليهمُ الحُجَّة علىٰ فسـادِ عِبادتهم، قـالوا عنك: أنتَ تُعَادي الأَوْلِياءَ. فـمثْلُ هؤلاءِ كُفَّارٌ لإعراضهم. قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السَّجْدة: ٢٢].

أيُّهَا النَّاسُ، تلك هي نواقضُ الإسلامِ، فمن أتى بواحـدة منها، فقدْ حَبِطَ عَـمَلُهُ، وصار من الخـالدين في النار، ولذلك يجبُ علىٰ كُلِّ مُسلم ومُسلمة أن يتعلَّمَ هذه النواقضَ، ويُعلِّمَها أَهْلَهُ وأَوْلادَهُ، حَتَّىٰ لا يقعَ في واحدةٍ منها، وهو لا يشعرُ.

وممَّا ينبغي التنبيهُ عليه أنَّهُ لا فَرْقَ في جميعِ هذهِ النواقِضِ بَيْنَ الهازِلِ، والجادِّ، والخائفِ، إلاَّ المُكْرَهَ، كما قال بذلك أهلُ العلم، ودليل العُذْرِ بالإكْراه قولُ اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النَّحل: ١٠٦].

﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عِمْرَانَ: ٨].

الخطبة الأولى

التوكل(*)

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أَمَّا بعد، أيُّها الناسُ، حديثي معكم اليومَ عَنِ التَّوكُّلِ علىٰ اللَّهِ، الذي هو جِماعُ الخيرِ، وهو ـ كما وَصَفَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ـ الثِّقَةُ بِاللَّهِ(١).

ووَصَفَهُ الجُرْجَانِيُّ ـ رحمه اللَّه ـ بقوله: «هُو الثِّقَةُ بما عِندَ اللَّهِ، وَاليَأسُ عمَّا

(*) انظر كتاب التوكل علىٰ الله، وعلاقته بالأسباب د. عبد الله بن عمر الدميجي

(١) زاد المسير لابن الجَوْزيِّ (٢/ ٢٤).

فِي أَيدي الناسِ»(١).

والتوكُّلُ على اللَّه ـ أيُّهـا الناسُ ـ منْ أُصول الإيمان، فالتوكل مـن أعمال القلوب، كما قال الإمامُ أحمدُ ـ رحمهَ اللَّه ـ: «التوكُّلُ عَمَلُ القَلْبِ»(٢).

وَنَقَلَ شيخُ الإسلامِ عَنِ الجُنَيْدِ أَنَّهُ قال: «التوحيدُ قَوْلُ القَلبِ، والتوْكُّل عَمَلُ القَلْبِ»(٣).

وأعمالُ القُلوبِ ـ أيُّها النـاسُ ـ هو صُلْبُ قضية الإيمان، وقُطْبُ رَحَـاهَا، وعليه مَدَارُها، وحَجَرُ زاوية هذا الدِّين، الذي بَعَثَ اللَّهُ به الأنبياءَ والُمرسلين.

قالَ اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]. فجعلَ اللَّهُ كتابة الإيمانِ في القلوب.

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ مُمْتَنًا علىٰ المؤمنين: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

وفي «الصحيحين»(٤) من حديث النُّعْمان بن بشيرٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «...ألا وإنَّ فِي الجَسَد مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألاَ وَهِي القَلْبُ».

فهذا الحديث دَلَّ علىٰ تَعلُّقِ جميعِ الأَعْمَالِ بِالقَلْبِ.

وأعمالُ القُلوبِ ـ أيُّها الناسُ ـ مِن الأَهمِّيَّةِ بمكانٍ.

---

(١) التعريفات (٧٤).

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم (ص٢٣٩).

(٣) الإيمان لابن تيمية (١٧٦).

(٤) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

قَالَ شَـيخُ الإسلام في أَهمِّيَّة أعمـال القلوب: «هـي مِنْ أُصُــولِ الإيمانِ، وَقَواعد الدِّينِ، مِثْلُ: مَحَبَّةِ اللَّهِ ورسولِهِ، والتوكُّلِ علىٰ اللَّهِ، وإخلاصِ الدِّينِ للَّهِ، والشكْرِ لَهُ، والصَّبْرِ علَىٰ حُكْمِهِ، والخَوفِ مِنْهُ، والرَّجَاءِ لَهُ، وهذِهِ الأعمالُ - جميعُها - واجبَةٌ علىٰ جميعِ الخَلْقِ باتِّفَاقِ أئمةِ الدِّينِ»[(١)] .

وقال العلاَّمة ابن القيِّم - رحمه اللَّه - : «أعْمَالُ القلوب هي الأَصْلُ، وأَعمالُ الجوارحِ تَبَعٌ ومُكمِّلةٌ، وإنَّ النِّيَّة بمنزلةِ الرُّوحِ، والعَمَلَ بمنزلةِ الجَسَدِ للأعضاءِ، الذي إذا فارقَ الرُّوحَ فَمَوَاتٌ؛ فمعرفةُ أحكامِ القلوبِ أهمُّ من معرفةِ أحكامِ الجَوارحِ»[(٢)] .

أيُّها الناسُ، بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا أَهميَّةَ أعمالِ القُلُوبِ، وأَنَّ التوكُّلَ علىٰ اللَّهِ مِنْ أعمالِ القُلوبِ، كما قالَ الإمامُ المُبَجَّلُ أحمدُ بنُ حَنْبلٍ: «التوكُّلُ عَمَلُ القَلْبِ»[(٣)] .

فهأَنَذَا أَنتقلُ معكمْ إلى أهميَّةِ التَّوَكُّلِ على اللَّهِ.

أَيُّها النـاسُ، لقد جعـل اللَّه - سبحـانه وتعالى - التـوكُّل عليه شَـرْطًا من شُروط تحـقيق أصل الإيمان، فقال - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿**وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [يونس: ٨٤، ٨٥] .

ففِي هذه الآية جعله شَرْطًا لتحقيقِ الإيمانِ .

وقال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿**قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [المائدة: ٢٣] .

---

(١) الفتاوىٰ (١٠/ ٥)، وانظر الفتاوىٰ (٢٠/ ٧٠).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٢٢٤).

(٣) طريق الهجرتين (ص٢٣٩).

قال الإمامُ ابنُ القيِّم ـ رحمه اللَّه ـ في تفسير هذه الآية: «فَجَعَلَ التوكُّلَ شَرْطًا في الإيمانِ؛ فدلَّ على انتفاء الإيمانِ عندَ انتفاءِ التوكُّلِ»[1].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ فربط الله ـ سبحانه وتعالى ـ في هذه الآية بين الإيمان والتوكل

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التَّغَابُن: ١٣].

قال الإمامُ ابن القيِّم ـ رحمه اللَّه ـ في تفسير هذه الآية ـ: «فذِكْرُ اسْمِ الإيمانِ ـ دُونَ سائرِ أسمائهم ـ دليل على استدعاءِ الإيمانِ التوكُّلَ، وأنَّ قوَّةَ التَّوكُّلِ وَضعْفَهُ بحَسَبِ قوَّةِ الإيمانِ وضعفِهِ، وكُلَّمَا قَوِيَ إيمانُ العَبْدِ كانَ توكُّلُهُ أقْوىٰ، وإذا ضَعُفَ الإيمانُ ضَعُفَ التوكُّلُ، وإذا كان التوكُّلُ ضعيفًا، فهو دليل على ضعفِ الإيمانِ، ولابُدَّ»[2].

أيُّها النَّاسُ، كما جعل اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ التوكُّلَ شَرْطًا في تحقيقِ أصلِ الإيمانِ، فقد جعله شَرْطًا للإسلام، قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [يُونُس: ٨٤، ٨٥].

قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: «فَجَعَلَ دليلَ صِحَّةِ الإسلامِ التوكُّلَ»[3].

قال سليمان بن عبد اللَّه: «ومفهومُ ذلِكَ انتفاءُ الإيمانِ والإسلامِ عِندَ انتفائِه»[4].

(١) المرجع السابق (ص٢٣٧).
(٢) المرجع السابق (٢٣٨) وانظر البدائع (٢/ ٢٦٨).
(٣) طريق الهجرتين (ص٢٣٨).
(٤) تيسير العزيز الحميد (ص٤٩٦).

وقال القُرْطُبيُّ ـ رحمه اللَّه ـ : «وَكَرَّرَ الشَّرْطَ تأكِيدًا»(١)

أيُّها النَّاسُ، التوكُّلُ ينقسمُ إلى قسمين:

ـ توكُّل على اللَّه.

ـ توكُّل على غير اللَّه.

وهذا ينقسم إلى قسمين: فمنه شِرْكٌ أكْبَر، ومنه شِرْكٌ أَصْغَرُ.

فيكونُ شِرْكًا أكْبرَ، متىٰ توكَّلَ العَبْدُ عَلَىٰ غَيرِ اللَّهِ فِي الأُمُورِ التي لا يَقْدِرُ عليها إلاَّ اللَّهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : كمن يتوكَّلُ عَلَىٰ الأموات في رجاءِ مطالبِهِ مِنَ النَّصْرِ، والحِفْظِ، والشَّفَاعَةِ، فهذا شِرْكٌ أَكْبَرُ، كما نبَّهَ إلَيه العَلاَّمةُ سُلَيمَانُ بْنُ عبد اللَّه(٢) .

والتوكُّلُ علىٰ غَيْرِ اللَّهِ فِي الأُمُورِ التي يَقْدِرُ عليها ـ فيما يظنُّ المُتَوكِّلُ ـ شِرْكٌ أصْغَرُ(٣) .

قال سُلَيمانُ بْنُ عبد اللَّه ـ رحمه اللَّه ـ : «التوكُّلُ فِي الأسبابِ الظاهرة العاديَّةِ ـ كَمَنْ يَتَوكَّلُ علَىٰ أميرٍ أو سُلْطَانٍ فِيما جَعَلَهُ اللَّهُ بيدِهِ مِن الرِّزْقِ، أو دَفْع الأَذَىٰ، ونَحْوِ ذلكَ ـ فَهَذَا شِرْكٌ خَفِيٌّ»(٤) .

ولذلك قيل: «الالتفاتُ إلىٰ الأسباب شِرْكٌ فِي التوحِيدِ؛ لِقوَّةِ تَعلُّقِ القَلْبِ به والاعتماد عليه».

وقدْ شَرَحَ هذه العبارةَ شَيْخُ الإسلام ـ رحمه اللَّه ـ فقال: «لأنَّ القلبَ لا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٧٠).
(٢) تيسير العزيز الحميد (٤٩٧، ٤٩٨).
(٣) فتاوىٰ ورسائل ابن عُثيمين (٦/ ٥٤).
(٤) تيسير العزيز الحميد (ص٤٠).

يتوكَّلُ إلاَّ علىٰ مَنْ يَرْجُوه، فَمَنْ رجا قُوَّتَهُ، أو عَمَلَهُ، أو عِلْمَهُ، أو حالَهُ، أو صديقَهُ، أو قرابَتَهُ، أو شيْخَهُ أو مَلِكَهُ، أو مَالَهُ - غيرَ نَاظِرٍ إلَىٰ اللَّه - كان فيه نَوْعُ توكُّلٍ عَلَىٰ ذلك السببِ، وما رجا أحدٌ مخلوقًا - أو توكَّل عليه - إلاَّ خَابَ ظَنُّهُ فيه؛ فَإنَّهُ شِرْكٌ»[1].

وأخرج الإمامُ البَيْهَقِيُّ فِي كِتابه «شُعَبِ الإيمانِ»[2] عن الإمام شقيق البَلْخيِّ - رحمه اللَّه - أنه قال: «لِكُلٍّ واحدٍ مقامٌ: فمتوكِّلٌ علىٰ ماله، ومتوكِّلٌ علىٰ نَفْسِهِ، ومُتَوَكِّلٌ عَلَىٰ لِسَانِهِ، ومتوكِّلٌ علىٰ سيفِهِ، ومتوكِّلٌ عَلَىٰ سَلْطَنَتِهِ، ومتوكِّلٌ علىٰ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.

فَأَمَّا الْمُتوكِّلُ عَلَىٰ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَقَدْ وجد الاسترواحَ، نوّه اللَّهُ به، وَرَفَعَ قَدْرَهُ، وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

أَمَّا مَنْ كانَ مستروحًا إلىٰ غَيْرِه، يُوشِكُ أنْ يَنقطعَ به، فيشقىٰ».

أيُّهَا الناسُ، التوكُّلُ كُلُّهُ عِبادَةٌ؛ فلا يجوزُ - قَطْعًا - أَنْ يقول الرَّجُلُ: أَنا متوكِّلٌ علىٰ اللَّهِ، ثُمَّ عَلَيْكَ.

قال العلاَّمَةُ بكر أبو زيد - حفظه اللَّه -: «لا يجوزُ أَنْ يُقالَ: أَنا متوكِّلٌ علىٰ اللَّهِ، ثُمَّ عليك، كما يَجُوزُ فِي المشيئةِ؛ لأنَّ التوكُّلَ كُلَّهُ عِبادَةٌ»[3].

أيها الناس، لقد ذكر بعض أهل العلم أنه متىٰ توكل الرجل علىٰ غير الله باعتبار أنه سبب، وأن الله - سبحانه وتعالىٰ - هو الذي قدر ذلك علىٰ يده، فإن ذلك لا بأس به، بشرط أن يكون في شيء يقدر عليه.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢٥٧).
(٢) رقم (١٢٩٧).
(٣) مُعْجَم المناهي اللَّفظية لبكر بن عبد اللَّه أبو زيد (ص٨٣).

أيُّها الناسُ، إنّ التوكُّل على اللَّه لا يُنافي الأَخْذَ بالأَسْبَابِ، بل التـوكُّلُ هو قيامُ الجوارحِ بالأسبابِ، واعتمادُ القلبِ على مُسبِّبِ الأَسْبَابِ ـ سبحانه وتعالى ـ.

وهذا هو مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في هذهِ المسألةِ.

والأدلةُ على ذلك كثيرةٌ، فمن ذلك قولُ اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

قال الحليميُّ ـ رحمه اللَّه ـ في تفسير هذه الآية: «أي: فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ ما عادَ على صاحبِه بالتَّقْوى، وهو ألاَّ يتكلوا على أزواد الناس، ويُضيِّقُون عليهم، ومَنْ دخل الباديةَ بلا زادٍ، فإنَّما يرجو أنْ يُقيِّضَ اللَّهُ ـ تعالى ـ له مَنْ يُواسيه مِنْ زادِه، وهذا عَيْنُ ما أشارت الآيةُ إلى المَنع منه، فبان أنَّهُ لا معنى لاستحبابِه، وإنما المُسْتحبُّ هو التزوُّد»(١).

وفي «صحيح البخاريِّ»(٢) من حديثِ المِقْدامِ بْنِ مَعْدِ يكرِبَ عَنِ النَّبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طعامًا ـ قَطُّ ـ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وإنَّ نبيَّ اللَّهِ دَاوُدَ ـ عليه السَّلامُ ـ كانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**».

قال الحافظ ـ رحمه اللَّه ـ: «وفي الحديثِ أنَّ التكسُّبَ لا يَقْدَحُ في التَّوكُّلِ»(٣).

وأخرج أحمدُ في مُسنده بسندٍ صحيحٍ(٤) من حديثِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «**لو أنَّكُم تتوكَّلُونَ على اللَّهِ ـ حَقَّ تَوكُّلِه ـ لَرَزَقَكُمْ كما**

---

(١) المنهاج (٢/ ٧)، وانظر شعب الإيمان (٢/ ٧٥).

(٢) رواه البخاري (٢٠٧٢).

(٣) فتح الباري (٤/ ٣٥٨).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٠)، والترمذي (٢٣٢٤)، وقال: حديثٌ حسن صحيح، وابن ماجه (٤١٦٤)، وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند: إسناده صحيح (١/ ٣٤٣).

يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خماصًا، وتَروح بِطانًا» أي: تذهبُ أوَّلَ النَّهار ضامرَة البُطُونِ مِنَ الجوع، وتعودُ آخِرَهُ مُمْتلئةَ البطونِ.

قال الإمامُ أحمدُ - رحمه اللَّه -: «ليس في الحديث دلالة على القعود عن الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق؛ لأنَّ الطَّيْرَ إذا غَدَتْ، فَإِنَّمَا تَغْدُو لطلَبِ الرِّزْقِ»[(١)].

وقال الإمام أبو حاتم: «وهذا الحديثُ أَصْلٌ فِي التَّوكُّلِ، وإنَّهُ من أعظمِ الأسبابِ التي يُسْتَجلبُ بِهَا الرِّزْقُ»[(٢)].

وقال الحليميُّ - رحمه اللَّه -: «فالطَّيرُ إذا غَدَتْ إنَّمَا تَغْدُو بطلبِ الرِّزْقِ، ومعروفٌ من عادتِها أنَّها لا تقعُ إلاَّ حيث تُبْصِرُ لَقَطًا، وأنَّهَا لا تزالُ تسبحُ فِي الهَواءِ، حتى ترىٰ الماءَ، فتنزل عليه، وكُلُّ ذلك ابتغاء فِي الرِّزْقِ»[(٣)].

أَيُّهَا الناسُ، لقد نهىٰ النَّبيُّ - ﷺ - عَنْ مسأَلة النَّاسِ؛ لأَنَّ فيها نوع استعانةٍ وتوكُّلٍ علىٰ غَيْرِ اللَّهِ.

ففي «الصحيحين»[(٤)] من حديث عبد اللَّه بن عُمَرَ - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسول اللَّه - ﷺ -: **«لا تزالُ المسأَلَةُ بأَحَدِكُمْ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وليس فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ»**.

وأصلُ الطَّلَبِ من المخلوقِ لا يجوزُ إلاَّ لضرورةٍ.

---

(١) شُعب الإيمان (٢/ ٦٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص٤٠٩).

(٣) المنهاج للحليميِّ (٢/ ٩).

(٤) رواه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٣٣).

قال شيخُ الإسلام: «وَسُؤالُ الخَلْقِ في الأَصْلِ محرَّم، لكنَّهُ أُبيحَ للضَّرورةِ، وتركُهُ - توكُّلاً على اللَّهِ - أفْضَلُ»[1].

وإليكم تفصيل أصحابِ الضَّرورة:

ففي «صحيح مسلم»[2] من حديثِ قَبيصةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ -: «إنَّ المسألة لا تَحلُّ إلاَّ لأحَد ثلاثة: رجلٌ تحَمَّلَ حَمَالةً[3]، فَحلَّتْ له المسألةُ، حتى يُصيبَها، ثمَّ يُمسكُ، ورجلٌ أصابتْهُ جائحةٌ[4] اجتاحتْ مالَهُ، فَحَلَّتْ له المسألةُ، حتَّى يُصيبَ قَوَامًا[5] منْ عَيْشٍ - أو قال: سدادًا منْ عَيْشٍ[6] -، ورجلٌ أصابتْهُ فاقةٌ[7]، حتَّى يقولَ ثلاثةٌ منْ ذَوِي الحِجَى[8] منْ قَوْمِه: لَقَدْ أَصابتْ فُلانًا فاقةٌ، فَحَلَّتْ له المسألةُ، حَتَّى يُصيبَ قَوامًا من عَيْشٍ - أو قال: سدادًا من عَيْشٍ -، فما سواهُنَّ من المسألة - ياقَبيصَةُ - سُحْت، يأكلُها صاحبُها سُحْتًا».

وأستغفرُ اللَّهَ.

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٨١).
(٢) رواه مسلم (١٠٤٤).
(٣) الحمالة - بفتح الحاء -: أن يقعَ قتالٌ ونَحْوُهُ بين فريقين، فيُصْلِحُ إنسانٌ بينهم على مالٍ، فيتحمَّلُهُ، ويلتزمُهُ على نفسه.
(٤) الجائحة: الآفة تُصيب مالَ الإنسان.
(٥) القوام - بفتح القاف وكسرها -: هو ما يقوم به أمرُ الإنسان من مالٍ ونَحْوِهِ.
(٦) السِّداد - بكسر السين -: ما يَسُدُّ حاجةَ المُعْوِزِ ويكفيه.
(٧) الفاقة: الفَقْرُ.
(٨) والحِجَى: العَقْل.

الخطبة الثانية

ثمرات التوكل

الحَمْدُ للَّه رَبِّ العالمين، والصلاة والسَّلامُ علىٰ رسوله الأمين، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَىٰ يوم الدِّين.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الناسُ، بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّا منزلةَ التوكُّلِ وأَهمِّيَّتَهُ، نُحِبُّ أَنْ نُشِيرَ إلَىٰ بَعْضِ الثَّمَراتِ العظيمةِ، التي يجنيها المتوكِّلُ بَعْدَ تحقيقِهِ هذا المقامَ الرَّفيعَ.

ومن أهمِّها:

١ ـ **تحقيقُ الإيمانِ،** حيثُ لا إيمانَ إلاَّ بتوكُّلٍ، كما لا توكُّلَ إلاَّ بالإيمانِ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [المائدة: ٢٣]

أي: فلا تحقيق للإيمان إلاَّ بتحقيقِ التوكُّلِ.

٢ ـ **طُمَأْنينةُ النَّفْسِ،** وارتياحُ القلبِ، فالعبدُ حينما يُسلِّم قيادَه لخالقِهِ، ويَرْضَىٰ بما قسم له، ويُفَوِّضُ أَمْرَهُ إليه ـ سيجدُ راحةً فِي قلبه، وطُمأْنِينةً فِي نَفْسِهِ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**﴾ [النمل: ٧٩].

٣ ـ **ومنها كفايةُ اللَّهِ للمتوكِّلِ في جميعِ شئُونِهِ.**

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ [الطلاق: ٣] أي: كافيه.

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ: «مِنْ كُلِّ ما ضاق على الناسِ»[١] .

٤ ـ ومنها أنَّ التوكُّلَ على اللَّه من أَقْـوى الأسبابِ في جَلْبِ المنافعِ، وَدَفْعِ المضارِّ، والواقعُ خَيْرُ شاهدٍ على ذلك .

ففي «صحيح البخاري»[٢] من حديث عبد اللَّه بن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال : ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيمُ ـ عليه السلامُ ـ حينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وقالها مُحمَّدٌ ـ ﷺ ـ حينَ قالوا : ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] .

ولكن لننظر ماذا كانت النتيجةُ؟

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ في حَقِّ إبراهيم : ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٩ ـ ٧٠] .

وقال في حَقِّ محمد ـ ﷺ ـ : ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤] .

وَمِنْهَا أنَّ التـوكُّل على اللَّه يُورِثُ محبَّةَ اللَّه للـعبد، ومـا أَعْظَمَ أَنْ يَحْظَى العَبْدُ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ ـ سُبحانه وتعالى ـ ! ، وقَدْ وَعَدَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ المتوكِّلين عليه بالمحبَّةِ ، وَوَعْدُ اللَّهِ وَاقعٌ ـ لاَ مَحَالَةَ ـ لِمَنْ حَقَّقَ التوكلَ .

قال اللَّه ـ سبحانه وتعـالى ـ مخاطبًا نبيَّه ـ ﷺ ـ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ

(١) رواه البخاري تعليقًا في الرقائق، باب: «ومن يتوكل على اللَّه فهو حسبه» الفتح (١١/ ٣١١).

(٢) رواه البخاريُّ (٤٥٦٣).

لنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٦ ـ ومنها أنَّ التوكُّلَ على الله يُورِثُ قُوَّةَ القَلْبِ، وشجاعتَهُ، وثباتَهُ، وتحدِّيَهُ الأَعْداءَ مهما عَظُمُوا، فالقُوَّةُ ـ كُلُّ القُوَّةِ ـ في التوكُّلِ على اللَّهِ، ولهذا جاء الأَمْرُ بالتوكُّلِ مقرونًا بالإعراضِ عَنِ الأعداءِ، وعَدَمِ الاهتمامِ بهم، أو الخوفِ منهم.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤٨].

٧ ـ ومنها أنَّ التوكُّلَ عَلَى اللَّهِ يُورِثُ الصَّبْرَ والتَمهُّلَ، فقد قَرَنَ اللَّهُ ـ سبحانه وتعالى ـ بَيْنَ الصَّبْرِ والتوكُّلِ، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤١ ـ ٤٢].

٨ ـ ومنها أن التوكُّلَ على اللَّهِ يُورِثُ النَّصْرَ والتمكينَ؛ فقد قَرَنَ اللَّهُ ـ سبحانه وتعالى ـ بَيْنَهُ وبَيْنَ التوكُّلِ، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

٩ ـ ومنها أنَّ التوكُّلَ على اللَّه يُقَوِّي العزيمة والثباتَ على الأمر، قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ مخاطبًا نبيَّه ـ ﷺ ـ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

١٠ ـ ومنها أنَّ التَّوَكُّلَ على اللَّه يقي من تسلُّطِ الشَّيطانِ، قال اللَّه ـ سبحانه

وتعالىٰ ـ : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النَّحل: ٩٨ ـ ١٠٠].

١١ ـ ومنها أنَّ التَّوكُّلَ على اللَّه من أسبابِ دَفْعِ السِّحْرِ، والحَسَدِ، والعَيْنِ، فالتوكُّلُ من أقوىٰ الأسباب التي يَدْفَعُ بها العَبْدُ ما لا يُطيقُ، قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ على لسان نبيِّه يَعقُوبَ : ﴿يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يُوسُف: ٦٧].

١٢ ـ ومنها أنَّ التوكُّلَ على اللَّه يُوْرِثُ الرِّزْقَ، قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

أيُّهَا الناس، تلك بَعْضُ ثَمَراتِ التوكُّلِ على اللَّهِ، نسأل اللَّهَ أنْ يَرزُقَنَا حُسْنَ التوكُّلِ عليه، ويُفَقِّهَنا في ديننا.

الخطبة الأولى

عَلامَ يقتلُ أحدُكم أخاه؟!

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ -ﷺ-، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الناسُ، حديثي إليكم اليومَ حول العَيْن، وخطورتها وتأثيرها على الفرد والمجتمع، فكم في المقابر من قبور بسبب العين، فالعين أمرها عظيم، وخطرها جسيم، لا يسلم منها إلاَّ من سلَّمَهُ اللَّه.

قال اللَّه -سبحانه وتعالى- حاكيًا عن نبيِّه يعقوب؛ وقد خَشِيَ العَيْنَ على أبنائه -:

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٦٧-٦٨].

قال القُرطبيُّ - رحمه اللَّه - في تفسير هذه الآية: «لمَّا عزموا على الخروج خَشِيَ عليهمُ العَيْنَ فأمرهم ألاَّ يدخلوا مِصْرَ من بابٍ واحدٍ، وكانت مِصْرُ لها أربعة أبواب، وإنما خاف عليهم العين، لكونهم أَحَدَ عَشَرَ رجلاً لرجلٍ واحدٍ، وكانوا أهل جَمَالٍ وكَمَالٍ وبَسْطَةٍ، قاله ابن عبَّاسٍ، والضَّحاك، وقتادة، وغيرهم»[١].

ونقل الفخر الرازي في «تفسيره» قوله: «هو قول جمهور المفسرين: إنَّه خاف من العين عليهم»[٢].

والعَيْنُ قَلَّ أن يسلم منها أحدٌ، حتى إنَّ الرسول - ﷺ - يتعرَّض للإصابة بالعين.

قال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: ٥١، ٥٢].

قال العلاَّمة ابن كثير - رحمه اللَّه -[٣]: «قال ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، وغيرهما: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾: لَيُنْفِذونك بأبصارهم، أي: يَعِينُونك بأبصارهم بمعنى:

(١) تفسير القُرْطبيِّ (٩/ ٢٢٦).
(٢) انظر تفسير الفخر الرازي (٩/ ١٧٦).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٠).

يحسدونك لبغضهم إيَّاك، لولا وقاية اللَّه لك وحمايته إيَّاك منهم، وفي هذه الآية دليل علىٰ أنَّ العين إصابتها وتأثيرها حقٌّ بأمر اللَّه - سبحانه وتعالىٰ -، كما وردت في ذلك الأحاديث المُرْوِيَّةُ من طرقٍ متعدِّدةٍ كثيرةٍ».

وأمَّا السُّنَّة النبويَّة فقد دلَّت على خطورة العين، فقد ذكر الرسول ﷺ أن أكثر ساكني المقابر منها.

فقد روىٰ الطيالسي في «مسنده» بسندٍ حسَّنه الألبانيُّ - رحمه اللَّه -[1] من حديث جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسول اللَّه - ﷺ -: «**أَكْثَرُ مَنْ يَموتُ من أُمَّتي - بَعْدَ قَضَاء اللَّه وقدره - بالعَيْن**».

عبادَ اللَّه، اتقوا العينَ، فإنها تُدْخِلُ الرَّجُلَ القَبْرَ، والجَمَلَ القِدْرَ.

فقد روىٰ أبو نعيم في «الحلية» بسنده، وحسَّنه الألبانيُّ[2] من حديث جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسول اللَّه - ﷺ -: «**العينُ تُدخِلُ الرَّجُلَ القَبْر، وتُدْخِلُ الجملَ القدرَ**».

قال العلامة المناوي: «تُدْخِلُ الرجلَ: أي تقتله فيُدْفَن في القَبْرِ. وتُدخِلُ الجَمَلَ: أي إذا أصابته - أو أشرف علىٰ الموت - ذَبَحه مالكُهُ، وطبخه في القِدْرِ».

وهي - أيضاً - تهوي بالرجل من فوق الجبل، فقد روىٰ الإمام أحمد في «مسنده» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحَه الألباني[3] من حديث أبي ذَرٍّ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ العَيْنَ لتولعُ بالرَّجُلِ** (أي: تُلازِمُهُ فتؤثِّر فيه) **بإذن اللَّه، حتى**

---

(١) رواه الطيالسي في مسنده (١٧٦٠)، وحسَّن إسنادَه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٧٤٧)، و«صحيح الجامع» (١٢١٧).

(٢) رواه أبو نعيم (٧/ ٩٠)، وحسنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٤١٤٤)، و«الصحيحة» (١٢٤٩).

(٣) رواه الإمام أحمد (٥/ ١٤٦)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١٦٨١)، و«الصحيحة» (٨٨٩).

يصعَدَ حالقًا، فيتردَّى منْهُ» .

ومعنى الحديث: أنَّ العينَ تُصيبُ الرَّجُلَ فتؤثرُ فيه، حتَّىٰ إنه ليصعدُ مكانًا مرتفعًا، ثمَّ يسقطُ من أعلاهُ من أثر العين .

ورویٰ الإمام أحمدُ - أيضًا - بسنده، وحسَّنه الألبانيُّ[(١)] من حديث ابن عبَّاسٍ - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسول اللَّه - ﷺ -: «**العَيْنُ حَقٌّ، تستنزلُ الحَالقَ**» .

أي: تُسْقِطُهُ منَ الجبل العالي .

والعينُ - عبادَ اللَّه - تكاد تسبق القدرَ،

ففي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث ابن عبَّاسٍ - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**العينُ حقٌّ، ولو كان شيءٌ سَابَقَ القَدَرَ لسبقتْهُ العينُ، وإذا استُغْسِلْتُم فاغسلُوا**» .

وروىٰ الإمام أحمد بسنده، وصحَّحَه الألباني[(٣)] من حديث أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ - رضي اللَّه عنها - قالت: يا رسولَ اللَّه، إنَّ بني جعفرٍ تصيبُهم العينُ أفأسترقي لَهُم؟ . فقال: «**نعمْ، فلو كان شيءٌ سَابَقَ القَضَاءَ لسَبَقَتْهُ العَيْنُ**» .

أيُّهَا الناس، إنَّ العينَ حقٌّ، فيجب الإيمان بذلك، وإن كنَّا لا ندرك كُنْهَهَا، وكيف تصل إلىٰ بُغْيتها؟!،

ففي «الصحيحين»[(٤)] من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢٧٤)، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٢٥٠) .

(٢) رواه مسلم (٢١٨٨) .

(٣) رواه أحمد (٦/ ٤٣٨)، والترمذي (٢٠٥٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٨٦) .

(٤) رواه البخاري (١٠/ ٢١٣)، ومسلم بشرح النووي (١٤/ ١٧٠) .

رسول اللَّه - ﷺ -: «العَيْنُ حَقٌّ».

وروىٰ ابن ماجَهْ بسنده، وصحَّحه الألبانيُّ(١) من حديث عائشة - رضي اللَّه عنها - أنَّ النبي ﷺ قال: «استعيذوا باللَّهِ من العَيْنِ؛ فإنَّ العَيْنَ حَقٌّ».

عبادَ اللَّه، إنَّ العينَ سريعة التأثير في الناس، والدَّوابِّ، والأرزاق، بل وفي المساكن، والجسور، وسائر المركوبات، ويسرع تأثيرها في أجساد الناس، ولا سيَّما الأطفال،

ففي «صحيح مسلم»(٢) من حديث جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنهما - قال: رخَّص النبيُّ - ﷺ - لآلِ حَزْمٍ في رُقْيةِ الحيَّةِ، وقال لأسماء بِنْتِ عُمَيْسٍ: «مالي أرى أجسادَ بني أخي ضارِعةً، يُصيبُهُمُ الحاجَةُ؟!». قالتْ: لا، ولكنِ العَيْنُ تُسْرِعُ إليهم. فقال: «ارْقِيهِمْ». قالتْ: فعرضتُ عليه. فقال: «ارْقِيهِمْ».

أيُّها الناسُ، إنَّ العين حقٌّ - كما سبق - وتحصل من الإنسان لأخيه الإنسان، ولكن هناك أعين هي أنفذ من أسنَّةِ الرِّمَاح، وهي أعينُ الجانِّ، فالجنُّ يَعِينون الإنس:

ففي «سنن الترمذيِّ والنسائي، وابن ماجه» بسندٍ صحَّحَه الألباني(٣) من حديث أبي سعيد الخُدْريِّ - رضي اللَّه عنه - قال: كان رسول اللَّه - ﷺ - يتعوَّذُ باللَّهِ مِن أَعْيُنِ الجانِّ، ثم أَعْيُنِ الإنسِ، فلما نزلتِ المُعَوِّذتانِ أخذهما، وترك ما سوىٰ ذلك.

وفي «الصحيحين»(٤) من حديث أُمِّ سَلَمَةَ - رضي اللَّه عنها - أنَّ النبيَّ - ﷺ - رأىٰ في

---

(١) رواه ابن ماجَهْ (٣٥٠٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٣٨)، و«الصحيحة» (٧٣٧).

(٢) رواه مسلم (٢١٩٨).

(٣) رواه الترمذي (٢٠٥٩)، والنسائي (٥٤٩٤)، وابن ماجَهْ (٣٥١١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٨٣٠).

(٤) رواه البخاريُّ (١٠/ ١٧١)، ومسلم (٢١٩٧).

بيتها جاريةً في وَجْهِها سَفْعَةٌ (أي: بُقْعَةٌ سوداءُ)، فقال: «اسْتَرْقُوا لَهَا؛ فإنَّ بِهَا النَّظْرَةَ».

قال الفراء: «سَفْعة: أي نَظْرَة من الجنِّ».

قال الشيخ وحيد بن عبد السلام: «ومن هذين الحديثين يتبيَّنُ لنا أنَّ العينَ تَقَعُ من الجنِّ، كما تقع من الإنسِ؛ ولذا يجب على كُلِّ مسلمٍ أن يذكر اسم اللَّه عندما يخلعُ ثوبهَ، أو ينظرُ في المِرْآةِ، أو يقومُ بأيِّ عَمَلٍ؛ كي يدفعَ عن نفسه أذَىٰ الجنِّ من عينٍ أو غيرِها»(١).

أيُّهَا الناسُ، لقد شاع وذاعَ عند الناس أنَّ العين لا تحصل إلاَّ مِن نفسٍ خبيثةٍ، أو رجلٍ خبيثٍ يكيد للآخر.

والصوابُ أنَّ العَيْنَ كما تحْصُلُ من نفس خبيثة، فهي تحصُلُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالح، فالأُولَىٰ سببُها الحَسَدُ، وهي التي تحصل من حاسدٍ، والثانية تكون بغير قَصْدٍ، وتحصُلُ من الرجلِ الصالح، كما تحصُلُ مِنْ غَيْرِ الصَّالحِ، ويكُونُ سببها الإعجاب والاستعظام والاستحسان.

فالحَسَدُ والعَيْنُ يَشْتَرِكَانِ فِي الأثر، حيثُ يُسبِّبان ضرراً للمَعين، ويختلفان في المصدر، فمصدر الحسد تحرُّق القلب وتمنِّي زوال النعمة عن المحسود، وأمَّا العَين فمصدرها انقداح نظرة العين؛ لهذا فالعائن قد يصيب حتىٰ نفسه وأولاده، فرؤيته للشيء رؤية تعجُّبٍ وتحديقٍ.

والدعاء بالبركة يقطع أثر تلك العين، فإذا رأىٰ المرء من أخيه، أو من نفسه، أو من ماله - ما يُعجبه، فليدعُ له بالبركة، كأن يقول: ما شاء اللَّه، تبارك اللَّه. أو اللَّهمَّ، بارك فيه، ونحو هذا، فإذا فعل ذلك لم يضرهُّ شيءٌ، إن شاء اللَّه.

---

(١) «الصارم البتار» (ص١٣١).

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩].

وفي «مسند أحمد»، و«سنن ابن ماجَهْ» بسندٍ صحَّحه الألباني[(١)] من حديث أبي أمامةَ بنِ سَهْلِ بن حُنَيْفٍ قال: اغتسلَ أبي سَهْلُ بنُ حُنَيْفٍ بالخرَّار (أي: وادٍ من أودية المدينة)، فنزع جُبَّةً كانت عليه، وعامرُ بنُ ربيعةَ يَنْظُرُ إليه، وكان سَهْلٌ شديدَ البياضِ، حَسَنَ الجِلْدِ، فقال عامرٌ: ما رأيتُ كاليومِ ولا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ (أي: فتاةٍ مُخبأةٍ في خِدْرها وهو كناية عن شدَّة بياضه) وعَذْرَاءَ!.. فَوُعِكَ (أي: أصيب بمَغصٍ شديدٍ) سَهْلٌ مكانهُ، واشتدَّ وَعْكُهُ، فأُخْبِرَ رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ بِوَعْكِهِ، فقيل له: ما يَرْفَعُ رَأْسَهُ فقال: «هل تَتَّهمون له أحدًا؟». قالوا: عامر بن ربيعة. فدعاه رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ، فتغيَّظَ عليه، فقال: «عَلاَمَ يقتُل أَحَدُكُم أَخَاهُ؟! أَلاَ بَرَّكْتَ؟! اغتسل له».

ففي هذا الحديث فوائدُ تُشَدُّ لها الرِّحَالُ:

فعامر بن ربيعة أصاب سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ بعينٍ برغم أنَّ عامرًا ـ رضي اللَّه عنه ـ صحابيٌّ جليلٌ، ومن السابقين إلىٰ الإسلام، بل ومن أهل بَدْرٍ، فتبيَّن أنَّ العين تحصل من الرجل الصالح وغيره، ولكن الرسول ـ ﷺ ـ قال: «أَلاَ بَرَّكْتَ؟!» أي: هلاَّ دعوت له بالبركة؟!

ثم أمره أن يغتسل له، فتوضَّأَ عامرٌ في إناءٍ، ثمَّ صُبَّ ذلك الماء علىٰ رأس سَهْلٍ وظهرِه من خَلْفِه، فعاد سَهْلٌ ليس به بأسٌ، فهذا علاج نبويٌّ نافع ـ بإذن اللَّه ـ من العَيْنِ.

وأستغفر اللَّه.

---

(١) رواه أحمدُ (٣/ ٤٨٦)، وابن ماجَهْ (٣٥٠٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجَهْ (٢٨٢٨).

الخطبة الثانية

عَلامَ يَقتُلُ أحَدُكُمْ أخَاهُ؟!

الحمد للَّه ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلىٰ آله وصَحْبه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيهَا الناسُ، عرفنا فيما سبق خطورة العين، وسرعة قتلها، فيجب علينا أن نتقيَ اللَّه، وأن نحذر من الإتيان بعبارات الوصف، وكلمات التشبيه في وصف الشيء المُتَعَجَّب منه، ويكفينا إذا رأينا شيئًا يُعْجِبُنا أن ندعو لَه بالبركة؛ فإن الدعاء بالبركة يُسقط ضرر العين، ويُبطل أثرها.

والرجل بين ثلاث حالات:

الحالة الأولى - إذا نظر لشيء يُعجبه، ولم ينطق بشيءٍ، لم يُقدِّرِ اللَّهُ ضرراً، والأَوْلَىٰ الدعاء بالبركة.

الحالة الثانية - إذا نطق العائن بكلمة استحسانٍ بدون ذكر اللَّه - جاهلاً كان، أو ناسيًا، وأشدُّها إذا كان متعمِّدًا - قدَّر اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - في بَدَنِ المَعِينِ المَرَضَ والهلاكَ.

الحالة الثالثة - إذا ذكر اللَّه وبرَّك - أي دعا بالبركة - حالَ نظره، سقط ضررُ العين.

فمتىٰ رأيت - يا عبدَ اللَّه - رجلاً يُحِدُّ النظر في شيءٍ، أو ينظر إليه نظرةَ استحسان، ولم يذكر اللَّه - فقد يكون جاهلاً؛ فيجب عليك أن تعلِّمَه، وتقول له: يا أَخِي، قُلْ:

ما شاء اللَّه! . وقد يكون ناسيًا؛ فيجب عليك أن تُذكِّرَه .

أيُّهَا الناسُ، **إنه لابُدَّ من أخذ الوقاية من شرِّ العين قَبْلَ وقوعها؛** فالوقايةُ خيرٌ من العلاج، كما يُقال في المثل السائر .

فمن الوقاية التوكل على اللَّه، وهو: صِدْقُ اعتماد القلب على اللَّه في استجلاب المصالح ودفع المضارِّ في أمور الدنيا والآخرة كُلِّها، وتوكيل الأمور كُلِّها إليه، وتحقيق الإيمان بألاَّ يُعْطِيَ ولا يمنعَ، ولا يضرَّ ولا ينفعَ سِوَاه[١] .

وفي ذلك يقول ربُّنا - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣] .

ومن الوقاية - أيضًا - المحافظة على الأذكار الصحيحة، ولاسيَّما قراءة المعوِّذتين، وسورة الإخلاص، كما سبق من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي اللَّه عنه -[٢] قال: كان رسول اللَّه - ﷺ - يتعوَّذُ باللَّه من أَعْينِ الجانِّ، ثُمَّ أَعْيُنِ الإنسِ، فلمَّا نزلتِ المعوِّذتانِ أخذهما، وترك ما سوىٰ ذلك .

ومن أسباب الوقاية - أيضًا - إذا كان العائن يخشىٰ ضرر عينه، وإصابتها لغيره، فليدفع شرَّها بقوله: اللَّهُمَّ، باركْ عليه، كما قال رسول اللَّه - ﷺ - لعامر بن ربيعةَ - لما عان سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ -: «أَلاَ بَرَّكْتَ؟!» .

وممَّا يُدْفع به إصابة العين قولُ: «ما شاء اللَّه، لا قوَّةَ إلاَّ باللَّه»، فقد روىٰ هشام عن عُرْوةَ عن أبيه أنَّه كان إذا رأىٰ شيئًا يُعجبُهُ - إن دخل حائطًا من حيطانه - قال: ما شاء اللَّه، لا قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ[١] .

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص٤٠٩) .

(٢) تقدم تخريجه

ومن الوقاية من شرِّ العين تحصينُ الأطفال بالدُّعاء المأثور الصحيح، كما في «صحيح البخاريِّ»[٣] من حديث ابن عبَّاسٍ ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: كان رسول اللَّه ـ ﷺ ـ يُعوِّذُ الحسنَ والحُسَينَ، يَقُولُ: «**أُعيذُكما بكلمات اللَّه التامَّة مِنْ كُلِّ شيطانٍ، وهامَّةٍ، ومن كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ**». ويقول: «**كان إبراهيمُ يُعوِّذُ إسحاقَ وإسماعيلَ ـ عليهما السلام ـ**».

وممَّا يُتَّقى به العَيْنُ كِتْمانُ النِّعم عند طلبها، فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسنده، وصحَّحه الألباني[٣] من حديث مُعاذ بن جبلٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «**استعينوا على إنجاحِ الحوائجِ بالكِتْمَانِ؛ فإنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ**».

ومن الوقاية ـ أيضًا ـ سِتْرُ محاسن مَنْ يُخشى عليه الإصابة بالعين، كما جاء عَنْ عُثْمانَ بْنِ عَفَّانَ ـ رضي اللَّه عنه ـ لَمَّا رأىٰ صَبيًّا مَليحًا، قال: «دَسِّمُوا نونَتَهُ ـ أي سَوِّدُوا نُقْرَتَهُ التي في ذِقْنِهِ ـ لئلاَّ تُصيبَهُ العَيْنُ». وهذا الأثر في «شرح السُّنة للبغويِّ»[٤].

عبادَ اللَّه، هذا الذي قَدَّمناه هو علاج للعين قبل وقوعها، لكن إذا وقعت فقد علمنا أنَّها إنما تَقع بقدر اللَّه، فعلينا أن ندفع قدر اللَّه بقدر اللَّه.

وذلك بسلوك الطرق الشرعية، وحَذَارِ حَذَارِ ـ يا عبدَ اللَّه ـ من الذهاب إلىٰ

---

(١) زاد المعاد (٤/ ١٧٠).
(٢) رواه البخاري (٣٣٧١).
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٣).
(٤) شرح السنة للبغوي (١٢/ ١٦٦).

المُشَعْوِذين والدَّجَّالين، يسرقُون عليك دينك ومالك، وحذَارِ حَذَارِ - يا عبدَ اللَّه - من أن ينطبق عليك قولُ رسول اللَّه ﷺ كما في «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هُرَيرةَ - رضي اللَّه عنه - : «**مَنْ أَتَى كاهنًا - فصدَّقَهَ بما يقولُ - فقَدْ كَفَرَ بما أُنْزِلَ على مُحَمَّدٍ - ﷺ -**».

ومن الطرق الشرعية: أنَّه متى عرفنا العائن، وتحقَّق أنه هو الذي أصاب المَعِينَ، فإنه يطلب منه غسل يديه وشيءٍ من بدنه؛ ليُصَبَّ على المعين، أو يشربَ منه، ولا يجوز للعائن أن يغضب؛ فإن كثيراً ما تقع الإصابة بدون إرادة العائن، حتى إنَّه قد يُصيب بعضَ أولاده، أو بعضَ ماله، فعلام الغضب؟!، وقد قدَّمنا أن العين تحصل من الرجل الصالح، كما تحصل من غير الصالح، بخلاف الحسد فلا يحصل إلا من نفسٍ خبيثةٍ.

ومن الطرق الشرعية: - إذا لم تعرف العائن - أن تضع يدك على رأس المصاب، وتقول كما جاء في «صحيح مسلم»[2] من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي اللَّه عنه - أن جِبْريلَ أتى النبيَّ - ﷺ -، فقال: «يا محمَّدُ، اشتكيت؟» فقال: «نعم». قال: «**باسمِ اللَّه أَرْقِيكَ من كُلِّ شيءٍ يُؤْذيك، مِنْ شرِّ كلِّ نفسٍ - أو عينِ حاسدٍ - اللَّهُ يَشْفيكَ، باسمِ اللَّه أرقيكَ**».

اللَّهُمَّ إنا نعوذُ بك من زوالِ نعمتك، وتحوُّل عافيتك، وفُجاءَة نقمتِك، وجميع سَخَطِك.

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣٠).

(٢) رواه مسلم (٢١٨٦).

الخطبة الأولى

لزوم جماعة المسلمين

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّهَا الناسُ، إن لزوم جماعة المسلمين أصل من أصول أهل السنة والجماعة، وجماعة المسلمين اليوم تتمثل في الحكومة الإسلامية، التي تحكم قُطْرًا من أقطار المسلمين، فيجب أن تطاع في طاعة اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، وطاعة رسول اللَّه ـ ﷺ ـ، ويَحْرُمُ الخُروج علىٰ إمام المسلمين فيها، أو عدم بيعته، أو عدم السَّمْع والطاعة لَهُ.

فالجماعة - عبادَ اللَّهِ - هي رابطة المسلمين، وقوَّتهم من قوَّتها، وضعفهم من ضَعْفِها، وقد أمرنا اللَّهُ بالجماعة، فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وحبل الله هو الجماعة، كما فَهِمَ من ذلك الصحابة، وعلى رأسهم حِبْرُ هذه الأمة عبد الله بن عبّاسٍ، رضي الله عنهما، فقد أخرج ابن أبي حاتم في التفسير بسندٍ حسنٍ [١] من حديث سماكٍ بن الوليد الحنفيِّ أنَّه لقي ابن عبَّاسٍ بالمدينة، فقال: «ما تقول في سلطانٍ علينا يظلموننا، ويشتموننا، ويعتدون علينا في صدقاتنا، ألا نمنعهم؟» قالَ ابن عباس: «لا، أَعْطِهِمْ يا حنفيُّ». وقال: «يا حنفيُّ، الجماعة الجماعةَ، إنما هلكت الأمم الخالية بتفرُّقها، أما سمعت الله - عزَّ وجلَّ - يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾؟».

وقال الإمام ابن عبد البرِّ - رحمه اللَّه - في تفسير حبل اللَّه: «وحبل الله في هذا الموضع فيه قولان: أحدُهُمَا كتاب اللَّه، والآخر الجماعة، ولا جماعة إلا بإمام، وهو عندي معنى متداخل متقارب؛ لأن كتاب اللَّه يأمر بالأُلفة، وينهى عن التفرُّق، قال اللَّه - سبحانه وتعالى - : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾» [٢].

وممَّا يدلُّ على وجوب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم عند ظهور الفتن - ما جاء في «الصحيحين» [٣] من حديث حُذَيْفَة - رضي اللَّه عنه - قال: كان الناسُ يسألون رسول اللَّه - ﷺ - عن الخير، وكنتُ أسألُهُ عن الشرِّ مخافةَ أن يُدْرِكَني، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّا كُنَّا في جاهليَّةٍ وشرٍّ، فجاءنا اللَّهُ بهذا الخيرِ، فهل بَعْدَ هذا الخيرِ من

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٤٥٥).
(٢) «التمهيد» لابن عبد البرِّ (٢١/ ٢٧٢).
(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٥)، ومسلم (٣/ ١٤٧٦).

شرٍّ؟ . قال : «نعم» . قلتُ : وهل بعد ذلك الشرِّ من خيرٍ؟ قال : «نعمْ، وفيه دَخَنٌ» قلتُ : وما دَخَنُهُ؟ قال : «قومٌ يَهْدُون بغير هَدْيِي، تَعْرِفُ منهم وتُنْكِرُ» قلتُ : فهل بَعْدَ ذلك الخير من شرٍّ؟ . قال : «نعم، دُعاةٌ عَلَى أبواب جهنَّمَ، من أجابهم إليها قذفوه فيها» . قلت : يا رسولَ اللَّه، صِفْهُمْ لنا قال : «همْ منْ جِلْدَتنا، ويتكلَّمون بألسنَتنا» قلتُ : فما تأمُرُني إن أَدْرَكَنِي ذلك؟ قال : «تلْزَم جَمَاعَةَ المسلمينَ وإمامَهُمْ» . قلتُ : فإن لم يَكُنْ لَهُمْ جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال : «فاعتزلْ تلكَ الفرَقَ كُلَّها، ولو أنْ تَعَضَّ بأَصْلِ شجرَةٍ، حتى يُدْرِكَكَ الموت وأنت على ذلك» .

قال النوويُّ ـ رحمه اللَّه ـ : «وفي حديث حُذَيفة هذا لُزُومُ جماعةِ المُسلمين وإمامِهِم، ووجُوب طاعته، وإن فَسقَ، وعَمِلَ المعاصِي مِنْ أخْذِ الأموالِ، وغيرِ ذلك، فتجبُ طاعتُهُ في غير معصيةٍ»[(١)] .

وقال ابن بطَّال ـ رحمه اللَّه ـ : «فيه حُجَّةٌ لجماعة الفقهاء في وُجُوبِ لزُومِ جماعة المُسلمينَ، وتركِ الخرُوجِ علىٰ أئمَّة الجَورِ، لأنه وصف الطَّائفَةَ الأخيرةَ بأنَّهم «دُعَاة على أبواب جهنَّمَ»، ولم يقل فيهم : تَعْرِفُ وتُنْكِرُ كما في الأَوَّلِيْنَ، وهُمْ لا يكونون كذلك إلا وهُمْ علىٰ غير حقٍّ، وأَمَرَ مع ذلك بِلُزُوم الجماعة»[(٢)] .

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: «ولهذا كان من أُصُول أهل السنَّة والجماعة لزومُ الجماعة، وتركُ قتال الأئمَّة، وتركُ القتال في الفتنة»[(٣)] .

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده»، وأبو داود في «سننه»، وابن أبي عاصم في «السنة» بسندٍ صحَّحه الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة»[(٤)] من حديث زيد بن ثابتٍ

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (١٢/ ٢٣٧) .
(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٣٧) . (٣) «الحسبة في الإسلام» (ص٧٦) .
(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ١٨٣)، وأبو داود في سننه (٣/ ٣٢٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (ص٥٠٤)، وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (ص٥٠٤) .

ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ثلاثٌ خصَال لا يَغِلُّ عليهنَّ قلبُ مسلمٍ: إخلاصُ العملِ للَّهِ، والنصيحةُ لوُلاَةِ الأُمُورِ، ولزُومُ جماعتهم؛ فإنَّ الدعوةَ تحيطُ من ورائهم».

فدلَّ هذا الحديث ـ عباد اللَّه ـ على نصيحة وُلاَةِ الأُمُور، ولزوم جماعَتِهم.

قال الإمام ابن القيِّم ـ يرحمه اللَّه ـ: «وقولُهُ: «ثلاثٌ خصال لا يَغِلُّ عليهنَّ قلبُ مسلم» أي: لا يحمل الغِلَّ، ولا يبقىٰ مع هذه الثلاثِ؛ فإنَّها تنفي الغِلَّ والغِشَّ، ومفسدات القلبِ وسخائمَهُ».

وقوله: «ومناصحة أئمَّة المسلمين»، وهذا ـ أيضًا ـ مُنافٍ للغِلِّ والغشِّ، فإن النصيحة لا تُجَامعُ الغِلَّ؛ إذْ هِيَ ضدُّهُ، فَمَن نَصَحَ الأئمَّةَ والأمَّةَ، فقد برئ من الغِلِّ.

وقولُهُ: «ولُزُوم جماعتهم» هذا ـ أيضًا ـ ممَّا يُطَهِّرُ القلبَ من الغِلِّ والغِشِّ، فإنَّ صاحبه لجماعة المسلمين يُحبُّ لهم ما يُحِبُّ لنفسه، ويكره لهم ما يكرَهُ لها، ويَسُوءُهُ ما يَسُوءُهُم، ويَسُرُّهُ ما يَسُرُّهُم، وهذا بخلاف مَنِ انحاز عنهم، واشتغل بالطَّعنِ عليهم، والذَّمِّ لهُم.

وقولُهُ: «فإنَّ دعوتهم تحيطُ من ورائِهِمْ» هذا من حسنِ الكلامِ وأوجزِهِ وأفخمِهِ معْنىً، شبَّهَ دعوة المسلمين بالسُّورِ والسِّياج المُحيطِ بِهِمْ، المانعِ من دخول عدُوِّهم عليهم»[1].

وقال ابن الأثير ـ رحمه اللَّه ـ في قوله: «فإنَّ دعوتهم تحيط من ورائهم»: «أي تَحُوطُهُم وتَكْنُفُهُم وتَحْفَظُهُمْ، يريدُ أهلَ السنةِ، دُونَ أهلِ البدعةِ»[2].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٧٧) بتصرف.

(٢) النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٢٢).

وفي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذيِّ» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن الترمذيِّ»(١) من حديث الحارث الأَشْعـريِّ - رضي اللَّه عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال: «**أنا آمرُكم بخمس، اللَّهُ أَمَرَني بهنَّ: بالجماعة، وبالسَّمع، والطَّاعة، والهجْرَة، والجهاد في سبيل اللَّه، فإنَّه مَنْ خرج منَ الجماعـة قِيْدَ شبْر، فقد خلعَ رِبْقَةَ الإسلام منْ عُنقه إلى أنْ يَرْجعَ، ومَنْ دعا بدعوى الجاهليَّة، فهو منْ جُثاء جهنَّمَ**». قالوا: يا رسولَ اللَّه، وإن صامَ وصلَّى؟!. قال: «**وإن صام وصلَّى، وزعم أنَّهُ مسلم، فادعـوا المسلمين بأسمائهم بما سمَّاهم اللَّه - عزَّ وجلَّ -: المسلمين المؤمنين عبادَ اللَّه - عزَّ وجلَّ -**».

فدل هذا الحـديثُ - عبادَ اللَّه - علـى النَّهي الشديد في مفـارقة الجمـاعة، والخروج عنـها، وأنَّ من خرج عنها قِيْدَ شِبْرٍ، فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عُنُقه، فأيُّ وعيدٍ أشدُّ من هذا؟!

قـال الخطابيُّ - رحـمـه اللَّه -: «الرِّبْقَـةُ: مـا يُجْعَلُ في عُنُقِ الدابَّة كـالطَّوقِ يُمسكُها؛ لئلاَّ تَشْرُدَ. يقول: من خرج عن طاعة الجماعة، وفارقهم في الأمر المجمع عليه - فقد ضلَّ وهَلَكَ، وكان كالدَّابَّة إذا خلعت الرِّبْقة التي هي محفوظةٌ بها، فإنَّها لا يُؤمَنُ عليها عِنْدَ ذلك الهلاكُ والضَّياعُ»(٢).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه اللَّه -: «قوله: «قِيْدَ شِبْرٍ» هي كناية عن معصية السُّلطان ومُحاربته»(٣).

وفي «صحيح مسلم»(٤) من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن النبيِّ - ﷺ - قال: «**من خرج من الطاعة، وفارق الجماعةَ فماتَ - ماتَ مِيْتةً جاهليَّةً**».

---

(١) «مسند أحمد» (٤/ ١٣٠)، و«سنن الترمذي» (٥/ ١٤٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٧٩).

(٢) «معالم السنة» للخطابي (٧/ ١٤٨).

(٣) «فتح الباري» (١٣/ ٧).

(٤) رواه مسلم (٣/ ١٤٧٦).

وأخرج أحمد في «مسنده»، والبخاريُّ في «الأدب المفرد»، وصحَّحه الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة»[(١)] من حديث فضالة بن عُبيدٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ثلاثةٌ لا تسألْ عنهم: رجلٌ فَارَقَ الجماعَة، وعصى إمامَهُ، ومات عاصيًا، وعَبْدٌ أَبَقَ فمات، وامرأةٌ غاب عنها زوجُها؛ يكفيها المؤْنَةَ، فتبرَّجتْ مِنْ بَعْدِه**».

فقوله: «**لا تسألْ عنهم**» كناية عن عظيم هَلَكَتِهم.

قال المناويُّ - رحمه اللَّه -: «قوله: «**ثلاثة لا تسأل عنهم**» أي فإنَّهم من الهالكين، رجُلٌ فارق الجماعة بقلبه، ولسانه، واعتقاده، أو ببدنِه، ولسانِه. . . الجماعة المعهودين هم جماعة المسلمين، «**وعصى إمامَهُ**» إمَّا بنحو بدعةٍ كالخوارج، وإما بنحو بَغْيٍ، أو حِرابةٍ، أو احتيالٍ، أو عدم إظهار الجماعة في الفرائض، فكُلُّ هؤلاء لا يسأل عنهم لِحِلِّ دمائهم»[(٢)].

وأخرج الطبرانيُّ في «المُعْجم الكبير»، والهيثميُّ في «المَجمع» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «ظلالِ الجنَّة»[(٣)] من حديث عبد اللَّه بن عُمَرَ - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسول اللَّه - ﷺ -: «**يَدُ اللَّهِ على الجماعة**».

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده»، والترمذيُّ في «سننه» بسندٍ صحيح، صحَّحه أحمد شاكر في «شرح المسند»[(٤)] من حديث عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - قال:

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ١٩)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٢٠٤)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (ص٤٢).

(٢) فيض القدير (٣/ ٣٢).

(٣) المعجم الكبير (١٢/ ٤٤٧)، والمجمع (٥/ ٢١٨)، وظلال الجنة (ص٤٠).

(٤) المسند (١/ ١٨)، والترمذي في سننه (٤/ ٤٦٥)، وشرح المسند (١/ ١١٢).

قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «**عليكم بالجماعة، وإيَّاكم والفُـرْقةَ؛ فإن الشيطانَ مع الواحد، وهو من الاثنين أبعدُ، منْ أراد بُحْبُوْحَةَ الجنَّة، فليَلْزَمِ الجماعةَ**».

قال أبو عُبَيْـد ـ رحمه اللَّه ـ: «أراد بِبُحْبوحَةِ الجنَّة: وسطَها» قال: «وبُحْبُوحةُ كُلِّ شيءٍ وَسَطُه وخيارُهُ»[1].

وفي «الصحيحين»[2] من حديث عبد اللَّه بن مسعودٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «**لا يَحِلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ إلاَّ بإحدى ثلاثٍ: الثيِّبُ الزَّاني، والنَّفْسُ بالنَّفْسِ، والتارك لدينه المُفَارِقُ للجماعة**».

قال العلمـاء في قوله: «**المفـارق للجمـاعة**»: «ويتناول ـ أيضًـا ـ كُلَّ خارجٍ عن الجماعة ببدعةٍ، أو بَغْيٍ، أو غيْرِها، وكذا الخوارج، واللَّه أعلم»[3].

أيها الناس، إن تلك الأحاديث وغيرها من الأحاديث لتدلُّ ـ دلالةً واضحةً ـ على وجوب لزوم جمـاعة المسلمين الذين لهم إمام ظاهر، فمن خرج على الإمام الذي بايعه المسلمون، فقد لحقَه الوعيد الشديد في الخارج عن الجماعة.

فلا يجوز لمؤمنٍ يؤمن باللَّه واليوم الآخر أن يقيمَ حِزْبًا في بلاد المسلمين، يخرج به عن جماعتهم، ويَنُمُّ به على سُلطانهم، فمن فعل ذلك فقد اتبع غيرَ سبيلِ المُؤمنين.

وقد ابتُلِينا بدُعاةٍ لبَّسوا على الناس وحزَّبوهم، وأنزلوا أحاديث الجماعة على جماعة حِزبهم، وأخذوا البيعة على أتباعهم ـ فإنا للَّه وإنَّا إليه راجعون ـ وإلى اللَّه نشكو هذا الغُثاء، فهلاَّ رجعوا إلى تفسير السلف للجماعة؟!.

---

(١) غريب الحديث (٢/ ٢٠٥).

(٢) البخاري (١٢/ ٢٠١)، ومسلم (٣/ ١٣٠٢).

(٣) شرح صحيح مسلم (١١/ ١٦٥) للنووي.

قال الإمامُ الطبـريُّ ـ رحمه اللَّه ـ : «إنَّ المراد من الخبر بلزوم الجماعة : الذين في طاعة مَنِ اجتمعوا على تأميرِهِ، فمن نكثَ عن بيعته خرج عن الجماعة» .

وقال الإمام ابن عبد البرِّ ـ رحمه اللَّه ـ : «المقْصُودُ : الجماعة على إمامٍ يُسْمَعُ لَهُ ويُطاعُ» .

وأستغفر اللَّه .

الخطبة الثانية

لزوم جماعة المسلمين

الحمد للَّه ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ رسول اللَّه، وعلىٰ آله وصَحْبه ومَنْ وَالاَهُ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، لقد سبق بيان أدلَّة لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

وعليه أقول: إن الحاكم، أو الأمير، أو الرئيس هو المختصُّ بتلك الأحاديث، وهو المختصُّ بوجوب الصبر علىٰ جَوْرِه، وإن جَلَدَ ظَهْرَكَ، وأخذ مالك؛ لأن تلك الأدلة قد علَّقها الشارع علىٰ مسمَّىٰ السلطان، أو الإمام، أو الحاكم، أو الأمير، ولم يقلْ أحد من أهل العلم: إنَّها تتعدَّىٰ إلىٰ غيره ممَّن يقع عليه اسم الأمير: كأمراء الجماعات الدَّعويَّة، فوجب التفريق بين البيعات الشرعية وبين البيعات الحزبيَّة.

ومن أنكر هذا فهو مباهتٌ، لا يستحقُّ أن يُخاطبَ بالحُجَّة؛ لأنه لا يَعْقِلُها.

أيُّهَا الناسُ، إن الصبر على جَور الأئمَّة أصل من أصول أهل السنة والجماعة، فقد جاءت أحاديث كثيرةٌ عن النبيِّ - ﷺ - تأمر بالصبر علىٰ جَوْرِ الأئمَّةِ وظُلْمهم.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث عبد اللَّه بن عبَّاسٍ - رضي اللَّه عنهما - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال: **«مَنْ كَرِهَ من أميره شيئًا فَلْيَصْبِرْ عليه؛ فإنه ليس أحدٌ من الناس خَرَجَ من السلطان شِبْرًا، فمات عليه، إلاَّ مات مِيْتَةً جاهليَّةً»**.

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٥)، ومسلم (٣/ ١٤٧٧)، واللفظ له.

وفي «الشريعة» للآجري[1] عن عمرو بن يزيدَ قال: سمعتُ الحسنَ أيَّامَ يزيدَ ابن المُهَلَّب يقول: «واللَّهِ، لو أن النَّاسَ إذا ابتُلوا من قِبَلِ سُلْطانهم صبروا، ما لبثوا أن يرفع اللَّه - عزَّ وجلَّ - ذلك عنهم، وذلك أنهم يفزعون إلى السيف فيُوكلون إليه، وواللَّهِ، ما جاءوا بيومٍ خيرٍ قَطُّ». ثمَّ تلا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

قال الإمام ابن أبي العزِّ في «شرح الطحاوية»[2]: «وأمَّا لزوم طاعتهم - وإن جاروا -؛ لأنه يترتَّب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعافُ ما يحصل من جَوْرهم، بل في الصبر على جَوْرهم تكفيرُ السيئات، ومضاعفة الأجور؛ فإن اللَّه - تعالى - ما سلَّطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل؛ فعلينا الاجتهاد في الاستغفارِ، والتوبةِ، وإصلاحِ العملِ».

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]

قال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

وقال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا

(١) الشريعة (ص٣٨).

(٢) شرح الطحاوية (ص٣٦٨).

يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

أيُّهَا الناسُ، اعلموا ـ بَارك اللَّه فيكم ـ أن مسئُولي الحكومة وُلاة أمر، فإذا طلبك ـ يا عبدَ اللَّهِ ـ أيُّ مسئولٍ في منطقَتِكَ أو غيرها للمثولِ بين يديه أو لأيِّ أمرٍ كان ـ وجب عليك السمع والطاعة، ما لم يأمرك بمعصيةٍ، فإذا أمرْكَ بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعةَ.

وبعض الناس ـ هداهم اللَّه! ـ لا يسمعون لولاة الأمور إلاَّ إذا أرسلوا قوَّةً في أثرهمْ، فهل يُشترط أن يكون الوُلاةُ معصومين، حتى نُطيعهُم في طاعة اللَّه، وطاعة رسول اللَّه؟!

أيُّهَا الناسُ، قبلَ أن أودِّع مقامي هذا، ألقي على مسامعكم كلمةً للإمام عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ـ رحم اللَّه الجميع ـ؛ لتكشفَ بعض الشُّبَه، وتردَّ على من يقول: إنَّ حُكَّام السَّلفِ غيرُ حُكَّامنا.

قال ـ رحمه اللَّهُ ـ:

«ولم يَدْرِ هؤلاءِ المفتونونَ أن أكثر وُلاةِ أهل الإسلام من عَهْد يزيدَ بن مُعاوية ـ حاشا عمرَ بنِ عبد العزيز، ومَنْ شاء اللَّه من بني أُميَّةَ ـ قد وقع منهم من الجراءةِ، والحوادثِ العظامِ، والخروج، والفساد في ولاية أهلِ الإسلام، ومع ذلك فسيرة الأَئمَّة الأعلام، والسادة العظام معهم معروفة مشهورة، لا ينزِعُون يداً من طاعةٍ فيما أمر اللَّه به ورسولُهُ من شرائع الإسلام، وواجبات الدِّين.

وأضربُ لك مثلاً بالحجَّاج بن يُوسف الثَّقفيِّ، وقد اشتهر أمره في الأُمَّة بالظُّلم، والغَشْم، والإسراف في سَفْك الدِّماء، وانتهاك حُرُمات اللَّه، وقَتْلِ من قَتَلَ من ساداتِ الأُمَّة: كسعيد بن جُبَيرٍ، وحاصر ابنَ الزُّبيرِ وقد عاذ بالحَرَمِ الشَّريفِ،

واستباح الحُرْمة، وقتل ابنَ الزُّبير - مع أنَّ ابن الزُّبيرِ قد أعطاهُ الطاعةَ -، وبايعه عامَّة أهل مكة، والمدينة، واليمن، وأكثرُ سَوَادِ العراقِ، والحجَّاجُ نائبٌ عن مروانَ، ثم عن ولدِه عبدِ الملك، ولم يَعْهَدْ أَحَدٌ من الخلفاءِ إلىٰ مروان، ولم يبايعْهُ أهلُ الحلِّ والعقدِ، ومع ذلك لم يتوقَّفْ أحدٌ من أهل العلم في طاعته، والانقياد له فيما تسوغ طاعته فيه من أركان الإسلام وواجباته، وكان ابن عمر، ومَنْ أدرك الحجَّاجَ من أصحاب رسول اللَّه - ﷺ - لا يُنازعونه، ولا يمتنعون من طاعته فيما يقوم به الإسلام، ويكملُ به الإيمان.

وكذلك من في زمنه من التابعين: كابن المسيِّب، والحسن البصري، وابن سيرينَ، وإبراهيم التيميِّ، وأشباههم ونظرائهم من سادات الأُمَّة.

واستمرَّ العمل علىٰ هذا بين علماء الأُمَّة من سادات الأُمَّةِ وأَئمَّتها، يأمرون بطاعة اللَّه ورسوله، والجهاد في سبيله مع كُلِّ إمامٍ بَرٍّ أو فاجرٍ، كما هو معروف في كتب أصول الدِّين والعقائد.

وكذلك بنو العبَّاس استولَوْا علىٰ بلاد المسلمين قهْرًا بالسيف، ولم يساعدْهم أحدٌ من أهل العلم والدِّين، وقتلوا خَلْقًا كثيرًا، وجَمًّا غَفيرًا من بني أميَّة، وأمرائهم، ونُوَّابهم، وقتلوا ابن هُبَيْرَةَ أميرَ العراق، وقتلوا الخليفة مروان، حتىٰ نُقِلَ أنَّ السَّفَّاح قَتَل في يوم واحدٍ الثمانين من بني أُميَّة، ووضع الفُرُشَ علىٰ جُثَثِهم، وجلس عليها، ودعا بالمطاعم والمشارب.

ومع ذلك فسيرة الأئمة: كالأوزاعيِّ، ومالكٍ، والزُّهْريِّ، واللَّيْثِ بنِ سَعْدٍ، وعطاء بن أَبي رباحٍ - مع هؤلاءِ الملوك لا تَخْفَىٰ علىٰ مَنْ له مُشاركة في العلم والاطِّلاع.

والطبقة الثانية من أهل العلم: كأحمد بن حَنْبلٍ، و محمَّد بن إسماعيل، ومحمَّد بن إدريس، وأحمد بن نوحٍ، وإسحاق بن راهَوَيْهِ، وإخوانهم-وقع في عصرهم من الملوك ما وقع من البدع العظام، وإنكار الصفات، ودُعُوا إلىٰ ذلك، وامْتُحِنُوا فيه، وقُتِلَ من قُتِلَ: كمحمد بن نصرٍ، ومع ذلك فلا يُعْلَمُ أنَّ أحداً منهم نزع يداً من طاعة، ولا رأىٰ الخروجَ عليهم»[1] .

اللهمَّ إنا نسألك أن تُؤلِّف بين قلوبنا، وتُوحِّدَ كلمتنا، وتجْمَعَنا علىٰ مَنْ ولَّيتهُ أمرَنا، يا ربَّ العالمين.

(١) الدُّرر السَّنِيَّة في الأجوبة النجدية (٧/ ١٧٧، ١٧٨).

الخطبة الأولى

معاملة الحكام على ضوء الكتاب والسنة

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّهَا الناسُ، إن السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين أصلٌ من أصول الدِّين الذي ندينُ اللَّهَ به، فإنه لا دينَ إلاَّ بجماعةٍ، ولا جماعةَ إلاَّ بإمامةٍ، ولا إمامةَ إلا بسمعٍ وطاعةٍ، وقد أجمع أهلُ السنة والجماعة على وجوب السمع والطاعة لولاةِ الأمور استنادًا إلى النصوص الواردة في ذلك، ومنها:

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

قال النوويُّ ـ رحمه اللَّه ـ : «المراد بأولي الأمر: مَنْ أوجب اللَّه طاعتَهُ من الوُلاة والأُمراء، وهو قول جماهير السَّلف والخَلَف من المفسِّرين، والفقهاء، وغيرهم، وقيل: هم العلماء، وقيل: هم الأمراء والعلماء»[(١)] .

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ : «والظاهرُ واللَّه أعلمُ أنها عامَّةٌ في كلِّ أُولي الأَمر من الأُمراء والعلماء»[(٢)] .

وفي «الصحيحين»[(٣)] من حديث عبد اللَّه بن عُمَرَ ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ أنه قال: «**على المرْءِ المُسْلِمِ السمْعُ والطاعةُ فيما أحبَّ وكَرِهَ، إلاَّ أن يُؤْمَرَ بمعصية، فإن أُمِرَ بمعصية فلا سَمْعَ ولا طاعةَ**».

قال الإمام القلْعِيُّ: «ولا يُفهَم من ذلك أنه إذا أَمَرَ بمعصيةٍ فلا يُسمع له مُطْلقًا في كلِّ أوامره، بل يُسمع له ويُطاعُ مُطْلقًا إلاَّ في المعصية، فلا سمعَ ولا طاعةَ»[(٤)] .

وفي «صحيح مسلم»[(٥)] من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «**عليْكَ السمْعُ والطاعةُ في عُسْرِكَ ويُسْرِكَ، ومَنْشَطِكَ ومَكْرَهِكَ، وأَثَرَةٍ عليك**».

قال العلماء: معناه: تجبُ طاعةُ وُلاة الأُمور فيما يشقُّ وتكرهُهُ النُّفُوسُ وغيره مما

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٢٣).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥١٨).
(٣) البخاري (١٣/ ١٢١)، ومسلم (٣/ ١٤٦٩).
(٤) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة (ص١١٤).
(٥) رواه مسلم (٣/ ١٤٦٧).

ليس بمعصيةٍ، فإن كانت معصية فلا سمعَ ولا طاعةَ.

وقـال النووي: «الأَثَرةُ: الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا عليكم، أي: اسمعوا وأطيعوا، وإن اختصَّ الأُمراء بالدُّنيا، ولم يصلكم حقُّكم ممَّا عندهم»[1].

أيُّها الناس، إنَّ اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ حمَّل الوُلاَة، وأوجب عليهم العدل بين الناس، فإذا لم يُقيموه أثِموا، وحمَّل الرَّعيَّةَ السمعَ والطاعةَ لهم، فإن قاموا بذلك كان الفوزُ والفلاحُ، والنجاةُ من الفتن، وإلا أثموا.

ففي «صحيح مسلم»[2] من حديثِ عَلْقمةَ بْن وائلٍ الحَضْرميِّ عن أبيه قال: سأَلَ مسلمةُ بنُ يزيدَ الجُعْفِيُّ رسولَ اللَّه ﷺ فقال: يا نبيَّ اللَّهِ، أرأيتَ إنْ قامتْ علينا أُمراءُ، يسألونا حقَّهم، ويمنعونا حقَّنا، فما تأمُرُنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو الثالثة، فَجَذَبَهُ الأَشعثُ بنُ قَيْسٍ، وقال: «**اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلوا، وعليكم ما حُمِّلْتُمْ**».

وفي «صحيح مسلم»[3] ـ أيضًا ـ من حديث حُذَيْفَةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قلتُ: يا رسول اللَّه، إنَّا كُنَّا بِشَرٍّ، فجاءَ اللَّهُ بخيرٍ، فنحنُ فيه، فهل مِنْ وراء هذا الخيرِ شرٌّ؟: قال: «نعم» قلتُ: هل وراءَ ذلك الشرِّ خيرٌ؟ قال: «نعم». قلتُ: فهل وراءَ ذلك الخير شرٌّ؟. قال: «نعم». قلتُ: كيف؟ قال: «**يكونُ بَعْدي أئمَّةٌ لا يَهْتَدُونَ بهُدايَ، ولا يستنُّون بسنَّتِي، وسيقومُ فيهم رجالٌ، قلوبُهُم قلوبُ الشياطين في جُثْمانِ إنسٍ**».

قال: قلتُ: كيف أصنعُ ـ يا رسولَ اللَّهِ ـ إن أَدْرَكْتُ ذلك؟. قال: «تَسْمَعُ وتُطِيعُ

---

(١) شرح مسلم (١٢/ ٢٢٥).
(٢) رواه مسلم (٣/ ١٤٧٤).
(٣) رواه مسلم (٣/ ١٤٧٦).

للأمير، وإن ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وأُخِذَ مالُكَ، فاسْمَعْ وأَطع».

عبادَ الله، هل أطرق مسامعكم بهذا التوجيه النبويِّ؟، وكيف أنَّ النبيَّ -ﷺ- وصف هؤلاء الأئمَّة بأنهم لا يهتدون بهَدْيِهِ، ولا يستنُّون بسنَّته؟ وذلك غاية الزَّيْغ والضَّلالِ، ونهاية الفساد والعناد، فهم لا يهتدون بالهدي النبويِّ، لا في أنفسهم، ولا في أهليهم، ولا في رعاياهم، ومع ذلك فقد أمر النبيُّ -ﷺ- بطاعتهم في غير معصية الله، كما جاء الأمر مقيَّدًا في أحاديثَ أُخَرَ.

عبادَ اللَّهِ، لو بلغ الأمر إلىٰ ضربكم، وأخْذِ مالكم، فلا يحملنَّكم ذلك علىٰ ترك طاعتهم، وعدم سماع أوامرهم، فإن هذا الجُرْمَ عليهم، وسيحاسبون ويُجازَوْنَ به يومَ القيامةِ.

فإن قادَكمُ الهوى إلى مخالفة هذا الأَمْرِ الحكيم، والشَّرْع المستقيم، فلم تسمعوا ولم تطيعوا لأميركم ـ لحقَكمُ الإثْمُ، ووقعتم في المَحْظُورِ.

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هريرة -رضي اللَّه عنه- قال: قال رسول اللَّه -ﷺ-: **«مَنْ أطاعني فقد أَطَاعَ اللَّه، ومن عصاني فقد عصى اللَّه، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أَميري فقد عصاني».**

وفي لفظٍ لمسلمٍ: **«وَمَنْ يُطِعِ الأميرَ فقد أطاعني، ومَنْ يَعْصِ الأميرَ فقد عَصَاني».**

وفي «صحيح البخاري»[(٢)] من حديث أنس بن مالكٍ -رضي اللَّه عنه- قال:

قال رسول اللَّه -ﷺ-: **«اسمعوا وأَطيعوا، وإن استُعْمِلَ عليكم عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كأَنَّ رأْسَهُ زَبِيبةٌ».**

---

(١) البخاري (١٣/ ١١١)، ومسلم (٣/ ١٤٦٦).

(٢) رواه البخاري (٧١٤٢).

وفي «الصحيحين»[(1)] من حديث عُبادة بن الصَّامت - رضي اللَّه عنه - قال: دعانا رسول اللَّه - ﷺ - فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنَا على السَّمع والطاعة في مَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا، وعُسْرِنا ويُسْرِنا، وأَثَرةٍ علينا، وألاَّ نُنازعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، قال: «**إلا أن تَرَوْا كُفْرًا بواحًا، عندكم من اللَّه فيه بُرْهَانٌ**».

أيُّها الناسُ، قد قال أهل العلم: إنه متى رأينا كُفْرًا بَوَاحًا، فالخروج على الحُكَّام مشروطٌ بالقُدْرَة، فإذا لم توجد القُدْرَةُ، فلا داعيَ لسَفْك دمائنا ودماء المسلمين، ولا نَنْزع يداً من طاعةٍ، فنحن نطيعهم من غير معصية اللَّه حِرْصًا على مصلحة المسلمين، وحَقْنًا لدمائهم.

وإننا نُحَذِّر في هذه الحالات - وغيرها - من الالتفاف حول الأحداث والمُرْجفين على وُلاة أمر المسلمين، فمثل هذه المسائل لا يفصل فيها إلا علماءُ الأُمَّة الكبار، فإذا أجمعوا على أمر بحيث لا يوجد لهم منازع فحيَّ هلا، وأمَّا الأحداث فليسوا أهلاً للاجتهاد في هذه الأمور العظام، وقد ابتليت الأمَّةُ بهذا الصِّنف من الناس خلال العصور الغابرة، وفي عصرنا هذا أشد، وسوف أضرب لكم مثلاً بعصر الإمام أحمد بن حَنْبلٍ - رحمه اللَّه -: فلقد تبنَّى الوُلاة في زمنه أحد المذاهب الفكريَّة السَّيِّئة، وحملوا الناسَ عليه بالقوة والسيف، وأُهْرِيقتْ دماءُ جَمٍّ غفيرٍ من العلماء بسبب ذلك، وفُرِضَ القولُ بخَلْق القرآن على الأُمَّة، وقُرِّرَ ذلك في كَتَاتيبِ الصِّبيان، إلى غير ذلك من الطَّامَّات والعظائم، ومع ذلك كلِّه فالإمام أَحْمَدُ لا ينازِعُهُ هوى، ولا تستجيشه العواطفُ، بل يثبت على السنة؛ لأنها خير وأهدى، فيأمر بطاعة وليِّ الأمر، ويجمع العامَّة عليه، ويقف كالجبل الشامخ في وجه من أراد مخالفة المنهج النبويِّ، والسِّيَرِ السلفية انسياقًا وراء العواطف المجرَّدة عن قُيُود الكتاب والسنَّة، أو المذاهب الثوريَّة الفاسدة.

---

(1) رواه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (٣/ ١٤٧٠)، واللفظ له.

فقد جاء في «الآداب الشرعية» لابن مُفلحٍ، والسُّنَّة للخلاَّل(١) عن حَنْبلٍ - رحمه اللَّه - قال: «اجتمع فُقَهاءُ بَغْداد في ولايةِ الواثقِ إلىٰ أبي عبد اللَّه - يعني الإمام أحمدَ بنَ حنبلٍ - رحمه اللَّه -، وقالوا له: إنَّ الأمر قد تفاقمَ وفَشَا - يعنون إظهارَ القولِ بخَلْقِ القرآنِ، وغير ذلك - ولا نرضىٰ بإمارتِهِ، ولا سُلْطانِهِ، فناظرهم في ذلك، وقال: عليكم بالإنكارِ في قُلوبكُمْ، ولا تَخْلَعُوا يداً من طاعةٍ، ولا تشقُّوا عَصَا المُسْلِمينَ، ولا تَسْفكُوا دمَاءَكُم، ودماءَ المسلمين معكم، وانظروا في عاقبةِ أَمرِكُم، واصبروا حتىٰ يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، ويُسْتَرَاحَ مِن فاجرٍ.

وقال: ليس هذا - يعني نَزْعَ أيديهم من طاعتِهِ - صوابًا، هذا خلافُ الآثار».

عبادَ اللَّهِ، ما أروعَ هذه الصُّورةَ التي نقلها الناقلون كابراً عن كابرٍ؛ لتشرحَ صراحة التطبيقِ العمليِّ لمذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب! ، ألا شاهتْ وجوهُ من تلَوَّثَتْ أفكارهم في هذا الباب، فأفسدوا أيَّما إفسادٍ، وشوَّشوا علىٰ عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب الخطير بما أَلقوه من الشُّبَهِ الفاسدةِ، والحُجَجِ الفاسدَة!.

وليتقِ اللَّهَ - تعالىٰ - هؤلاء المُرْجفون، ولينتهوا عن صَدِّ الناسِ عن سبيل اللَّه - تعالىٰ - خدمةً لأَحزابهم، أو ترويجًا لمذاهبهم الفاسدة بمثل هذه الشبه الواهية(٢).

قال العلاَّمة ابن عثَيمين - يرحمه اللَّه -: «فاللَّهَ اللَّهَ في فَهْم منهج السلف الصالح في التعامل مع السُّلطان، وألاَّ يُتَّخذَ من أخطاء السُّلطان سبيلاً لإثارة الناس، وإلىٰ تنفير القلوب عن وُلاة الأُمور؛ فهذا عَيْنُ المفسدة، وأحد الأُسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس».

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ١٩٥ - ١٩٦) وأخرج القصة الخلال في السنة (ص ١٣٣).

(٢) انظر مقدمة كتاب معاملة الحُكَّام في ضوء الكتاب والسنة لابن برجس.

كما أنَّ مَلْءَ القلوب على العلماء يُحْدِثُ التقليلَ من شَأْنِ العُلَماء، وبالتالي التقليل من الشريعة التي يحملونها.

فإذا حاول أحدٌ أن يقلِّلَ من هَيْبة العلماء، وهَيْبة وُلاة الأمر - ضاع الشرعُ والأمن؛ لأنَّ الناسَ إن تكلَّم العلماءُ، لم يثقوا بكلامهم، وإن تكلَّم الأمراءُ تمرَّدوا على كلامهم، وحصل الشرُّ والفسادُ، فالواجب أن ننظر ماذا سلك السلفُ تُجاهَ ذوي السُّلطان، وأن يضبط الإنسانُ نفسَهُ، وأن يعرف العواقب، ولْيُعْلَمْ أن من يثور إنما يخدمُ أعداءَ الإسلام، فليست العِبْرَةُ بالثورة، ولا بالانفعال، بل العِبْرَةُ بالحكمة»[1].

وأستغفرُ اللَّه.

(٢) إصلاح الراعي والرَّعية لابن عُثيمين (ص).

الخطبة الثانية

معاملة الحكام على ضوء الكتاب والسنة

الحمد للَّه ربِّ العالمين، ولا عُدْوانَ إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصَحْبه أجمعين، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، سبق الحديث عن طاعة وُلاة الأمور، والآنَ حديثي معكم حَوْلَ المُنْكراتِ الصادرةِ عن الحُكَّام.

أيُّهَا الناس، إن مذهب أهل السنة والجماعة وجوبُ إنكار المنكر بالضوابط الشرعية التي جاءت بها السنة، وكان عليها سلفُ هذه الأمَّة، فمنها أن يُناصَحَ وُلاةُ الأمورِ سِراً فيما صدر عنهم من مُنْكرات، ولا يكون ذلك على رءوس المنابر، وفي مجامع الناس؛ لما يَنْجُمُ عن ذلك - غالبًا - من تأليب العامَّة، وإثارة الرعاع عليهم، وإشعال الفتن[1].

والعمدة في ذلك ما أخرجه الهيثميُّ في «المجمع»، وابن أبي عاصمٍ في «السنة»، والحاكم في «المستدرك» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في كتابه «ظلال الجنَّة في تخريج السُّنة»[2] من حديث عياض بن غَنَمٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه - ﷺ -: **«مَنْ أراد أن ينصحَ لسُلطان بأمرٍ، فلا يُبْدِ لَهُ علانيةً، ولكن ليأخُذْ بيده، فيخلو به، فإن قَبِلَ منه فذاك، وإلاَّ كان قد أَدَّى الذي عليه له»**.

---

(١) انظر كتاب معاملة الحكام لابن برجس (ص٤٣).

(٢) المجمع (٥/ ٢٢٩)، والسنة (٢/ ٥٢٢)، وظلال الجنة (٢/ ٥٢١، ٥٢٢).

عبادَ اللَّهِ، هذا الحديث أصل في إخفاء نصيحة السُّلطان، وأن الناصح إذا قام بالنُّصْحِ على هذا الوجه، فقد بَرِئ وخلتْ ذمَّتُهُ، والحُجَّة إنما هي في حديث رسول اللَّه ـ ﷺ ـ لا في قولٍ أو فعلِ أحدٍ من الناس مهما كان.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥١-٥٢].

أيُّها الناسُ، إن النصيحة لوُلاةِ الأمور يجب أن تكون سرًّا بناءً على هذا الحديث العظيم.

قال الإمام عبد العزيز بن باز ـ رحمه اللَّه[1] ـ: «ليس من منهج السلف التشهير بعُيوب الوُلاة، وذِكْرُ ذلك على المنابر؛ لأنَّ ذلك يُفضي إلى الانقلابات، وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويُفضي إلى الخروج الذي يضرُّ ولا ينفعُ، ولكن الطريقة المتَّبعة عند السلف النصيحةُ فيما بينهم وبين السُّلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتَّصلون به؛ حتَّى يُوجَّهَ إلى الخير، وإنكارُ المنكرِ يكون من دون ذكر الفاعل، فينكر الرِّبا من دون ذكر مَن فعلَه، ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير ذكر أن فلانًا يفعلها لا حاكمًا ولا غير حاكم، ولمَّا وقعت الفتنة في عهدِ عثمانَ، قال بعضُ الناس لأسامة بن زَيْدٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ: «ألا تُنكرُ على عثمانَ؟». قال: «أَؤُنكِرُ عليه عند الناس؟!، لكن أنكر عليه بيني وبينَهُ، ولا أفتحُ بابَ شَرٍّ على الناس».

ولمَّا فتحوا الشرَّ في زمن عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ، وأنكروا على عُثمانَ جَهْرةً، تمَّت الفتنةُ والقتال والفسادُ، الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم، حتى حصلت الفتنة بين عليٍّ ومعاويةَ، وقُتِلَ عُثمانُ وعليٌّ بأسباب ذلك، وقتل جمٌّ كثيرٌ من

---

(١) من فتاوى للشيخ مطبوعة في آخر رسالة حقوق الراعي والرعية (ص٢٧، ٢٨).

الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العَلَنيِّ، وذكر العيوب عَلَنًا، حتىٰ أبغض الناسُ وليَّ أمرهم، وحتىٰ قتلوه، نسأل اللَّهَ السلامةَ!»

ومِمَّا يدلُّ على إخفاء النصيحة للسُّلطان، والمنع من إعلان الإنكار عليه ـ ما أخرجه الإمام أحمدُ في «مسنده»، والهيثميُّ في «المجمع» بإسنادٍ حسن، حسَّنه الألبانيُّ في تخريج السُّنَّة[١] من حديث سعيد بن جمهان قال: «أتيت عبد اللَّه بن أبي أَوْفَىٰ وهو محجوبُ البصيرة، فسلَّمتُ عليه. قال لي: مَنْ أنت؟ فقلتُ: أنا سعيدُ ابن جُمْهانَ. قال: فما فَعَلَ والدكَ؟ قال: قَتَلَتْهُ الأزارقةُ. قال: لعن اللَّهُ الأزارقة!، لَعَنَ اللَّهُ الأزارقة!، لَعَنَ اللَّهُ الأزارقة!، حدَّثنا رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ أنهم كلابُ النار قال: قلتُ: الأزارقة وَحْدَهم أم الخَوَارج كُلُّها؟ قال: بلىٰ، الخوارج كلُّها. قال: قلتُ: فإنَّ السُّلطان يظلم الناس، ويفعل بهم. قال: فتناول يدِي، فَغَمَزَها بيده غَمْزةً شديدةً، ثم قال: وَيْحَكَ ـ يا بن جُمْهانَ ـ عليك بالسَّوَادِ الأعظمِ، إن كان السُّلطانُ يسمعُ منك، فأْتِه في بيته، فأخبِرْهُ بما تعلم، فإن قَبِلَ منك، وإلاَّ فَدَعْهُ؛ فإنك لستَ بأعلمَ منه».

وممَّا يدلُّ على ذلك ما جاء في «الصحيحين»[٢] عن أُسامةَ بنِ زيدٍ أنه قيل له: ألا تدخلُ علىٰ عُثْمَانَ لتكلِّمَهُ؟!. فقال: «أترون أنِّي لا أكلِّمُهُ إلاَّ لأُسمعكم؟!، واللَّهِ، لقد كلَّمتُهُ فيما بيني وبَيْنَهُ، ما دُونَ أن أفتحَ أمرًا لا أُحِبُّ أن أكونَ أوَّلَ مَنْ فتحه».

قال العلاَّمة الألباني ـ رحمه اللَّه ـ في تعليقه على هذا الحديث: «يعني المجاهرةَ بالإنكار علىٰ الأُمراء في الملإ؛ لأن في الإنكار جِهاراً ما يُخشىٰ عاقبتُهُ، كما اتفقَ في الإنكار علىٰ عُثمان جِهاراً، إذْ نشأ عنه قتلُهُ».

---

(١) المسند (٤/ ٣٢٢)، والمجمع (٥/ ٢٣٠) وتخريج السنة (٢/ ٥٢٣).

(٢) رواه البخاري (٦/ ٣٣٠)، ومسلم (٤/ ٢٢٩٠)، واللفظ له.

ومن دُرر العلاَّمةَ محمد بن صالح العُثَيمين ـ رحمه اللَّه ـ قوله:

«فإن مخالفة السلطان فيما ليس من ضروريَّات الدِّين عَلَنًا، وإنكار ذلك عليه في المحافل، والمساجد، والصُّحف، ومواضع الوعظ ـ وغير ذلك ـ ليس من باب النصيحة في شيء، فلا تَغْتَرَّ بمن يَفْعَلُ ذلك، وإن كان عن حسْنِ نيَّةٍ؛ فإنَّه خلافُ ما عليه السَّلفُ الصالحُ المقتدىٰ بهم، واللَّه يتولَّىٰ هُداك»[1].

اللَّهُمَّ أصلحْ وُلاةَ أمورنا، وأعنَّا علىٰ طاعتِهم، والصَّبْرِ علىٰ جَوْرِهم، يارَبَّ العالمين.

---

(١) مقاصد الإسلام (ص٣٩٣).

الخطبة الأولى

مخالفات في العقيدة

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عَنْ بَعْضِ الْمخالفاتِ في العقيدةِ، التي يقعُ فيها كثيرٌ من الناس.

والعقيدةُ ـ أيُّها الناسُ ـ أمرُها عظيمٌ؛ فوجب علينا تعلُّمُها، وتعليمُها للناس، وذلك بالدَّعْوة إليها، فإنَّ ذلك سببٌ لإقامةِ دولةِ الإسلام في الدُّنيا، والنجاةِ في الآخرة.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

أيُّها الناسُ، إنَّ المُخالفاتِ في العقيدةِ كثيرة، وسوف أذكرُ طَرَفًا منها؛ لنتجنَّبَها.

فمن المخالفات الاستغاثة بغير اللَّه، وصَرْف العبادة لغير اللَّه: كالجِنِّ، والأولياءِ، والمشايخ، والذَّبحِ لهم، وسؤالِهم غُفْرَانَ الذُّنوبِ، وكَشْفَ الكُرُوبِ، وحُصولَ المطلوبِ. وهذا واقعٌ في أكثر البُلدان الإسلاميَّةِ، والذي يعملُ هذا العملَ ـ أو بَعْضَهُ ـ فقد وقع في الشِّرْكِ الأكبرِ. قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

قال ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ[1]: «أي: ولا يَأْمُرُكُم بعبادةِ أَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ، لا نبيٍّ مُرْسلٍ، ولا مَلَكٍ مُقرَّبٍ».

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

أي: فلا تعبدوا مع اللَّه أحدًا؛ إذْ عِبادةُ غَيْرِ اللَّهِ مع اللَّهِ ـ أيًّا كان هذا المَعْبُود نبيًّا مُرْسلاً أو مَلَكًا مُقرَّبًا ـ فهي من إشراكِ غَيْرِ اللَّهِ مع اللَّهِ في أمرٍ خاصٍّ باللَّهِ، الذي هو الشِّرْكُ الأَكْبرُ، الذي قال اللَّه عنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

---

(١) تقدم تخريجه.

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومن المخالفات ـ أيُّها الناسُ ـ إتيانُ السَّحَرَة، والكُهَّان، والعرَّافين، ونَحْوِهِمْ، وتصديقُهم بما يقولون، فإنَّ هذا من الكُفر بما أُنْزِلَ علىٰ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ.

ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هُريرَةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَتَى كاهنًا ـ فَصَدَّقَهُ بما يقولُ ـ فقدْ كَفَرَ بما أُنْزِلَ على محمَّدٍ ـ ﷺ ـ».

وأخرج أبو داود بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود»[(١)] من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصينٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «**ليس منَّا مَنْ تطيَّرَ أو تُطيِّرَ لَهُ، أو تَكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ لَهُ، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له، ومَنْ أَتَى كاهنًا ـ فصدَّقَهُ بما يقولُ ـ فقدْ كَفَرَ بما أُنْزِلَ على محمَّدٍ ـ ﷺ ـ**».

أيُّهَا الناسُ، إنَّ هذه الأحاديثَ لتدلُّ ـ دلالةً قاطعةً ـ على كُفْرِ الكاهنِ والسَّاحرِ، لأنهما يدَّعيانِ عِلْمَ الغَيْبِ، وذلك كُفْرٌ، ولأنهما لا يتوصَّلانِ إلىٰ مقصدهما إلاَّ بخدمة الجنِّ وعبادتهم مِنْ دُونِ اللَّهِ، وذلك كُفْرٌ باللَّهِ، وشِرْكٌ به ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٩٨)، وانظر صحيح سنن أبي داود (٣٣٠٤).

الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال العلاَّمة ـ ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ: «فدلَّتْ هذه الآيةُ علىٰ أنَّ السِّحْرَ كُفْرٌ، وأنَّ السَّحَرَةَ يُفرِّقون بَيْنَ المَرْءِ وزَوْجِهِ، كما دلَّتْ علىٰ أنَّ السِّحْرَ ليس بمُؤَثِّرٍ لذاتِه نَفْعًا ولا ضرًّا، وإنما يُؤَثِّرُ بإذْنِ اللَّهِ ـ تعالىٰ ـ الكَوْنِيِّ القَدَرِيِّ؛ لأنَّ اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ هو الذي خَلَقَ الخَيْرَ والشرَّ.

كما دلَّتِ الآيةُ الكريمةُ علىٰ أنَّ الذين يتعلَّمون السِّحْرَ إنَّما يتعلَّمون ما يضرُّهم ولا يَنْفَعُهم، وأنَّه ليس لهم عند اللَّه مِنْ خَلاَقٍ ـ أي: حَظٌّ ونصيبٍ ـ وهذا وعيدٌ عظيمٌ يدلُّ علىٰ شدَّةِ خسارتِهم في الدُّنيا والآخرةِ، وأنَّهم باعوا أنفسَهُم بأَبْخَسِ الأثمانِ، ولهذا ذمَّهُمُ اللَّهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علىٰ ذلك بقول: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾»[١].

وأخيرًا ـ أيُّها الناسُ ـ إنَّ للساحرِ علاماتٍ يُعْرَفَ بها، منها:[٢]

١ ـ يسأل المريضَ عَن اسْمِهِ، أوِ اسْمِ أمِّهِ.

٢ ـ يأخذ أَثَرًا مِنْ آثارِ المريضِ (ثوب ـ قَلَنْسُوَة ـ مِنْدِيل ـ فنيلَة . . . .).

٣ ـ أحيانًا يطلبُ حيوانًا بصفاتٍ مُعيَّنةٍ؛ ليذبَحَهُ ولا يذكرُ اسْمَ اللَّه عليه، وربُّما لطَّخ بدمِهِ أماكنَ الأَلَمِ مِنَ المريضِ، أو يرمي به في مكانٍ خرِبٍ.

٤ ـ كتابة الطَّلاسم.

٥ ـ تلاوةُ العزائم والطَّلاسم غَيْرَ مفهومةٍ.

٦ ـ إعطاء المريضِ (حِجابًا) يحتوي علىٰ مُربَّعاتٍ، بداخِلها حروفٌ أو أرقامٌ.

---

(١) الإرشاد إلىٰ صحيح الاعتقاد (ص١٠١، ١٠٢).

(٢) استفدت هذه العلامات من كتاب الصارم البتَّار لوحيد عبد السلام بالي (ص٣٩، ٤٠).

٧ ـ يأمُرَ المريضَ بأنْ يَعْتزِلَ الناسَ فترةً مُعَيَّنةً في غُرْفةٍ، لا تدخلُها الشمسُ، ويُسمِّيها العامَّةُ (الحُجْبَة).

٨ ـ أحيانًا يطلبُ من المريضِ ألاَّ يمسَّ ماءً لمدَّةٍ معيَّنةٍ، غالبًا ما تكونُ أربعين يومًا.

٩ ـ يُعطي للمريضِ أشياءَ يدفنُها في الأرضِ.

١٠ ـ يُعطِي للمريضِ أوراقًا، يُحرِقُها، ويتبخَّرُ بها.

١١ ـ يتكلَّمُ بكلامٍ غَيْرِ مفهوم.

١٢ ـ أحيانًا يُخبرُ الساحرُ المريضَ باسمِهِ، واسمِ بلدِهِ، ومُشْكلتِهِ التي جاء مِنْ أجلِها.

١٣ ـ يكتبُ للمريضِ حُروفًا مقطَّعةً في ورقةٍ (حجابٍ)، أو في طبقٍ من الخَزَفِ الأبيض، ويأمرُ المريضَ بإذابتِهِ وشُرْبِهِ.

أيُّها الناسُ، تلك بعضُ علاماتِ الساحرِ، فمتى رأيتَ ـ يا عبدَ اللَّه ـ علامةً واحدةً من تلك العلامات وفي أحدِ المُعالجين، فهو ساحرٌ بلا أدنى رَيْبٍ، فإيَّاك والذَّهابَ إليه، وإلا ينطبق عليك قولُ النَّبيِّ ـ ﷺ ـ: «مَنْ أَتَى كاهنًا ـ فصدَّقَهُ بما يقولُ ـ فقدْ كَفَرَ بما أُنْزِلَ على محمَّدٍ ـ ﷺ ـ» رواه الإمامُ مسلم[1] من حديث أبي هريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ.

ومن المخالفات ـ أيُّها الناسُ ـ الغُلُوُّ في الرَّسولِ ـ ﷺ ـ والتوسُّلُ بجاهِهِ، والإطراءُ في مَدْحِه.

ولا شكَّ أنَّ لنبيِّنا محمَّدٍ ـ ﷺ ـ منزلةً عظيمةً، ومكانةً رفيعةً، لا يبلُغُها أَحَدٌ، لا مَلكٌ، ولا إنسٌ، ولا جانٌّ، فهو صاحبُ الشفاعةِ، وأكثرُ الأنبياءِ تَبَعًا يومَ القيامةِ،

(١) سبق تخريجه.

وقد وصفه ربُّه بصفاتٍ عُظمىٰ، منها: قولُه ـ سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومن حِرْصِه علينا أنَّه نهانا عَنِ الغُلُوِّ فيه.

ففي «صحيح البخاري»[1] من حديث عُمَرَ بنِ الخطَّابِ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «**لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النَّصارى ابْنَ مَرْيَمَ، فإنما أنا عَبْدُه، فقولوا: عَبْدُ اللَّه، ورسولُه**». أي: لا تَمْدَحُوني بالباطل، ولا تُجاوزوا الحدَّ في مَدْحي، كما غَلَتِ النَّصارىٰ في عيسىٰ ـ عليه السلام ـ، فادَّعَوْا فيه الأُلُوهيَّةَ، وصِفُوني بما وَصَفَني به ربِّي، فقولوا: عبدُ اللَّهِ، ورسولُهُ.

أيُّها الناسَ، إنَّ الرسول ـ ﷺ ـ هو أفضلُ الخلق وأشْرَفُهم علىٰ الإطلاق، وقد أَرْشَدَنا أنْ نَصِفَهُ بصفتين، هما: عَبْدُ اللَّه، ورسولُه، فهو عَبْدٌ لا يُشارِكُ الرَّبَّ في شيءٍ من خصائصِه، وقد خالَفَ نَهْيَهُ ﷺ كثير من الناس، فصاروا يَدْعُونَهُ، ويطلبون منه مغفرةَ الذُّنوبِ، وأن يُدْخِلَهُمُ الجنَّةَ، ويَسْتَغيثون به، ويحلِفُونَ به، ويطلبون منه ما لا يُطْلَبُ إلاَّ من اللَّه، كما يُفعَلُ ذلك في الموالدِ، والقصائدِ، والأناشيدِ. ومن الناس مَنْ يتوسَّلُ بجاهِ النبيِّ ﷺ ومُسْتَنَدُهُمْ في هذا الفِعْلِ إلىٰ حديث: «**توسَّلُوا بجاهي، فإنَّ جاهي عندَ اللَّه عظيمٌ**». وهذا حديث باطلٌ لا أَصْلَ لَهُ في شيءٍ من كُتُبِ الحديثِ الستَّة.

قال شيخُ الإسلامِ ـ رحمه اللَّه ـ في كتابه «قاعدة جليلة في التوسُّلِ والوسيلة»[2]: «مَعَ أنَّ جاهَهُ ـ ﷺ ـ أعظمُ مِنْ جاهِ جميع الأنبياءِ والمُرْسلين، ولكن جاه المخلوقِ عندَ الخالقِ ليس كجاهِ المخلوقِ عندَ المخلوقِ، فإنَّه لا يشفعُ عندَهُ أحدٌ إلاَّ بإذْنِهِ، والمخلوق يشفعُ عندَ المخلوقِ بغيرِ إذْنِهِ، فهو شريك لَهُ في حُصُول

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٥) و(٦٨٣٠). (٢) قاعدة جليلة في التوسُّل والوسيلة (ص١٤٧).

المطلوب، واللَّهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ لا شريكَ لَهُ، كما قال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢ـ٢٣].

ومن الـمُخالفات ـ أيُّها الناس ـ تعليقُ التمائم، وهي خرزةٌ، وكتابٌ مكتوبٌ في داخله حُرُوفٌ أو أرقامٌ، أو كلامٌ غيرُ مفهومٍ، فَمَن اعتقد أنَّها تدفع منه الآفات، فقد وقع في الشِّرك؛ إذ لا مانعَ إلاَّ اللَّه، ولا دافعَ غَيْرُهُ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٥٣ـ٥٤].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

فدلَّت هذه الآياتُ الكريماتُ دلالَةً واضحةً علىٰ أنَّه لا يكشفُ الضُّرَّ إلاَّ اللَّهُ، وأنَّهُ ـ سُبحانه ـ هو الذي يلجأ إليه العبادُ لجلب الخَيْرِ، ودَفْعِ الشرِّ، وهو القادرُ علىٰ ذلك بسببٍ، وبغير سببٍ.

واللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ جعل سببًا شرعيًّا وطبيعيًّا للشفاء، فالسببُ الشرعيُّ: هو الالتجاءُ إلىٰ اللَّهِ وَحْدَهُ، يكشفُ عنَّا الضُّرَّ. والسببُ الطبيعيُّ: هو الدَّوَاءُ.

وأمَّا التمائمُ فقد حرَّمها اللَّهُ علىٰ لسانِ رسولِهِ ـ ﷺ ـ، بل عدَّها مِنَ الشِّرْكِ.

ففي «مسند» أحمدَ بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ[(١)] من حديث عُقْبَةَ بنِ عامرٍ الجُهنيِّ - رضي اللَّه عنه - أنَّ رسول اللَّه ﷺ أَقْبَلَ عليه رَهْط، فبايع تسعةً، وأمسَكَ عَنْ واحدٍ، فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، بايعت تسْعةً، وتركتَ هذا؟! قال: «إنَّ عليْه تميمةً». فأَدْخَلَ يَدَهُ فقطعها، فبايعه، وقال: «مَنْ عَلَّقَ تميمةً فقدْ أَشْرَكَ».

وفي «مسند أحمد» بسندٍ حَسَنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[(٢)] من حديث عيسىٰ بن عبد الرَّحمن قال: دخلْنا علىٰ عبدِ اللَّهِ بن عُكَيمٍ، وبه حُمْرَةٌ (أي داءٌ من جِنْس الطواعين، يَعْتَري الناسَ، فَيَحْمَرُّ مَوْضِعُهُ ويَرِمُ)، فقلتُ: ألاَ تُعَلِّقَ شيئًا؟. فقال: المَوْتُ أَقْرَبُ مِنْ ذلك؛ قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «مَنْ تَعَلَّقَ شيئًا وُكِلَ إليه».

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة»[(٣)] عَنْ زَيْنَبَ امرأة عبد اللَّه (يعني ابْنَ مسعودٍ) قالتْ: كان عَبْدُ اللَّه إذا جاء مِنْ حاجةٍ، فانتهىٰ إلىٰ البابِ، تَنَحْنَحَ وبَزَقَ كراهيَةَ أنْ يَهجمَ منَّا علىٰ شيءٍ يَكْرَهُهُ. قالتْ: وإنَّه جاءَ ذاتَ يوم فَتَنَحْنَحَ. قالتْ: وعِندي عجوزٌ تَرْقِيني مِنَ الحُمرَةِ، فأَدْخَلْتُها تحتَ السَّريرِ، فدَخَلَ وجَلَسَ إلىٰ جَنْبِي، فرأىٰ في عُنُقِي خَيْطًا، قال: ما هذا الخَيْط؟ قالتْ: خَيْطٌ أُرْقِيَ لي فيه. قالتْ: فأخَذَهُ، فقطَعَهُ، ثمَّ قال: إنَّ آل عَبْد اللَّه لأَغْنياءُ عَنِ الشِّرْك، سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «إنَّ الرُّقَى، والتَّمَائمَ، والتِّوَلَةَ شِرْكٌ». قالوا: يا أبا عَبْد الرَّحمن، هذهِ الرُّقَىٰ والتمائمُ قَدْ عَرَفْنَاهُما، فما التِّوَلَةُ؟ قال: شيءٌ تَصْنَعُهُ النِّساءُ، يَتَحبَّبْنَ إلىٰ أَزْواجِهِنَّ.

وأستغفرُ اللَّه.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٥٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٩٢).
(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢١٠) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٥٦).
(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٨١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١/ ٥٨٤).

الخطبة الثانية

مُخالفات في العقيدة

الحَمْدُ للَّه ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المُرْسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّهَا الناسُ، سبق الحديث معكمْ حَوْلَ مُخالفاتٍ في العقيدة، وما مِنْ شكٍّ أنَّ المخالفاتِ بَحْرٌ لا ساحلَ له، ومُحيطٌ بعيدُ الأعماقِ، والذي يعصِمُ الإنسانَ مِن الوُقُوعِ في المخالفاتِ هُوَ العِلمُ.

والحديثُ عَن العِلْمِ ذُو شُجُونٍ، ويكفي في معرفةِ فضل العلمِ أنَّ اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ فَضَّلَ الكَلْبَ المُعَلَّمَ على الكلبِ غَيْرِ المُعَلَّمِ، وجعل صَيْدَ الكلبِ المُعَلَّمِ حَلالٌ، وحرَّم صَيْدَ الكَلْبِ غَيْرِ المُعلَّم.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٤].

أيُّها الناسُ، من المخالفات التي يقعُ فيها كثيرٌ من الناس القَوْلُ بأنَّ اللَّه في كُلِّ مكانٍ، وهذا القولُ مخالفٌ لكتابِ اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ، وسُنَّة رسولِ اللَّه ﷺ، وإجماعِ السَّلَفِ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

وقد فسَّر السَّلَفُ الاستواء بالعُلُوِّ والارتفاع.

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [المُلك: ١٦].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ

يرفعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النَّحل: ٥٠].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ ـ رضي اللَّه عنه ـ أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قال: «ألا تأمَنُوني وأنا أمينُ مَنْ في السَّماءِ، يأتيني خَبَرُ السماءِ صباحًا ومساءً؟!».

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديثِ مُعاويةَ بْنِ الحَكَم السُّلَميِّ ـ رضي اللَّه عنه ـ أنَّ النَّبيَّ ـ ﷺ ـ قال للجارية: «أيْنَ اللَّه؟». قالت: في السَّماءِ. قال: «مَنْ أنا؟» قالتْ: أنت رسولُ اللَّه. قال: «أَعْتِقْها؛ فإنَّها مُؤمنة».

وهذه الأدلة كُلُّهَا تدلُّ علىٰ أنَّ اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في السَّماءِ، وهو معنا في كُلِّ مكان بِعلْمِه، لا يخلو منه شيءٌ، ومَن اعتقدَ أنَّ اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في كُلِّ مكانٍ بذاتِهِ فهو كافرٌ يُستتابُ، وكيف لا يكون كافراً مَنِ اعتقدَ ذلك، ومَوْضع أقدامِهِ يُطلَقُ عليها مكانٌ، والمَزَابِلُ يُطْلَقُ عليها مكانٌ؟!، وقِسْ علىٰ ذلك.

فما هو حكمُ مَنِ اعتقدَ أنَّ ربَّهُ في كُلِّ مكانٍ بذاته؟!

ورَحِمَ اللَّهُ إمامَ الأئمَّة ابْن خُزَيْمةَ حيثُ قال: «مَنْ لم يُقِرَّ بأنَّ اللَّهَ علىٰ عَرْشِهِ، استوىٰ فوق سَبْعِ سَمواتِهِ، بائنٌ (أي مُنْفَصِلٌ) من خَلْقِهِ ـ فهو كافرٌ، يُستَتَابُ، فإن

---

(١) رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

(٢) رواه مسلم (٥٣٧).

تاب، وإلاَّ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وأُلْقِي على مَزْبَلَةٍ؛ لئلاَّ يتأذَّى بريحِهِ أهلُ القِبْلَةِ، وأَهْلُ الذِّمَّةِ».

أيُّهَا الناسُ، إن كلامَ السَّلَفِ في استواءِ اللَّهِ على عَرْشِهِ أكثرُ مِنْ أنْ يُحْصَرَ في خُطْبَةٍ، وسوف أذكر طَرَفًا مِنْ ذلك:

قال الأوزاعيُّ ـ رحمه اللَّه ـ : «كُنَّا ـ والتابعون متوافرون ـ نقولُ: إنَّ اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ فَوْقَ عَرْشِهِ، ونُؤمِنُ بما وَرَدَتْ به السُّنَّةُ مِنْ صِفاتِهِ».

وقال الإمامُ مالكٌ ـ رحمه اللَّه ـ : «اللَّهُ في السماءِ، وعِلْمُهُ فِي كُلِّ مكانٍ، لا يخلو منه شيءٌ».

وعن عليِّ بْنِ الحُسينِ بْنِ شقيقٍ قال: قلتُ لعبدِ اللَّهِ بْنِ المُباركِ: «كيف نَعْرِفُ رَبَّنا ـ عَزَّ وجَلَّ ـ؟ قال: في السماءِ السَّابعةِ على عَرْشِهِ، ولا نقولُ كما تقولُ الجهْمية: إنَّهُ ها هُنا في الأَرْضِ» فقيل هذا لأحمدَ بْنِ حَنْبلٍ، فقال: «هكذا هو عِنْدَنا».

وقال الشافعيُّ ـ رحمه اللَّه ـ : «القولُ في السُّنَّة التي أنا عليها، ورأيتُ عليها الذين رأيتُهم ـ مِثْلَ سُفْيانَ، ومالكٍ، وغَيْرِهِما ـ الإقرارُ بشَهادةِ أن لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ، وأنَّ اللَّهَ على عَرْشِهِ في سمائِهِ، يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ كيفَ شاءَ، ويَنْزِلُ إلى السماءِ الدُّنيا كيف شاء».

وقيل للإمام أحمدَ ـ رحمه اللَّه ـ : «اللَّهُ فَوقَ السماءِ السابعةِ على عَرْشِهِ، بائنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وقُدْرَتُهُ وعِلْمُهُ بكُلِّ مكانٍ؟» قال: «نَعَمْ، هو على عَرْشِهِ، ولا يخلو شيءٌ مِنْ عِلْمِهِ».

وعَنْ عبدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أبي حاتمٍ قال: سألتُ أبي وأبا زُرْعَةَ ـ رحمهما اللَّه ـ عَنْ مَذْهَبِ أهلِ السُّنَّةِ في أصولِ الدِّينِ، وما أَدْرَكَا عليه العلماءَ في جميعِ الأَمْصارِ، وما

يَعْتقدانِ مِنْ ذلك، فقالا: «أدْرَكْنا العلماءَ في جميعِ الأمصارِ، فكان من مذاهبهم أنَّ الإيمانَ قولٌ وعَمَلٌ، يَزيدُ ويَنْقُصُ، والقُرآنَ كلامُ اللَّهِ، غَيْرُ مخلوقٍ بجميع جهاتِهِ، والقَدَرَ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ مِنَ اللَّهِ ـ تعالى ـ، وأنَّ اللَّه على عَرْشِهِ، بائنٌ مِنْ خَلْقِهِ، كما وَصَفَ نَفْسَهُ في كتابِهِ، وعلى لسانِ رسولِهِ بلا كيف، أحاط بكُلِّ شيءٍ عِلْمًا، ليس كمِثْلِهِ شيءٌ، وهو السميعُ البصيرُ».

وقال عبدُ القادرِ الجيليُّ ـ رحمه اللَّه ـ: «وهو مُسْتوٍ على العَرْشِ، مُحْتوٍ على المُلْكِ، مُحيطٌ عِلْمُهُ بالأشياء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] ولا يجوزُ وصفُهُ بأنَّهُ في كُلِّ مكانٍ، بل يُقالُ: إنَّهُ في السماء على العَرْشِ، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. وينبغي إطلاق ذلك مِنْ غَيْرِ تأويلٍ، وكونُهُ على العَرْشِ فمذكورٌ في كُلِّ كتابٍ أُنزِلَ على كُلِّ نبيٍّ أُرْسِلَ بلا كيف»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيْمِيَّةَ ـ رحمه اللَّه ـ: «وَقَدْ دخل فيما ذكرنا من الإيمان بالله الإيمان بما أَخْبَر اللَّهُ به في كتابهِ، وتواتَرَ عَنْ رسولِهِ، وأَجْمَعَ عليه سَلَفُ الأُمَّة مِنْ أنَّهُ ـ سبحانه ـ فوق سَمواتِهِ على عَرْشِهِ، عليٌّ على خَلْقِهِ، وهو سبحانه معهم أيْنَما كانوا، يَعْلَمُ ما هم عاملون، كما جَمَعَ بيْنَ ذلك في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وليس معنى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾: أنه مُخْتَلِطٌ بالخَلْقِ؛ فإنَّ هذا لا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ،

---

(١) مختصر العُلُوِّ للذهبي بتحقيق الألباني (ص١٣٧).

وهو خِلافُ ما أَجْمَعَ عليه سَلَفُ الأُمَّةِ، وخِلافُ ما فَطَرَ اللَّهُ عليه الخَلْقَ، بَلِ القَمرُ آيةٌ من آياتِ اللَّهِ، ومِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقاتِهِ، وهو موضوعٌ في السماءِ، وهُوَ مَعَ المُسافِرِ، وغيرِ المُسافِرِ، أَيْنما كان، وهوَ -سبحانه- فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقيبٌ علىٰ خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عليهم، مُطَّلِعٌ عليهم، إلىٰ غَيْرِ ذلك من معاني رُبُوبِيَّتِهِ»[1] .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لنا دينَنا الذي هُوَ عِصْمَةُ أمرِنا، وأصلِحْ لنا دُنيانا التي فيها معاشُنا، وأصلِحْ لنا آخرتنا التي فيها معادُنا، واجعلِ الحياةَ زيادةً لنا في كُلِّ خيرٍ، واجعلِ الموتَ راحةً لنا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

---

(١) الواسطية بشرح الفوزان (ص١٢٩).

الخطبة الأولى

الإخلاص

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّهَا الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عَنِ الإخلاصِ للّهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ.

فهو أعظمُ العبادات، وأهمُّها وأكبرُها، إنَّهُ عبادةُ القَلْبِ.

أيُّها الناسُ، إنَّ اللَّهَ ـ سُبْحَانَهُ وتعالى ـ خَلَقَنا لعبادته، فقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وأَمَرَنا ـ عزَّ وجلَّ ـ بالإخلاصِ في هذه العبادةِ، فقال ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الرُّوم: ٣٠].

ومعنىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ أي: توجَّهْ ـ بقلبِكَ وقَصْدِكَ ـ إلىٰ إقامةِ شرائعِ الدِّينِ.

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٣].

أي الصافي من جميعِ الشوائبِ.

وأخبر ـ سبحانه وتعالى ـ أنَّ العالمين كُلَّهم هالكون إلاَّ الذين أخلصوا دينهم للَّه، فقال ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٤٦].

ولا يتخلَّصُ العَبْدُ من الشيطان إلاَّ بالإخلاص لقول اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ حاكيًا عن إبليسَ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحِجْر: ٣٩، ٤٠].

وأخبر ـ عزَّ وجلَّ ـ أنه لا يقبلُ منَ العَمَلِ إلاَّ ما كان خالصًا لوجهه، فقال ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكَهْف: ١١٠].

قال ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ : «وهذانِ رُكْنَا العَمَلِ المُتَقَبَّلِ، لابُدَّ أنْ يكونَ خالصًا للَّهِ، صوابًا علىٰ شريعةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ»(١).

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٦).

عَمَلاً﴾ [الملك: ٢].

قال الفُضَيلُ بْنُ عياضٍ: «هو أَخْلَصُهُ وأَصْوبُهُ» قالوا: يا أبا عليٍّ، ما أَخْلَصُهُ وأَصْوبُهُ؟ فقال: «إنَّ العَمَلَ إذا كان خالصًا، ولم يكنْ صوابًا، لم يُقْبَلْ، وإذا كان صوابًا، ولم يكنْ خالصًا، لم يُقْبَلْ، حتَّىٰ يكونَ خالصًا صَوَابًا، والخالصُ: أنْ يكونَ لِلَّه، والصَّوابُ: أن يكونَ علىٰ السُّنَّة» ثمَّ قَرأَ قولَهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠][(١)].

وأَخْبَرَ رسولُ اللَّه ﷺ ـ أنَّ اللَّهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ لا يَقْبَلُ مِنَ العَبْدِ عَمَلاً، إلاَّ إذا كانَ خَالِصًا، وابْتُغِيَ به وَجْهُ اللَّهِ.

ففي «سنن النسائيِّ» بسندٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(٢)] من حديث أبي أُمامَةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: جاء رجلٌ إلىٰ رسولِ اللَّه ﷺ فقال: أَرَأَيْتَ رجلاً غَزَىٰ يلتمسُ الأَجْرَ والذِّكْرَ، ما لَهُ؟ فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «لا شيءَ له» فأعادها ثلاثَ مِرارٍ، ويقولُ رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «لا شيءَ له» ثمَّ قالَ: «إنَّ اللَّه لا يقبلُ مِنَ العَمَلِ إلاَّ ما كان له خالصًا، وابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ».

بَل إنَّ اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ لا يقبلُ عَمَلاً، ابْتُغِيَ به وَجْهُهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ إنْ كان قَدْ شابَهُ شائبةٌ مِنْ شِرْكٍ كطلبِ الأجْرِ مِنَ اللَّهِ، ثمَّ طَلَبِ مَحَامِدِ النَّاسِ، واستحسانِهِمْ لصاحِبِهِ.

ففي «صحيح مسلم»[(٣)] من حديثِ أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول ﷺ: «قال اللَّه ـ تعالى ـ أنا أَغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، من عَمِلَ عَمَلاً، أَشْرَكَ

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٩٣).

(٢) رواه النسائي (٦/ ٢٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٥٦).

(٣) رواه مسلم (٢٩٨٥).

فيه معي غيري، تركْتُه وشِرْكَهُ».

وأخبَر النبيُّ - ﷺ - أنَّ أوَّلَ خَلْقِ اللَّهِ، تُسعَّرُ بهمُ النَّارُ يومَ القيامةِ، هُمُ الذين طلبوا محامدَ النَّاسِ بأعمالِهِمْ.

ففي «صحيح مسلم»[1]، و «سننِ التِّرْمذيِّ» من حديثِ أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - وفيه قصة مؤثرة على تذكر النار وهولها في ذلك الموقف العظيم. اهـ - قال: حدَّثني رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ اللَّهَ - تعالى - إذا كان يومُ القيامة يَنْزِلُ إلى العباد؛ ليقضيَ بَيْنَهُمْ، وكُلُّ أُمَّةٍ جاثيةٌ، فأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو به رجُلٌ جَمَعَ القُرآنَ، ورجلٌ قُتِلَ في سَبيلِ اللَّه، ورجُلٌ كثيرُ المال، فيقولُ اللَّهُ للقارئ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ ما أَنْزَلْتُ على رَسُولي؟. قال: بلى يارَبِّ. قال: فماذا عَمِلْتَ فيما عَلِمْتَ؟. قال: كنتُ أقومُ به آناءَ اللَّيلِ، وآناءَ النَّهار. فيقولُ اللَّهُ له: كَذَبْتَ. وتقولُ له الملائكةُ: كَذَبْتَ. ويقولُ اللَّهُ لَهُ: بَلْ أَرَدتَ أنْ يُقَالَ: فُلانٌ قارئٌ، ويؤتى بصاحبِ المالِ، فيقولُ اللَّهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عليك، حتَّى لَمْ أَدَعْكَ تحتاجُ إلى أحَدٍ؟ قال: بلى، يارَبِّ. قال: فماذا عَمِلْتَ فيما آتيتُكَ؟ قال: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ، وأَتَصدَّقُ. فيقولُ اللَّهُ له: كَذَبْتَ. وتقولُ الملائكةُ له: كَذَبْتَ. ويقولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوادٌ، وقد قيل ذلك. ويُؤتَى بالذي قُتِلَ في سبيلِ اللَّه، فيقولُ اللَّهُ له: فيماذا قُتِلْتَ؟ فيقولُ: أُمِرْتَ بالجهاد في سبيلك، فقاتلتُ، حتَّى قُتِلْت. فيقولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ. وتقولُ له الملائكةُ: كَذَبْتَ. ويقولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أنْ يُقَالَ: فُلانٌ جريءٌ، فقد قيل ذلك». ثمَّ ضَرَبَ رسولُ اللَّه - ﷺ - على رُكْبتيه، فقال: «يا أَبَا هُرَيرةَ، أولئك الثلاثةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّه، تُسَعَّرُ بِهِم النَّارُ يومَ القيامة».

وفضائلُ الإخلاصِ - أيُّها الناسُ - لا تكادُ تُحْصَرُ:

---

(١) رواه مسلم (١٩٠٥)، والتِّرمذيُّ (٢٥٠٢)، واللَّفظ له.

فمنْ فضائله أنَّ المُخْلصَ ينالُ أجرًا بغيرِ عَمَلٍ.

ففي «الصحيحين»(١) من حديث عبد اللَّه بن عبَّاسٍ ـ رضي اللَّه عنهما ـ عَنْ رَسولِ اللَّه ﷺ فيما يَرْوي عَنْ رَبِّه ـ تبارك وتعالى ـ قال: «إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَات والسيِّئَات، ثُمَّ بَيَّنَ ذلك، فمَنْ هَمَّ بحسنة، فلم يَعْمَلْهَا، كَتَبَها اللَّهُ ـ تبارك وتعالى ـ عِنْدَهُ حَسَنَةً كاملةً، فَإنْ هو هَمَّ بها، وعَمِلَها، كَتَبَها اللَّهُ له عنده عَشرَ حسنات إلى سَبْعمائة ضعْف إلى أضْعاف كثيرة، ومَنْ هَمَّ بسيِّئَة، فلم يَعْمَلْهَا، كَتَبَها اللَّه له عندَهُ حسنةً كاملةً، فإنْ هُوَ همَّ بها، فَعَمِلَهَا، كتبها اللَّهُ لَهُ سَيِّئةً واحدةً».

وفي «الصحيحين»(٢) من حديثِ جابرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: كُنَّا مع النَّبيِّ ـ ﷺ ـ في غَزَاةٍ، فقال: «إنَّ بالمدينة لَرِجَالاً، ما سِرْتمْ سيرًا، ولا قَطَعْتُمْ واديًا، إلاَّ كانوا معكُم، حَبَسَهُمُ المَرَضُ».

وفي رواية: «إلاَّ شَرَكُوكُمْ في الأَجْرِ».

وفي «صحيح مسلمٍ»(٣) من حديث أَنَسِ بْنِ مالكٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادةَ صادقًا، أُعْطِيها ولو لم تُصِبْهُ».

وفي «سنن النسائي» بسند صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»(٤) مِنْ حديثِ أَبي الدَّرداءِ ـ رضي اللَّه عنه ـ يُبلِّغ به عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «مَنْ أَتَى فراشَهُ، وهو يَنْوي أنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيلِ، فغلبَتْهُ عَيْنَاهُ، حَتَّى أَصبَحَ ـ كُتِبَ له ما نَوَى، وكان نَوْمُهُ صَدَقَةً عليه مِنْ رَبِّهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ».

(١) رواه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).
(٢) رواه البخاري (٢٨٣٩)، ومسلم (١٩١١)، واللَّفظ له.
(٣) رواه مسلم (١٩٠٨).
(٤) أخرجه النسائي (١٦٨٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٤١).

ومن فضائل الإخلاص أنَّ وُجُودَ المُخلصين سببٌ عظيمٌ من أسباب النَّصْرِ لهذه الأُمَّة.

ففي «سنن النسائي» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[1] من حديث سَعْد - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّهِ - ﷺ -: «**إنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هذه الأُمَّةَ بضعيفها، بدَعْوَتِهِمْ، وصلاتِهِمْ، وإخلاصِهِمْ**».

ومن فضائل الإخلاص الأَجْرُ العظيمُ على العَمَلِ القليلِ.

ففي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح التِّرْمذيِّ»[2] من حديث عَبْدِ اللَّه بْنِ عَمْرٍو - رضي اللَّه عنهما - قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه - ﷺ - يقولُ: «**إنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتي على رُءوسِ الخلائق يومَ القيامة، فَيَنْشُرُ عليه تسعةً وتسْعينَ سجِلاًّ، كُلُّ سجِلٍّ مثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هذا شيئًا؟، أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحافظون؟ فيقولُ: لا، يارَبِّ. فيقولُ: ألك عُذْرٌ أو حسنةٌ؟ فيبهتُ الرَّجلُ، فيقولُ: لا، يارَبِّ. فيقولُ: بَلَى، إنَّ لَكَ عِنْدَنا حَسَنَةً واحدةً، وإنَّهُ لا ظُلْمَ عليكَ اليَوْمَ، فَتُخْرَجُ له بطاقةٌ، فيها: أَشْهَدُ أنْ لا إله إلاَّ اللَّه، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسُولُهُ، فيقولُ: أَحْضِرْ وزنَك. فيقولُ: ياربِّ، ما هذه البطاقة مع هذه السِّجلاَّت؟! فيقالُ: فإنَّكَ لا تُظْلَمُ. قال: فَتُوْضَعُ السِّجلاَّتُ في كفَّةٍ، والبطاقةُ في كِفَّةٍ، فطاشت السِّجلاَّتُ، وثَقُلَت البطاقَةُ، ولا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّه شيءٌ**».

قال شيخُ الإسلامِ - رحمه اللَّه - في شرحه لهذا الحديث: «والنوعُ الواحدُ مِنَ العَمَلِ، قَدْ يَفْعَلُهُ الإنسانُ على وَجْهٍ يكْمُلُ فيه إخلاصُهُ وَعُبُودِيَّتُهُ لِلَّه، فيغفرُ اللَّهُ به كبائرَ، كما في حديثِ البطاقةِ. . فهذه حالُ مَنْ قالها بإخلاصٍ وصِدْقٍ، كما قالها

(١) أخرجه النسائي (٢٩٨٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٨٨).
(٢) رواه الترمذي (٢٧٨٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢١٢٧).

هذا الشخصُ، وإلاَّ فأهلُ الكبائرِ الذين دخلوا النارَ كُلُّهم يقولون التوحيدَ، ولم يترجَّح قَوْلُهُمْ علىٰ سيِّئَاتِهِم، كما ترجَّحَ قولُ صاحبِ البطاقةِ».

ثمَّ ذَكَرَ ابن تيميَّةَ حديثَ البَغِيِّ، التي سَقَتْ كَلْبًا، فغفر اللَّهُ لها، والرَّجُلِ الذي أماط الأَذَىٰ عن الطريقِ، فغفر اللَّهُ له، ثم قال: «فهذه سَقَتِ الكَلْبَ بإيمانٍ خالصٍ كان في قلبها، فَغُفِرَ لها، وإلاَّ فليس كُلُّ بَغِيٍّ سَقَتْ كَلْبًا يُغْفَرُ لها. . . فالأعمالُ تتفاضلُ بتفاضُلِ ما في القلوبِ من الإيمانِ والإجلال» (١).

أيُّها النـاسُ، يجبُ علينا معرفةُ أعمال القُلُوب، ومن ذلك الإخلاصُ، فالإيمانُ عندَنا ـ مَعْشَرَ أهْلِ السُّنَّةِ ـ هو: إقرارٌ باللِّسانِ، واعتقادٌ بالجَنانِ (أي بالقَلْبِ)، وعَمَلٌ بالأركانِ، يزيدُ بالطاعةِ، وينقصُ بالعِصْيان.

والإخلاصُ هو أهمُّ أعمالِ القُلوبِ المُنْدَرجةِ في أعمالِ الإيمانِ، وأعمالُ القُلوبِ أعظمُ من أعمالِ الجَوارحِ، كما ذكر ذلك أهلُ العلمِ.

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ عن الأعمال القلبيَّة: «وهي من أُصول الإيمانِ، وقواعدِ الدِّين، مثل: محبَّةِ اللَّهِ ورسولِهِ، والتَّوكُّلِ علىٰ اللَّه، وإخلاصِ الدِّينِ للَّهِ، والشُّكْرِ له، والصَّبْرِ علىٰ حُكْمِهِ، والخوفِ مِنْهُ، والرَّجاءِ له. . . وهذه الأعمالُ جميعُها واجبةٌ علىٰ جميعِ الخَلْقِ باتِّفاقِ أئمَّةِ الدِّين» (٢).

وقال الإمامُ ابْنُ القيِّم ـ رحمه اللَّه ـ في بيانِ عِظَمِ أعمالِ القُلُوب: «أعمالُ القُلُوبِ هي الأصلُ، وأعمالُ الجوارحِ تَبَعٌ ومُكمِّلَةٌ، وإنَّ النِّيَّةَ بمنزلَةِ الرُّوحِ، والعَمَلَ بِمَنزلةِ الجَسَدِ للأعضاءِ، الذي إذا فارق الرُّوْحَ فمواتٌ» (٣).

(١) منهاج السنة (٦/ ٢١٨).

(٢) الفتاوىٰ (١٠/ ٥).

(٣) بدائع الفوائد (٣/ ٢٢٤).

وقال ـ رحمه اللَّه ـ :

«وَمَنْ تَأَمَّلَ الشريعةَ في مصادرها ومَوَارِدِها؛ عَلِمَ ارتباط أعمالِ الجوارحِ بأعمال القلوب، وأنها لا تنفعُ بدُونِها، وأنَّ أعمالَ القلوبِ أفْرَضُ على العَبْدِ من أعمال الجوارح، وهَلْ يُمَيَّزُ المؤمنُ عَن المنافقِ إلاَّ بما في قَلبِ كُلِّ واحِدٍ من الأعمالِ التي مَيَّزَتْ بَيْنَهمَا؟، وعُبوديَّةُ القلب أعظمُ من عُبوديَّةِ الجوارحِ، وأكْثرُ وأدْومُ، فَهي واجبةٌ في كُلِّ وقتٍ»[1].

وأستغفرُ اللهَ.

---

(١) المرجع السابق (٣/ ٣٣٠).

الخطبة الثانية

عِلاجُ الرياءِ

الحَمْدُ لِلَّهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المُرْسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّهَا الناسُ، تقدَّم الحديثُ عَنِ الإخلاصِ وأهمِّيَّتِهِ، والآنَ حديثي معكم حَوْلَ عِلاجِ الرِّياءِ.

فمن عِلاج الرِّياء الخَوْفُ مِنَ اللَّه.

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن التِّرْمذيِّ»[1] مِنْ حديثِ عائشة - رضي اللَّه عنها - قالتْ: سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هذه الآيةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. قالتْ عائشة: هُمُ الَّذينَ يشربون الخَمْرَ ويسرقون؟ قال: «لا - يا بِنْتَ الصِّدِّيق - ولكنَّهمُ الذين يَصُومون، ويُصلُّون، ويتصدَّقون، وهم يخافون ألاَّ يُقْبَلَ منهم، أولئك الذين يُسارعون في الخيرات».

ومِنْ عِلاجِ الرِّياءِ أنْ يعلمَ العَبْدُ أنَّ ما به من نعمة فمن اللَّه.

قال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٢١].

ومن عِلاجِ الرِّياءِ خَوْفُ مَقْتِ اللَّهِ - تعالى - إذا اطَّلع على قَلْبِهِ، وهو مُنْطَوٍ على الرِّياء:

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٠١)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٣٧).

ففي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّـه ـ ﷺ ـ: «إنَّ اللَّهَ لا ينظرُ إلى صُورِكُم وأموالِكُم، ولكنْ ينظرُ إلى قُلُوبِكُمْ وأعْمالِكُمْ».

ومن علاجِ الرِّياءِ النَّظرُ في عاقبةِ الرِّياءِ في الدُّنيا والآخرةِ.

ففي «مسندِ أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[(٢)] من حديث عبدِ اللَّه بْنِ عمْرٍو ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: سمعتُ رسول اللَّه ـ ﷺ ـ يقولُ: «مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بعملِه، سَمَّعَ اللَّهُ به مَسَامِعَ خَلْقِه، وصغَّرَهُ وحقَّرَهُ».

وفي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سنن التِّرْمذيِّ»[(٣)] من حديثِ أبي سعيدِ بْنِ أبي فَضالةَ الأنصاريِّ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «إذا جَمَعَ اللَّهُ النَّاسَ ليومِ القيامة، ليومٍ لا رَيْبَ فيه، نادى مُنادٍ: مَنْ كان أشْرَكَ في عَمَلٍ عَمِلَهُ للَّهِ أحَدًا، فليطلُبْ ثوابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ، فإنَّ اللَّهَ أغْنَى الشُّركاءِ عَنِ الشِّرْكِ».

ومن علاجِ الرِّياء أنَّ يعلمَ العبدُ أنَّ النَّاسَ لو اجتمعوا على أنْ يَنْفَعُوهُ بشيءٍ، لم ينفعوه إلاَّ بشيءٍ قد كَتَبَهُ اللَّهُ له.

ففي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن التِّرْمذيِّ»[(٤)] من حديث عبد اللَّه بْنِ عبَّاسٍ ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: كنتُ خَلْفَ

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) رواه أحمد (٦٥٠٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٥).

(٣) رواه الترمذي (٣٣٧٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٢١).

(٤) رواه الترمذي (٢٦٤٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٤٣).

رسول اللَّه - ﷺ - يومًا، فقال: «يا غُلامُ، إني أُعَلِّمُكَ كلماتٍ: احفظ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احفظ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذا سألتَ فاسأل اللَّهَ، وإذا استَعَنتَ فاستعنْ باللَّه، واعلمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجتمعتْ على أنْ يَنْفَعُوكَ بشيءٍ، لم ينفعوكَ إلاَّ بشيءٍ، قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لك، وإن اجتمعُوا على أنْ يَضُرُّوكَ بشيءٍ، لم يضرُّوك إلاَّ بشيءٍ، قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عليك، رُفِعَتِ الأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

ومنْ علاجِ الرِّياءِ الإكثارُ من العبادةِ غير المُشاهَدَةِ: كقيامِ اللَّيلِ، وصدقةِ السِّرِّ، والبكاءِ في الخَلْوةِ من خشيةِ اللَّه.

قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١].

وحثَّ النَّبيُّ - ﷺ - علىٰ صلاةِ النَّفْلِ في البُيوتِ للابتعادِ عن الرِّياءِ والسُّمْعَةِ.

ففي «الصحيحين»[١] من حديث زَيْدِ بنِ ثابتٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «صَلُّوا - أيُّها الناسُ - في بُيوتِكم؛ فإنَّ أَفْضَلَ الصلاةِ صلاةُ المَرْءِ في بَيْتِه إلاَّ المَكْتُوبَةَ».

وكذلك الصلاةُ في جَوفِ الليل، والعبدُ في هذا الوقتِ بعيدٌ عَنِ النَّاسِ.

ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أنَّ رسولَ اللَّه - ﷺ - قال: «يَنْزِلُ رَبُّنا - تبارك وتعالى - كُلَّ ليلةٍ إلى السماء الدُّنيا، حينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ فيقولُ: مَنْ يَدْعُوني فأَسْتَجِبَ له؟، مَنْ يسألُني فَأُعْطِيَهُ؟، مَنْ يستغفرُني فأَغْفِرَ له؟».

---

(١) رواه البخاري (٢/ ١٧٩)، ومسلم (٧٨١).

(٢) رواه البخاري (٣/ ٢٩)، ومسلم (٧٥٨).

وحثَّ النبيُّ ﷺ على صدقة السِّرِّ.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - عن النبيِّ - ﷺ - قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّه، يومَ لاَ ظلَّ إلاَّ ظِلُّهُ..**»، وذكر منهم: «**ورجلٌ تصدَّقَ بصدقة، فأخفاها؛ حتَّى لا تعلمَ شِمالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُه، ورجُلٌ ذكرَ اللَّهَ خاليًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**».

ومن علاجِ الرِّياءِ دُعاءُ اللَّهِ - سبحانه وتعالى - بصَرْفِه.

والدُّعَاءُ أمرُهُ عظيمٌ، فهو من أعظمِ الوسائلِ للقضاءِ على الرِّياءِ والشِّرْكِ، وقد علَّمَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ دُعاءً يُذْهِبُ عَنَّا صِغَارَ الشِّرْكِ وكِبارَهُ.

فقد أخرج البخاريُّ في «الأدب المفرد» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[2] من حديث أبي بَكْرٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الشِّرْكُ فيكم أَخْفَى مِنْ دَبيب النَّمْلِ، وسأَدُلُّكَ على شيء، إذا فعلتَهُ أَذْهَبَ عَنْكَ صغَارَ الشِّرْكِ وكبارَهُ، تقولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ أنْ أُشْرِكَ بِكَ وأنا أَعْلَمُ، وأَسْتَغْفِرُكَ لما لا أَعْلَمُ**».

اللَّهُمَّ اجعلْ أعمالَنا صالحةً وخالصةً لوجْهِكَ الكريم، ولا تجعلْ لأحدٍ منها شيئًا.

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذُ بك من أن نُشْرِكَ بك شيئًا ونحن نعلمُ، ونستغفرُك لما لا نَعْلَمُ.

وسُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِك، نَشْهَدُ أنْ لا إله إلاَّ أَنْتَ، نستغفرُكَ ونتوبُ إليك.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٧٦١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٣١).

الخطبة الأولى

متابعة الرسول ـ ﷺ ـ

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عَنْ مُتابعةِ الرَّسُولِ ـ ﷺ ـ.

ومتابعةُ الرَّسُولِ ـ ﷺ ـ هو الشَّرْطُ الثاني لقَبُولِ الأعمالِ الصالحة عِندَ اللَّه، والشَّرْطُ الأوَّلُ هو الإخلاصُ.

فهما الأساسُ لقَبُولِ الأعمالِ الظاهرةِ والباطنةِ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا

يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «وهذان ركنا العمل المتقبَّل، لابدَّ أن يكون خالصًا لله، صوابًا على شريعة رسول الله ـ ﷺ ـ»(١).

وقال العلامة ابن سَعْديٍّ ـ رحمه الله ـ: **﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾** وهو الموافق لشرع الله من واجب ومستحبٍّ: **﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾**.

أي: لا يُرَائي بعملِهِ، بل يعملُهُ خالصًا لوجه اللَّه ـ تعالى ـ، فهذا الذي جمع بَيْنَ الإخلاص والمتابعةِ هو الذي ينال ما يرجو ويَطْلُبُ، وأمَّا مَنْ عدا ذلك فإنَّهُ خاسرٌ في دُنْياهُ وأُخْرَاهُ، وقد فاته القُرْبُ مِنْ مَوْلاَهُ، ونَيْلُ رِضاهُ»(٢).

وقال اللَّهُ ـ سبحانه وتعالى ـ: **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾** [الملك: ٢].

قال الفُضَيلُ بْنُ عياض: «هو أَخْلَصُهُ وأَصْوَبُهُ» قالوا: يا أبا عليٍّ، ما أخلصُهُ وأصوبُهُ؟ فقال: «إنَّ العملَ إذا كان خالصًا، ولم يكن صَوَابًا، لم يُقْبَلْ، وإذا كان صوابًا، ولم يكن خالصًا، لم يُقْبَلْ، حتَّى يكونَ خالصًا صوابًا، والخالصُ: أنْ يكونَ للَّه، والصَّوابُ: أنْ يكونَ على السُّنَّة». ثمَّ قرأ قولَهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: **﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾** [الكهف: ١١٠](٣).

وفي «الصحيحين»(٤) من حديثِ عائشةَ ـ رضي اللَّه عنها ـ قالتْ: قال رسولُ اللَّهِ

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٦).

(٢) تفسير السعدي (ص٤٨٩).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٩٣).

(٤) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنا هذا ما ليس منه، فهو رَدٌّ».

وفي روايةٍ لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً ليس عليه أمْرُنا، فهو رَدٌّ».

فقوله: «ليس عليه أمرنا» إشارةٌ إلى أنَّ أعمالَ العاملين كُلَّها يجبُ أنْ تكونَ موافقةً لسُنَّته ﷺ، فمن كانَ عَمَلُهُ موافقًا لسُنَّةِ نبيِّه، فعملُهُ مقبولٌ، ومَنْ كان عَمَلُهُ مُحدثًا، لم يَعْمَلْهُ ﷺ، ولا حثَّ عليه أُمَّتَهُ - فهو مَرْدودٌ على صاحبِه، وصاحبُهُ قَدْ أَتى بِدْعَةً مُحْدَثَةً، فهو مَأْزُورٌ غَيْرُ مَأْجُورٍ، ويُوضِّحُ ذلك الحديثُ الآتي في «صحيح مسلمٍ»[1] من حديثِ أَنَسِ بْنِ مالكٍ - رضي اللَّه عنه -: أنَّ نَفَرًا من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ سألوا أزواجَ النبي ﷺ عَنْ عَمَلِه في السِّرِّ، فقال بَعْضُهُمْ: لا أَتَزَوَّجُ النِّساءَ. وقال بَعْضُهُمْ: لا آكُلُ اللَّحْمَ. وقال بَعْضُهُمْ: لا أَنَامُ على فِراشٍ. فَحَمِدَ اللَّه، وأَثْنى عليه، فقال: «ما بالُ أَقْوامٍ قالوا كذا وكذا؟! لكنِّي أُصَلِّي وأنام، وأَصُومُ وأُفْطِرُ، وأَتزوَّجُ النِّساءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتي فليس منِّي».

أيُّهَا النـاسُ، لابُدَّ مِنْ لُزومِ مُتابعـةِ النبيِّ - ﷺ -، فلُزومُ المتـابعـةِ هو لُزُومٌ للصِّراطِ المُستقيمِ.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ حسنٍ، حَسَّنه الألبانيُّ في «تخريج السُّنَّة»[2] من حديثِ عبد اللَّه بن مسعودٍ - رضي اللَّه عنه - قال: خطَّ لنا رسولُ اللَّه - ﷺ - خطًّا، ثمَّ قال: «هذا سبيلُ اللَّه». ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمينِه، وعَنْ شِمَالِه، ثُمَّ قال: «هذه سُبُلٌ» قال يزيدُ: «مُتفرِّقَةٌ على كُلِّ سبيلٍ منْهَا شيطانٌ يدعو إليه». ثمَّ قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ

---

(١) رواه مسلم (١٤٠١).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٣٥)، واللفظ له، وحسن إسناده الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم (١٣).

وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ففي هذا الحديث أَرْشَدَنا النبيُّ - ﷺ - إلىٰ السبيلِ الذي يجبُ علينا أن نَسْلُكهُ، حتَّىٰ لا نكونَ يومَ القيامةِ منَ المَغْبونين، الذين قال اللَّه - عزَّ وجلَّ - فيهم: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

ووعظ النبيُّ - ﷺ - أصحابَهُ مَوْعظةً بليغةً، فلمَّا شعروا أنها موعظةُ مُوَدِّعٍ، طلبوا منه أنْ يُوصِيهُمْ، فأوْصَاهمْ بالتمسُّكِ بالسُّنَّةِ، واجتنابِ البِدْعَةِ.

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسند صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن التِّرْمذيِّ»[١] من حديثِ العِرْباضِ بْنِ ساريةَ - رضي اللَّه عنه - قال: وَعَظَنَا رسول اللَّه - ﷺ - يومًا بَعْدَ صَلاةِ الغَدَاةِ مَوْعظةً بليغةً، ذَرَفَتْ منها العُيُونُ، ووَجِلَتْ منها القلوبُ، فقال رجلٌ: إنَّ هذه موعظةُ مُوَدِّعٍ، فبماذا تَعهَدُ إلينا يا رسولَ اللَّه؟ قال: «أُوصيكُم بتقوى اللَّه، والسَّمْع والطَّاعة، وإنْ تأمَّرَ عليكم عَبْدٌ حَبَشيٌّ، وإنَّهُ مَنْ يَعِشْ منكم فَسَيَرى اختلافًا كثيرًا، وإيَّاكم ومُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فإنَّهَا ضلالةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذلك منكم، فعَليه بسُنَّتي، وسنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشدينَ المَهْدِيِّنَ، عَضُّوا عليها بالنَّوَاجذِ».

قال الألبانيُّ - رحمه اللَّه -: «قولُهُ: «عَضُّوا عليها بالنَّواجذِ» أي: اجتهدوا علىٰ السنة والزموها واحرصوا عليها، كما يلزم العاضُّ علىٰ الشيء بنواجذه خوفًا من ذهابِهِ وتَفَلُّتِه»[٢] والنَّواجذُ: هي الأضْرَاسُ، ضَرَبَ بها المَثَلَ في شدَّةِ الاستمساكِ بأمرِ الدِّينِ.

وفي «صحيح مسلمٍ»[٣] من حديثِ جابرِ بْنِ عبدِ اللَّهِ - رضي اللَّه عنهما - قال:

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢١٥٧).

(٢) صحيح الترغيب والترهيب للألباني (١/ ١٢٣).

(٣) رواه مسلم (٢/ ٥٩٢).

كان رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ إذا خطب احمرَّتْ عَيْنَاهُ، وعلا صوتُهُ، واشتدَّ غَضَبُهُ كأنَّهُ مُنْذِرُ جيشٍ، يقولُ: صبَّحَكُمْ ومَسَّاكُم، ويقول: «بُعثْتُ أنا والسَّاعةُ كهاتَيْنِ» ويَقْرِنُ بَيْنَ أُصبعَيْهِ السَّبابةِ والوُسطى، ويقولُ: «أمَّا بَعْدُ، فإنَّ خَيْرَ الحديث كتابُ اللَّه، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وشَرَّ الأُمُور مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ بدْعة ضلالَةٌ». وزاد النَّسائيُّ بسندٍ صحيح[1]: «وكُلَّ ضلالة في النَّار». والمُرادُ بالهَدْي: هو الذي وصف اللَّهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ صاحبَهُ بقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النَّجْم: ٤].

ثُمَّ بيَّن النبيُّ ﷺ فَضْلَ الدَّعْوة إلىٰ السُّنَّة، وثوابَ إحيائها ونَشْرِها بَيْنَ الناسِ، ثمَّ بيَّن لهم وِزْرَ مَنِ ابْتَدَعَ للنَّاس بِدْعَةً، ليس عليها دليلٌ من الشَّرْع، ولا فَعَلَها ﷺ.

ففي «صحيح مسلم»[2] من حديث جرير بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنة، فَلَهُ أَجْرُها، وأجْرُ مَنْ عَمِلَ بِها بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهم شيءٌ، ومَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً سَيِّئةً، كان عليه وِزْرُها، ووِزْرُ مَنْ عَمِلَ بها، مِنْ غَيْرِ أَنْ ينقصَ مِنْ أَوْزارِهِمْ شيءٌ».

وفي «مسند أحمد»، و«سنن التِّرمذيِّ» بسند صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن التِّرْمذيِّ»[3] من حديث جرير بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «منْ دَعَا إلى هُدىً، كَانَ لَهُ من الأجْرِ مثلُ أُجُور مَنْ يَتَّبِعُهُ، لا يَنْقُصُ ذَلكَ منْ أُجُورِهِمْ شيئًا، ومَنْ دَعَا إلى ضلالة، كَانَ عَلَيْه مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثام مَنْ يَتَّبعه، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِنْ آثامهِمْ شَيْئًا».

---

(١) رواه النسائي (٣/ ١٨٨).

(٢) رواه مسلم (١٠١٧).

(٣) رواه أحمد (٣/ ٣٩٧)، والترمذي (٢٨٢٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢١٥٥).

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الابتداعَ في الدِّين ليس بالشيءِ الهيِّن، فيكفي صاحبَ البِدْعَةِ زاجراً ما جاء في «الأوسط للطبراني» بسند صحيحٍ، صَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»(١) من حديث أَنَسِ بْنِ مالكٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «إنَّ اللَّهَ حَجَبَ التوبةَ عَنْ كُلِّ صاحبِ بِدْعَةٍ، حتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ».

أيُّها الناسُ، لننظرْ كيف كانت متابعةُ الصحابة للنبيِّ ـ ﷺ ـ، وكيف أنَّهم فهمُوا قولَ اللَّه ـ سبحانه وتعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣] على أنَّ اتباعَ أمرِ اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ وأمْرِ رسولِه ـ ﷺ ـ، وسُنَّتِه ـ ﷺ ـ من أَوْجَب الواجباتِ.

فكانوا ـ رضي اللَّه عنهم ـ لا يخرجون عَنِ المُتابعةِ للنبيِّ ـ ﷺ ـ قِيْدَ شَعْرةٍ.

وكانوا ـ رضي اللَّه عنهم ـ يُعظِّمون السُّنَّةَ، ولا يُقَدِّمون عليها أيَّ قولٍ، مهما كان قائلُهُ.

ففي «صحيح البخاريِّ»(٢) أنَّ أبا هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: حرَّم رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ ما بَيْنَ لابَتَيْهَا ـ قال: يُريدُ المدينةَ ـ فلو وجدْتُ الظِّباءَ ساكنةً ما ذَعَرْتُهَا ـ أي ما فَزَّعْتُها ـ». واللاَّبَةُ: أرضٌ ذاتُ حِجارةٍ سَوْدَاءَ، والمدينة تقع بين اللاَّبَتَيْنِ: الشَّرقيَّة، والغربيَّة.

وفي «سنن الدَّارميِّ»(٣) من حديث عُبادةَ بن الصَّامتِ ـ رضي اللَّه عنه ـ: أنَّ النَّبيَّ ـ ﷺ ـ نَهَى عَنْ دِرْهَمَيْنِ بِدرْهَمٍ، فقال فُلانٌ: ما أرى بهذا بأْسًا يداً بيدٍ. فقال عُبَادةُ: «أقُولُ: قال النبيُّ ﷺ، وتقولُ: لا أرى بِهِ بَأْسًا، واللَّهِ، لا يُظِلُّني وإيَّاكَ

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥/ ١١٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٤).

(٢) رواه البخاري (١٨٧٣).

(٣) سنن الدارمي (٤٤٣).

سَقْفٌ واحدٌ».

وروىٰ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ في «جامعه»[١] من حديث ابن عبَّاسٍ - رضي اللَّه عنهما - أنَّه قال: تَمَتَّعَ النَّبيُّ - ﷺ - فقال عُرْوةُ بْنُ الزُّبيرِ: نَهَىٰ أبو بَكْرٍ وعُمَر عَنِ الْمُتْعَةِ. فقال ابْنُ عَبَّاسٍ: «أراهمْ سَيَهْلِكُونَ؛ أقولُ: قال النَّبيُّ - ﷺ -، ويقولون: نهىٰ أبو بَكْرٍ وعُمَرُ!».

وأستغفرُ اللَّه.

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢٣٨١).

الخطبة الثانية
وسائل معينة على الاتباع

الحَمْدُ للَّه وكَفَىٰ، والصلاةُ والسَّلاَمُ علىٰ عِبادِهِ الذين اصْطَفَىٰ.

أَمَّـا بَـعْـدُ، أيُّهَا الناسُ، تقدَّم الحديثُ عن الاتِّبَاعِ، والآنَ حديثي معكمْ عَن الوسائلِ المُعينةِ علىٰ الاتِّباعِ.

فمن الوسائل المُعينة عـلى الاتِّبَاع تقوى اللَّه ـ عَزَّ وجلَّ ـ، فـمن اتقَىٰ اللَّهَ جَعَلَ لَه فُرْقَانًا يُميِّزُ به بَيْنَ الحقِّ والباطِلِ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

قال ابْنُ سَعْدِيٍّ ـ رحمه اللَّه ـ في معنى قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ «أي: يعطيكم عِلْمًا وهُدىٰ ونوراً تمشون به في ظُلماتِ الجَهْلِ»(١).

ومن الأسبابِ المُعينة على الاتِّبَاع الإخلاصُ.

فالإخلاصُ سببٌ للنجاةِ منَ الزَّيْغِ والانحراف، ولننظر للبلاءِ الذي وقع فيه يُوسُفُ ـ عليه السلامُ ـ إنَّهُ بلاءُ تعرُّضِهِ للزِّنَىٰ، ومع ذلك فقد ثبتَ أمامَ الفِتَنِ

---

(١) تفسير السعدي (ص٨٤٣).

بفضلِ اللَّهِ، لأنه كان مُخْلَصًا، كما ذكر اللَّه عنه: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يُوسُف: ٢٤].

ومنْ لطيفِ ما جاء في «سُنَنِ النسائيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح النَّسائيِّ»(١) من حديث سَعْدِ بْنِ أبي وَقَّاصٍ - رضي اللَّه عنه - قال: «وأمَّا عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ البَحْرَ، فأصابَتْهُمْ عَاصِفةٌ، فقال أصحابُ السفينةِ: أَخْلِصُوا؛ فإنَّ آلِهَتَكُمْ لا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا ها هُنَا. فقال عِكْرِمَةُ: واللَّهِ، لَئِنْ لم يُنْجني مِنَ البَحْرِ إلاَّ الإِخْلاصُ، لا يُنجيني في البَرِّ غَيْرُه، اللَّهُم إنَّ لك عليَّ عَهْدًا - إنْ أنت عافيتني مِمَّا أنا فيه - أنْ آتِي مُحمَّدًا ﷺ حتَّى أَضَعَ يدي في يَدِه، فَلأَجدنَّهُ عَفُوًّا كريمًا، فجاء فأسلم».

ومن الأسبابِ المُعينة على الاتِّباعِ تعلُّم الأحكامِ الشَّرْعِيَّةِ، وسُؤالُ أَهْلِ العِلْمِ في كُلِّ ما أشكل علينا.

وقد بَوَّبَ البخاريُّ - رحمه اللَّه - في «صحيحه»(٢) بابًا: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ والعَمَلِ لقولِ اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

ومن الأسبابِ المُعينة على الاتِّباعِ الرُّجُوعُ إلى الكتابِ والسُّنَّة عندَ النِّزَاعِ والاختلاف، في أيِّ مَسألة كانتْ، فأيُّ القولين دلَّ عليه كتابُ اللَّهِ، وسُنَّةُ رسولِ اللَّه - ﷺ - وَجَبَ اتِّباعُهُ لقول اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشُّورى: ١٠].

وقال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

---

(١) رواه النسائي (٧/ ١٠٥)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٣٧٩).
(٢) البخاري مع الفتح (١/ ١٩٢).

ومن الأسبابِ المُعينة على الاتِّباعِ فَهْمُ الكتابِ والسُّنَّةِ بِفَهْمِ السَّلَفِ الصَّالحِ؛ لأنَّهم خيرُ قُرُونِ هذه الأُمَّةِ وأَفْضَلُها.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثمَّ الَّذينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الذين يَلُونَهُم**».

ولأنهم عاصروا التشريعَ وعايَشُوهُ، فَعَلِمُوا مواقِعَ التنزيلِ، وورودَ الأدلَّةِ على الوقائع والأحوالِ، ولأنَّ خطابَ الشَّارع مُتَوَجِّهٌ إليهم في الأَصْلِ.

ولأنَّ اللَّهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ جعل لهمُ الإمامةَ في الدِّين لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وأثنى عليهم، وعلى مَنْ تَبِعَهُمْ، وسَلَكَ سبيلَهُمْ، ولأنَّ النبيَّ ﷺ سُئِلَ عَنِ الفِرْقَةِ الناجية، فقال: «**ما أنا عليه وأصْحابي**».

ففي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ حسن، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سُنن التِّرْمذيِّ»[2] من حديث عبدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**وإنَّ بني إسرائيلَ تفرَّقوا على اثنَتَيْنِ وسبعين مِلَّةً، وتَفْتَرِقُ أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعين مِلَّةً، كُلُّهُمْ في النَّارِ إلاَّ مِلَّةً واحدةً**» قالوا: مَنْ هي يا رسولَ اللَّه؟. قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**».

ومن الأسبابِ المُعينةِ على الاتِّباعِ الدُّعَاءُ.

بل إنَّ الدُّعاءَ من أعظمِ الأسبابِ في صلاحِ الدِّين والدُّنيا، واللَّهُ ـ سبحانه وتعالى ـ أمرنا بدعائه، ووَعَدَنا بالاستجابة، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: ٦٠].

---

(١) رواه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٧٩٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢١٢٩).

ولقد كان النبيُّ - ﷺ - كثير التَّضرُّعِ إلى اللَّه أنْ يَهْدِيَهُ إلى الطريقِ المستقيم، وذلك إذا افتتح صلاتَهُ من اللَّيلِ.

ففي «صحيح مسلم»[١] من حديثِ عائشة - رضي اللَّه عنها - قالتْ: كان رسول اللَّه - ﷺ - إذا قام من اللَّيل افتتح صلاتَهُ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وميْكائيلَ وإسرافيلَ، فاطرَ السَّموات والأَرْضِ، عالمَ الغَيْبِ والشَّهَادة، أنت تحكُمُ بيْنَ عِبادكَ فيما كانوا فيه يختلفون، اهْدني لما اخْتُلِفَ فيه من الحقِّ بإذْنِك، إنَّكَ تهدي مَنْ تشاءُ إلى صراطٍ مستقيم**».

اللَّهُمَّ انفعْنا بما علَّمتنا، وعلِّمنا ما يَنْفَعُنا، وزِدْنا علْمًا. اللَّهُمَّ أَسْلَمْنَا وُجوهنا إليكَ، وفوَّضْنا أُمورَنا إليك، وألْجَأْنا ظُهُورَنا إليك رَهْبةً ورَغْبةً إليك، لا مَلْجَأَ مِنْكَ إلاَّ إليكَ.

---

(١) رواه مسلم (٧٧٠).

الخطبة الأولى

أمراض القلوب وعلاجها

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمَّا بَعْدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكم اليومَ عنْ أمراضِ القُلوبِ وعلاجها، ولا أَعْنِي أمراضَ القُلُوبِ البَدَنِيَّة؛ وإنما أعْنِي تِلْكُمُ الأمراض التي تَعْتَرِي القَلْبَ ممَّا يتعَلَّقُ بدينِه، فهي أعظمُ الأمراضِ فَتْكًا على الإطلاقِ، وأشدُّها تَدْميرًا، وأسوأها أثرًا، بل ليس هُناك مُقارنةٌ على الإطلاق بَيْنَ مَرَضٍ بَدَنِيٍّ يَعْتَرِي القَلْبَ، ويحتاجُ إلى بَعْضِ الأَدْويةِ والمُسكِّنَاتِ - وبَيْنَ مَرَضٍ يَجْرَحُ دِينَهُ، ويُذْهِبُ تَقْوَاهُ، فالأخيرُ

يجلبُ علىٰ العَبْدِ نَكَدًا، وهَمًّا وغَمًّا، وعذابًا في الدُّنيا والآخرةِ.

أمَّا الأوَّلُ فقدْ يُثابُ عليه العَبْد المُؤْمنُ، إذا صَبَرَ واحْتَسَبَ، كسائرِ الأَمْراضِ التي يُثابُ عليها المُؤْمنُ[1].

أيُّهَا الناسُ، هذه الحياةُ يحتاجُ القَرارُ فيها إلى سلامةِ القَلْبِ من الشِّرْك والنِّفاق، والعُجْبِ والرِّياء، وسائرِ الأمراضِ؛ فإنَّهُ بصلاحِ هذا القَلْبِ يَصْلُحُ سائرُ الجَسَدِ. كما في «الصحيحين»[2] من حديثِ النُّعمانِ بْنِ بَشيرٍ - رضي اللَّه عنه - قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «...**ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألاَ وهي القَلْبُ**».

واللَّه - سبحانه وتعالى - ينظرُ إلى القلوب والأعمالِ، ويُجازي عليها، ويُثيبُ ويُعاقبُ.

ففي «صحيح مسلم»[3] من حديثِ أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ لا يَنْظرُ إلى صُوَرِكُمْ، ولكنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وأَعْمالِكُمْ**».
وأمرُ القلوبِ - أيُّها الناسُ - مَوْكُولٌ إلىٰ اللَّهِ - سبحانه وتعالىٰ -، فهو - سبحانه وتعالىٰ - يَمْلِكُها، ويتعرَّف فيها كيف يشاءُ، قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾ [الأنفال: ٢٤].

فهو - سبحانه - أَمْلَكُ لقلوبِ عبادِهِ منهم، وهو سبحانه يَحُولُ بَيْنَهُم وبَيْنَ التسلُّطِ علىٰ قلوبهم، فهو وَحْدَهُ المتصرِّفُ فيها، يُقَلِّبها كيف يشاءُ.

---

(١) انظر شفاء القلوب للعدوي (ص٧)، وقد استفدتُ منه في هذه الخطبة كثيرًا، وننصحُ باقتنائه، فإنه مفيد - إن شاء اللَّه - .
(٢) تقدَّم تخريجه.
(٣) تقدَّم تخريجه.

يَقْذِفُ فيها الهدايةَ، ويُزيِّن فيها الإيمانَ، يُنْزِلُ فيها السكينةَ، ويُورِثُها الاطمئنانَ، ويَرْبِطُ عليها، ليكونَ أصحابُها من المؤمنين.

قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحُجُرات: ٧].

فمَنِ الذي زيَّنَ الإيمانَ في القلوبِ؟ إنَّه اللَّهُ - سبحانه وتعالىٰ -، قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يُونُس: ١٠٠].

واللَّهُ - سبحانه وتعالىٰ - هو الذي يَأْذَنُ في الإيمانِ، ويُوفِّقُ إليه مَنْ يَشاءُ، وقد عَلِمَ أهلُ الإيمان ذلك، ومنْ ثمَّ قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

واللَّه - سبحانه وتعالى - هو الذي يربط على القلوب.

قال - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

فيا ترىٰ مَنِ الذي رَبَطَ علىٰ قُلُوبِهم؟ إنَّهُ اللَّهُ - سبحانه وتعالىٰ -.

وهو - سبحانه الذي يقذف الرَّحمةَ في القلوبِ.

قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧].

وفي «الصحيحين»[1] من حديثِ أسامةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ النبيَّ - ﷺ - قال وهو يبكي علىٰ ابْنٍ مات لابْنَتِهِ، لَمَّا سَأَله الصحابةُ عَنْ سببِ بكائِهِ: «هذه رحمةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ في

(١) رواه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٦/ ٢٢٤).

قُلوبِ عبادِه، وإنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبادِه الرُّحَمَاءَ».

واللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذي ينزل السكينة على القلوب:

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وكذلك أَمْرُ الغَوايةِ والإضلالِ، والقسوةِ والغَفْلَةِ ـ كُلٌّ ذلك كائنٌ بإذْنِ اللَّه وتدابيرِه، وحِكْمتِه وإرادتِه.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشورىٰ: ٢٤].

وقال سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم: ٥٩].

وفي «سنن ابن ماجَهْ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجَهْ»[(١)] من حديث النوَّاسِ بْنِ سمعانَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «ما مِنْ قَلْبٍ إلاَّ بَيْنَ إصبعَيْنِ مِنْ أصابعِ الرَّحْمَنِ، إن شاءَ أَقَامَهُ، وإنْ شاءَ أزاغه». وكان رسول اللَّهِ ـ ﷺ ـ يقولُ: «يا مُثَبِّتَ القلوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا على دِينِكَ».

وفي «الصحيحين»[(٢)] من حديثِ عائشة ـ رضي اللَّه عنها قالتْ: جاء أعرابيٌّ إلىٰ

---

(١) سنن ابن ماجَهْ (١٩٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجَهْ (١٦٥).

(٢) رواه البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم (٢٣١٧).

النبي - ﷺ - فقال: تُقَبِّلُونَ الصِّبيانَ؟! فما نُقَبِّلُهُمْ. فقال النبيُّ - ﷺ -: «أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ».

ومادامت القُلُوبُ - أيُّها الناس - مَوْكولٌ أمرُها إلىٰ اللَّهِ.

لكنْ هناك أسبابٌ يفعلُها العَبْدُ، تكونُ سببًا في قَذْفِ الخَيْرِ - أو الشَّرِّ - إلى قلبه.

فالإيمانُ والذِّكْرُ، وأفعالُ الخَيْرِ والبِرِّ كُلُّ ذلك سببٌ في سلامةِ القُلُوبِ، والشَّرُّ والكُفْرُ، والاعتداءُ والظلْمُ، والفُسُوقُ والعِصيانُ - كُلُّ ذلك سببٌ في فساد القلوبِ.

فمنْ أمراضِ القلوبِ مَرَضُ الشِّرْكِ، فهو سببُ كُلِّ شَرٍّ، يتَّجهُ إلىٰ القلبِ.

قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١].

ومن أمراضِ القلوبِ الرِّياءُ.

قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨].

وفي «صحيح مسلم»(١) من حديث أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «قال اللَّهُ - تعالى -: أنا أَغْنَى الشُّركاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً، أَشْرَكَ فيه معي غَيْري، تركْتُه وشِرْكَهُ».

---

(١) تقدم تخريجه.

ومن أمراضِ القلوبِ الكِبْرُ والعُجْبُ.

قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

وقال اللَّهُ - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لُقْمَان: ١٨].

ومن أمراضِ القُلوبِ مَرَضُ الشُّبْهَةِ والشَّكِّ والرِّيْبَة.

قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

ومن أمراض القُلوبِ كَثْرَةُ الذُّنوب.

قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المُطَفِّفين: ١٤].

ففي «مسند أحمد»، و«سُنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[(١)] من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «إنَّ المؤْمنَ إذا أَذْنَبَ، كانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ في قَلْبِه، فإنْ تابَ ونَزَعَ واسْتَغْفَرَ، صُقِلَ منْها، وإنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يُغَلِّفَ قَلْبُهُ، فذلك الرَّانُ الذي ذكر اللَّهُ في كتابه: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾».

ومن أمراضِ القلوبِ سُوءُ الظَّنِّ باللَّه، بل مِنْ أعظم أمراضِ القلوبِ.

فمن الناسِ مَنْ يُسِيءُ الظنَّ بوَعْدِ اللَّهِ، ونَصْرِهِ لعباده المؤمنين.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٩٧)، والترمذي في جامعه (٣٣٣١)، والنسائي في السنن الكبرىٰ (١١٦٥٨)، والحاكمُ في المستدرك (٢/ ٥١٧)، واللفظ له، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤١٣).

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ١٠].

ومن أمراضِ القلوبِ سَمَاعُ الأغاني.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

رَوَىٰ ابْنُ جريرٍ بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في كتابه «تحريم آلات الطَّرَبِ»[١] عَنْ أبي الصَّهباءِ البكريِّ أنَّهُ سَأَلَ ابْنَ مسعودٍ عن قول اللَّهِ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ قال: «الغناء».

ومن أمراضِ القلوبِ تَرْكُ صلاةِ الجُمُعة.

ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وأبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنهما ـ أنَّهُما سَمِعا رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ علىٰ أعوادِ مِنْبَرِه: «لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعاتِ، أو لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ على قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ من الغافلين».

ومن أمراضِ القُلُوبِ كِتْمَانُ شَهَادةِ الحَقِّ

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ومن أمراضِ القلوبِ الحَسَدُ، وهو: اختلافُ القلبِ علىٰ الناسِ، وتمنِّي زوالِ النِّعْمةِ عَنْ مُسْتَحقِّها، فهو مرضٌ خطيرٌ من أمراضِ القلوبِ.

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٤٥)، وصحَّحه الألباني في تحريم آلات الطرب (ص١٤٣).

(٢) رواه مسلم (٨٦٥).

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النِّساء: ٥٤].

ونظرًا لخطورة الحسدِ، فقدْ أَمَرَنا اللَّه بالتعوُّذِ منه صَبَاحَ مساءَ ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفَلَق: ٥].

والإيمانُ والحَسَدُ لا يجتمعانِ في قلبِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، يرجو اللَّهَ والدَّارَ الآخرةِ؛ لأنَّ الحاسدَ ـ كأنَّهُ بحَسَدِه ـ يَعْتَرِضُ علىٰ اللَّهِ في قَضَائِهِ، ويحسُدُ علىٰ ما مَنَحَ مِنْ عطائِهِ، وكأنَّهُ بحَسَدِهِ هذا يقولُ: فُلانٌ أُعْطِيَ وهو لا يستحقُّ.

ففي «سنن النسائي» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سنن النَّسائي»[(١)] من حديثِ أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «**لا يَجْتمعانِ في قلبِ عَبْدٍ: الإيمانُ والحَسَدُ**».

ومن أمراضِ القلوبِ الحِقْدُ، وهو مَرَضٌ عُضَالٌ من أمراضِ القلبِ.

فعلينا أَنْ نُطهِّرَ قُلُوبنا من الحِقْدِ، والحَسَدِ، وسائرِ أمراضِ القلوبِ حِرْصًا علىٰ سلامتِها.

أخرج المُنْذريُّ في «الترغيب والترهيب» بسندٍ صحيحٍ لغيرِهِ، قالهُ الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[(٢)] من حديثِ أبي ثَعْلَبَةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ أنَّ النبي ﷺ قال: «**يَطَّلِعُ اللَّهُ إلى عِبادِه ليلةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فيغفرُ للمُؤْمنين، ويُمْهِلُ الكافرين، ويَدَعُ أَهْلَ الحِقْدِ بحِقْدِهِمْ حتى يَدَعُوه**».

---

(١) رواه النسائي في سننه (٢٩١٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢/ ٦٥٢).

(٢) رواه المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٦١)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٧١): صحيح لغيره.

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديثِ أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ أنَّ رسولَ اللَّه ـ ﷺ ـ قال: «تُفْتَحُ أبوَابُ الجَنَّةِ يومَ الاثنينِ، ويَوْمَ الخميسِ، فيُغْفَرُ لكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ باللَّه شيئًا، إلاَّ رجلاً كانتْ بَيْنَهُ وبَيْنَ أخيه شَحْنَاءُ، فيُقَالُ: أَنْظِروا هَذَيْنِ، حتَّى يَصْطَلِحا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ، حتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِروا هَذَيْنِ، حتَّى يَصْطَلِحَا».

وأستغفرُ اللَّهَ.

(١) رواه مسلم (٢٥٦٥).

الخطبة الثانية

عِلاجُ القلوبِ

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ علىٰ أَشْرفِ المُرْسلين، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدِّين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّمَ الحديث معكمْ عَنْ أمراضِ القُلُوبِ، والآن حديثي معكم عَن عِلاجِ القلوبِ.

فمن علاج القلوبِ ذكْرُ اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ**﴾ [الرَّعْد: ٢٨ـ٢٩].

ومن علاج القلوبِ التَأَسِّي برسولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ في أقوالِهِ، وأفعالِهِ، وسائرِ أحوالِه.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومن علاج القلوبِ الإيمانُ بالقَدَرِ، والرِّضا بالقضاء.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾ [التغابُن: ١١].

ومن علاجِ القلوبِ سؤالُ اللَّه الهداية والثباتَ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ**

رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ۝٧ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٧-٨].

وَمِنْ دُعاءِ الرَّسُولِ - صلى الله عليه وسلم - كما في «صحيح مسلمٍ»(١)

من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي اللَّه عنهما - أنَّهُ سمع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصبعَيْنِ منْ أصابِعِ الرَّحْمَنِ، كقلبٍ واحدٍ، يُصرِّفُهُ حيثُ يشاءُ» ثمَّ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القلوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنا على طاعَتِكَ».

ومن علاجِ القلوبِ التوبةُ إلى اللَّه.

قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤].

ففي هذه الآية دليلٌ علىٰ أنَّ المعاصي سببٌ في مَيْلِ القلوبِ وانحرافِها، وأنَّ التوبةَ سببٌ في سلامتِها، ومَنْ مِنَّا لا يقع في المعاصي؟!

ورسولُ اللَّه - ﷺ - يقولُ كما في «الصحيحين»(٢) من حديثِ أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه -: «واللَّهِ، إني لأَسْتغفِرُ اللَّهَ، وأَتُوبُ إليه في اليومِ أَكْثَرَ مِنْ سبعين مَرَّةً».

وها هو يحثُّنا علىٰ التوبةِ والاستغفارِ، كما في «صحيح مسلم»(٣) من حديثِ الأغَرِّ بْنِ يَسار المُزَنِيِّ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «يأيُّها الناسُ، تُوبُوا إلى اللَّه، واستغفروه، فإنِّي أَتُوبُ في اليَوْمِ مائةَ مَرَّةٍ».

ومن عِلاجِ القلوبِ إمساكُ فُضُولِ السَّمْعِ.

فلا يستمع للأغاني، ولا للغيْبةِ، ولا للنَّميمةِ، ولا يستمع إلىٰ ما يضرُّه.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٤).
(٢) رواه البخاري (١١/ ٨٥).
(٣) رواه مسلم (٢٧٠٢).

قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

ومن علاجِ القلوبِ الإمساكُ عَنْ فُضُولِ البَصَرِ، فكم مِنْ نظرةٍ إلىٰ ما حرَّمَ اللَّهُ أَعْقَبَتْ في القلبِ حَسْرَةً!.

وقد أمرَ اللَّهُ المؤمنين والمُؤمناتِ بغَضِّ البَصَر، فقال - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

وفي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود»[(١)] من حديثِ جرير بنِ عبد اللَّهِ - رضي اللَّه عنه - قال: سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الفَجْأَةِ، فقال: «اصْرِفْ بَصَرَكَ».

ومن علاجِ القلوبِ الإمساكُ عَنْ فضولِ الكلامِ.

فَكَثْرَةُ الكلامِ مَدْعَاةٌ لقَسْوةِ القلبِ، وطولِ الحسابِ، فعلينا الاقتصارُ علىٰ الخيرِ منه، فقد حثَّنا اللَّهُ - سبحانه وتعالىٰ - علىٰ الخيرِ من الكلامِ، وتَرْكِ ما سوىٰ ذلك.

فقال - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وإلى ذلك أرشدنَا نبيُّنا - ﷺ - كما في «الصحيحين»[(٢)] من حديثِ أبي هُريرةَ -

---

(١) رواه أبو داود (٢١٤٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٨٨٠).

(٢) رواه البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧).

رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ، فليقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ».

ومن علاج القلوبِ تَرْكُ فُضُولِ الطَّعَامِ.

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن التِّرْمذيِّ»[(١)] من حديث المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه - ﷺ -: «ما مَلأَ آدميٌّ وعاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِه، بِحَسْبِ ابْنِ آدمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإنْ كانَ لا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِه، وَثُلُثٌ لشرابِه، وثُلُثٌ لنَفَسِه».

ومن علاجِ القُلوبِ عَدَمُ الإكثارِ من الضَّحك.

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ حسنٍ، حَسَّنَه الألبانيُّ، في «صحيح سنن التِّرْمذيِّ»[(٢)] من حَديثِ أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّهِ - ﷺ -: «وأَقِلَّ الضَّحِكَ؛ فإنَّ كَثْرَةَ الضَّحك تُميتُ القَلْبَ».

وقد ذكر أهلُ العلم أنَّ مِنْ علاجِ القلوبِ تَرْكُ فُضُولِ النَّوْمِ، وفُضُولِ مُخالَطةِ النَّاسِ، وجميع أنواع الفضول.

اللَّهُمَّ يا مُقَلِّبَ القُلوبِ والأبصارِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنا على دينك، واصْرِفْها على طاعتكَ، ونَقِّها مِنَ الخطايا، كما يُنَقَّى الثَّوبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، واجعلْنا مِنَ الذين يَسْتَمِعُونَ القَولَ، فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٩٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٩٣٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٨٧٦).

الخطبة الأولى
علاج الهم والحزن

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن علاجِ الهَمِّ والحَزَنِ، وما أَكْثَرَهُما في زمانِنا، وما أعظمَ خَطَرَهما، وما أشدَّ فَتْكَهُما بقلبِ الإنسانِ وجَسَدِهِ من كثيرٍ من الأمراض!

ومن طبيعة هذه الحياة الدُّنيا الهَمُّ والحَزَنُ اللذان يُواجهُهُما الإنسانُ في حياته، دَلَّ على ذلك قولُ اللّهِ ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤].

ومعنى ﴿فِي كَبَدٍ﴾ أي: ما يُكابِدُه ويقاسيه من الشدائد في الدُّنيا، فهو حزينٌ على ما مَضَى، مهمومٌ بما يستقبلُ، مَغْمُومٌ في الحالِ. والقلوبُ تتفاوتُ في الهمِّ وَالحَزَنِ، فقلبٌ عامرٌ بالإيمانِ، ففيه البَهْجَةُ والسُّرورُ، وقَلْبٌ ضَعيفُ الإيمانِ، ففيه الهُمُومُ والأحزانُ. والهمُّ والحزنُ مَنْهيٌّ عنهما شَرْعًا.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ مُقرِّرًا ما قاله رسولُ اللَّهِ ﷺ لصاحبِهِ: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

ونهى اللَّهُ ـ سُبْحَانه وَتَعَالى ـ نَبِيَّهُ ـ ﷺ ـ عَنِ الهمِّ والحَزَنِ، فقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧].

ونهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عباده المؤمنين عن الهمِّ والحزن.

فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وكان النبيُّ ـ ﷺ ـ أكْثَر ما يستعيذُ باللَّه من الهمِّ والحَزَن.

ففي «صحيح البخاريِّ»[1] من حديث أنس بْنِ مالكٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: كان النبيُّ ﷺ يقولُ: «**اللَّهُمَّ إني أعوذُ بك من الهمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجالِ**».

فإذا كان النبيُّ ـ ﷺ ـ يستعيذُ باللَّهِ من الهَمِّ والحَزَنِ، فهذا دليلٌ على أنهما شرٌّ، ولا خَيْرَ فيهما للعبدِ، فلا يجوزُ له التمادي فيهما، بل متى هجما عليه، فهو مُكَلَّفٌ باستعمالِ العلاجاتِ التي تُذهِبُ الهمَّ والحَزنَ، وسوف نذكرُ بعضَها:

فمن علاجِ الهمِّ والحزنِ ـ أيُّها الناسُ ـ التسلُّح بالإيمانِ المقرونِ بالعملِ الصالحِ.

(١) رواه البخاري (٢٨٢٣)، (٢٨٩٣).

قال اللَّهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الإيمانِ والعملِ الصالحِ، أَدْرَكَ الحياةَ الطَّيِّبةَ: مِنْ طُمأْنينةِ النَّفْسِ، وسُكونِ القَلْبِ، وهُدوءِ البالِ، وراحةِ الضَّميرِ، مع ما ينتظرُهُ في الآخرةِ من أصنافِ اللَّذاتِ، ومن ذلك إذهَابُ الهمِّ والحزنِ عنه.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علىٰ لسان المؤمنين في الجنَّة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

ومن علاجِ الهمِّ والحَزَنِ تحقيقُ التوحيدِ، فلا يبقىٰ معه في القلبِ شائبةُ شِرْكٍ، فيتوجَّهُ بقلبِه إلىٰ اللَّهِ ـ وَحْدَهُ ـ في عبادتِه كُلِّها.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

ومن علاجِ الهمِّ والحَزَنِ اليقينُ بِنَصْرِ اللَّهِ، واستشعارُ معيَّته لنا.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث أنسِ بْنِ مالكٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ عن أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قلتُ للنبيِّ ﷺ وأنا في الغارِ: لو أنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنا. فقال: «ما ظَنُّكَ ـ يا أبا بَكْرٍ ـ باثنين اللَّهُ ثالثهما؟!» فالرسول ـ ﷺ ـ ذكَّرَ صاحِبَهُ أبا بكرٍ بِمَعِيَّةِ اللَّه لهما، وعلَّلَ وصيَّتَهُ لَهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

ومن علاجِ الهمِّ والحَزَنِ النَّظرُ فيما يَحْصُلُ للمسلمِ مِنْ تكفيرِ الذُّنوبِ، ورَفْعِ الدَّرجاتِ، إذا أصابه الهَمُّ والحَزَنُ.

ففي «الصحيحين»[2] من حديث أبي سعيدٍ وأبي هُريرة ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن

---

(١) رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

(٢) رواه البخاري (٥٦٤٢)، واللفظ له، ومسلم (٢٥٧٣).

النبيِّ ﷺ قال: «ما يُصيبُ المُسْلمَ منْ نَصَبٍ، ولا وَصَبٍ، ولا هَمٍّ، ولا حَزَنٍ، ولا أَذَى، ولا غَمٍّ - حتَّى الشَّوكة يُشاكُها - إلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بها منْ خَطَايَاه».

ومن علاجِ الهمِّ والحَزَنِ معرفةُ حقيقةِ الدُّنيا الفانية، ومتاعها الزائل.

ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «الدُّنيا سِجْنُ المُؤْمنِ، وجَنَّةُ الكافر».

ومن علاجِ الهمِّ والحَزَنِ أنْ نجعلَ الآخرةَ هَمَّنا، واطِّراح هُمُوم الدُّنيا؛ لأَنَّ

همَّ الآخرة، سَلْوَةٌ للنَّفسِ، وهَمَّ الدُّنيا مُشَتِّتٌ للنَّفْسِ، مُفَرِّقٌ شَمْلَها.

ففي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن التِّرْمذيِّ»[٢] من حديث أنسِ بْنِ مالكٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «مَنْ كانت الآخرةُ هَمَّهُ، جَعَلَ الله غِنَاهُ في قَلْبه، وجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وأتَتْهُ الدُّنْيا وهي راغمَةٌ، ومَنْ كانت الدُّنْيا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْه، وفَرَّقَ شَمْلَهُ، ولم يَأْتِه مِن الدُّنيا إلاَّ ما قُدِّرَ لَهُ».

ومن علاجِ الهَمِّ والحَزَنِ اللُّجُوءُ إلى الصلاة.

قال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

وفي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[٣] من حديث سالمِ بْنِ أبي الجَعْدِ قال: قال رَجُلٌ: لَيْتني صَلَّيْتُ فاسْتَرَحْتُ، فكأنهم عابوا عليه ذلك، فقال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ - ﷺ - يقولُ: «يا بِلالُ، أَقِم

(١) رواه مسلم (٢٩٥٦).

(٢) رواه الترمذي (٢٥٩٥) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٠٤).

(٣) رواه أبو داود (٤٩٨٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤١٧١).

الصَّلاةَ، أَرِحْنَا بِهَا».

وفي «سنن أبي داود» بسندٍ حسن، حَسَّنَهُ الأَلْبانيُّ في «صحيح أبي داودَ»[1] من حديث حُذيفةَ - رضي اللَّه عنه - قال: كان النبيُّ - ﷺ - إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى.

ومن علاجِ الـهمِّ والحَزَنِ التوكُّلُ علـى اللَّه - سبحانه وتعالى - وتَفْويضُ الأَمْرِ إليه.

قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

أي: كافيه جميعَ ما يُهِمُّهُ مِنْ أمرِ دينِه ودُنْياهُ.

ومن علاجِ الهمِّ والحَزَنِ الحِرْصُ علىٰ ما يَنْفَعُنا في الوقتِ الحاضرِ، وقَطْعُ الحُزنِ علىٰ ما فات، وتَرْكُ الهمِّ علىٰ ما هو آتٍ.

ففي «صحيح مسلم»[2] من حديث أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّـه - ﷺ -: «المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللَّه منَ المؤمنِ الضعيف، وفي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ، واستعنْ باللَّه ولا تَعْجزْ، وإنْ أصابك شيءٌ، فلا تقلْ: لوْ أَنِّي فَعَلْتُ كان كذا وكذا، ولكنْ قُلْ: قَدرُ اللَّهِ، وما شاءَ فَعَلَ؛ فإنَّ «لَوْ» تَفْتَحُ عَمَلَ الشيطانِ».

قال ابن سَعْديٍّ - رحمه اللَّه - في شرح هذا الحديث: «الحديثُ المذكورُ يدلُّ علىٰ السَّعْيِ في إزالةِ الأسبابِ الجالبةِ للهُمُومِ، وفي تحصيلِ الأَسبابِ الجالبةِ للسُّرورِ، وذلك بنسيانِ ما مَضَىٰ عليه من المكارِه التي لا يُمكِنُهُ ردُّها، ومعرفته أنَّ اشتغالَ فِكْرِهِ فيها من بابِ العَبَثِ والمحالِ، وأنَّ ذلك حُمْقٌ وجنونٌ، فيجاهدُ قَلْبَهُ

(١) رواه أبو داودَ (١٣١٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١١٧١).
(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤).

عَنِ التَّفَكُّرِ فيها، وكذلك يُجاهدُ قَلْبَهُ لما يستقبلُهُ، مِمَّا يَتَوهَّمُهُ مِنْ فَقْرٍ، أَوْ خَوْفٍ، أو غَيْرِهما من المكارِهِ، التي يتخيَّلُهَا في مستقبلِ حياتِهِ، فيعلمُ أنَّ الأُمُورَ المُسْتَقْبَلَةَ مَجْهُولٌ ما يقعُ فيها مِن خَيرٍ وشَرٍّ وآمالٍ وآلامٍ، وأنَّها بيدِ العزيزِ الحكيمِ، ليس بيدِ العبادِ منها شيءٌ إلاَّ السَّعْي في تحصيلِ خَيْراتِها، ودَفْعِ مضرَّاتِها، ويعلمُ العبدُ أنه إذا صَرَفَ فِكْرَهُ عَنْ قَلَقِه مِنْ أجلِ مستقبلِ أَمْرِه، واتَّكَلَ على رَبِّهِ في إصلاحِهِ، واطمأنَّ إليه في ذلك - صَلُحَتْ أحوالُهُ، وزال عَنْهُ هَمُّهُ وقَلَقُهُ»[١].

ومن علاجِ الهمِّ والحَزَنِ التَّحَدثُ بنعمةِ اللَّهِ الظاهرةِ والباطنةِ.

ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**انظروا إلى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ منكُمْ، ولا تنظروا إلى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فهو أَجْدَرُ ألاَّ تَزْدَرُوا نعْمَةَ اللَّه عليكم**».

ولا شكَّ أنَّ الإنسانَ إذا نظر إلى مَنْ هو دُونَهُ، رأى نَفْسَهُ يَفُوقُ كثيرًا من الخَلْقِ في الصِّحَّة والعافية، والهُدى والإيمانِ، وهذا يَدْفَعُ عنه الهمَّ والحَزَنَ.

ومن علاجِ الهمِّ والحَزَنِ الجهادُ في سبيلِ اللَّهِ.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[٣] من حديث أبي أُمامةَ عَنْ عَبْدِ اللَّه الصَّامتِ - رضي اللَّه عنهما - عَنْ رسولِ اللَّه - ﷺ - أنَّه قال: «**عليكم بالجهاد في سبيلِ اللَّهِ - تبارك وتعالى -؛ فإنَّهُ بابٌ مِنْ أبوابِ الجَنَّةِ، يُذْهِبُ اللَّهُ به الهَمَّ والغَمَّ**».

---

(١) الوسائل المفيدة للحياة السعيدة لابن سعدي (ص١٥).
(٢) رواه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣).
(٣) رواه أحمدُ في مسنده (٥/ ٣١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٦٣).

ومن علاج الهمِّ والحَزَنِ أنْ نعلمَ أنَّ بَعْدَ العُسْرِ يُسْرًا، فعلينا أن نُحْسِنَ الظَّنَّ باللَّهِ، فإنَّهُ جاعلٌ لنا فَرَجًا ومَخْرجًا، وكُلَّما استحكم الضِّيقُ، قَرُبَ الفَرَجُ.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦].

فذكر عسراً واحداً ويسرين، لأن التعريف يفيد الإفراد، والتَّنْكِير يفيد التكرار.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠].

وفي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح، صَحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة»[(١)] من حديث أنس بْنِ مالكٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**واعلمْ أنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وأنَّ الفَرَجَ مع الكَرْبِ، وأنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا**».

ومن علاج الهمِّ والحَزَن ما يكونُ بالأطعمة.

ففي «الصحيحين»[(٢)] من حديثِ عائشةَ ـ رضي اللَّه عنها ـ أنَّها كانتْ تأْمُرُ بالتَّلْبِينِ للمريضِ، وللمَحْزُونِ على الهالكِ، وكانَتْ تقولُ: إنِّي سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «**إن التَّلْبِيْنَةَ تُجِمُّ فُؤَادَ المريضِ، وتَذْهَبُ ببَعْضِ الحُزْنِ**».

والتلبينةُ ـ أيُّهَا النَّاسُ ـ: هي حَسَاءٌ يُعْمَلُ مِن دقيقٍ، ويُجْعَلُ فيه عَسَلٌ، وسُمِّيتْ تلبينةً لشبهها باللَّبَن، وهي تُطْبَخُ مِنَ الشَّعِير مَطْحُونًا. ومعنىٰ مُجِمَّة: أي تُريح وتُنْشِطُ، وتُزِيلُ الهمَّ.

وأستغفر اللَّهَ.

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٩٣) وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٨٢).
(٢) رواه البخاري (٥٦٨٩)، ومسلم (٢٢١٦).

الخطبة الثانية

الدعاءُ العلاجُ الأعظمُ للهم والحَزَن

الحَمْدُ للَّه ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المُرسلين، وعلى آله وصحْبه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّم الحديثُ عَنْ بعضِ علاجِ الهمِّ والحَزَنِ، والآن حَديثي معكم عن أعظم علاجٍ للهمِّ والحَزَنِ، ألاَ وهو الدُّعاءُ.

والدُّعاء أمرُهُ عظيمٌ، ونَفْعُهُ عميمٌ، ومكانتُهُ عاليةٌ من الدِّين، فما اسْتُجْلِبَ السُّرورُ والعافيةُ بمثلِه، ولا اسْتُدْفعَ الهمُّ والحَزَنُ بمثلِه، ففيه تفريجُ الهمِّ، وزوالُ الحُزْن، وتيسيرُ الأمور.

وإنِّي لأَدْعُو اللَّه، والأمْرُ ضَيِّقٌ ... عليَّ، فما يَنْفَكُّ أنْ يَتَفَرَّجا

ورُبَّ فَتَى ضاقتْ عليه وَجُوهُهُ ... أصاب لها في دعوة اللَّه مَخْرَجا

فعلينا - أيُّهَا الناسُ - أنْ نَدْعُوَ اللَّه بخالصِ الدُّعاء:

قال اللَّه - سبحانه وتعالى - : ﴿**وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [الأعراف: ٢٩].

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: ٦٠].

قال الشَّوكانيُّ - رحمه اللَّه - : «والآيةُ الكريمةُ دَلَّتْ على أنَّ الدُّعاءَ من العبادة، فإنَّهُ - سبحانه وتعالى - أَمَرَ عبادَهُ أنْ يَدْعُوه، ثمَّ قال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي**﴾ فأفاد ذلك أنَّ الدُّعاءَ عبادةٌ، وأنَّ تَرْكَ دُعاءِ الرَّبِّ - سبحانهُ - استكبارٌ، ولا أَقْبَحَ مِنْ هذا الاستكبار».

أيُّها الناسُ، إنَّهُ متى نَزَلَ بنا الهَمُّ والحَزَنُ، فبابُ الدُّعاء مفتوحٌ غَيْرُ مُغْلق.

والكريمُ ـ سبحانه وتعالى ـ إنْ طُرِقَ بابُهُ وسُئِلَ، أَعْطَى وأجابَ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أيُّها الناسَ، لا أحَدَ أكْرَمُ على اللَّه مِنْ رسولِ اللَّه ﷺ، وقد كان أَكْثرَ ما يستعيذُ باللَّه من الهمِّ والحَزَنِ.

ففي «صحيح البخاري»(١) من حديثِ أَنَس بْنِ مالكٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: كُنْتُ أَخْدُمُ رسولَ اللَّه ﷺ إذا نَزَلَ، فكنتُ أَسْمَعُهُ كَثيراً يقولُ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بك مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجال**».

ومن أنفع الأدعيةِ التي كان النبيُّ ـ ﷺ ـ يدعو بها كما في «صحيح مسلم»(٢) من حديثِ أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: كان رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي ديني الذي هُو عِصْمَةُ أَمْري، وأَصْلِح لي دُنيايَ التي فيها معاشي، وأَصْلِحْ لِي آخرتي التي فيها مَعَادي، واجعل الحياةَ زيادةً لي في كُلِّ خَيْرٍ، واجعلِ الموتَ راحةً لي مِنْ كُلِّ شَرٍ**».

ومن الأدعية النافعة للهمِّ والحَزَنِ ما علَّمناهُ رسولُ اللَّه ﷺ، كما في «سنن أبي داودَ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «سنن أبي داودَ»(٣) من حديثِ أبي بَكْرَةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**دَعْوَةُ المكروب: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فلا تَكِلْني إلى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وأَصْلِحْ لِي شَأني كُلَّهُ، لا إله إلاَّ أنْتَ**».

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٠).

(٣) رواه أبو داود (٥٠٩٠)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٢٤٦).

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث ابن عبَّاسٍ ـ رضي اللَّه عنهما ـ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقولُ عندَ الكَرْبِ: «لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ العظيمُ الحليمُ، لا إله إلاَّ اللَّهُ ربُّ العَرْشِ العظيمِ، لا إله إلا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوات، وربُّ الأَرضِ، وربُّ العَرْشِ الكريمِ».

وفي «سنن التِّرْمذيِّ» بسند حَسَنٍ، حَسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سُنن التِّرْمذيِّ»[(٢)] من حديث أَنَسِ بن مالكٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ كان إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ، قال: «يا حَيُّ، يا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ».

وفي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صَحَّحَه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود»[(٣)] من حديث أسماءُ بنْتِ عُمَيْسٍ ـ رضي اللَّه عنها ـ قالتْ: قال لي رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «أَلاَّ أُعَلِّمُك كلمات تَقُولينَهُنَّ عِنْدَ الكَرْبِ ـ أو في الكَرْبِ ـ؟!، اللَّهُ اللَّهُ ربِّي، لا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

ومن أعظم الأدعية في إذهابِ الهمِّ والحَزَنِ الدُّعاءُ الذي حثَّ النبيُّ ـ ﷺ ـ كُلَّ مَنْ سَمِعَهُ أن يتعلَّمَهُ ويَحْفَظَهُ.

ففي «مسند أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «السِّلْسلة الصحيحة»[(٤)] من حديث عبد اللَّه بن مسعودٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «ما أصَابَ أَحَدًا ـ قَطُّ ـ هَمٌّ ولا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنِّي عَبْدُكَ، وابْنُ عَبْدِكَ، وابْنُ أَمَتِكَ، ناصيتي بِيَدِكَ، ماضٍ فيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فيَّ قَضاؤُكَ، أسألُكَ بكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْت به نَفْسَكَ، أو أَنزَلْتَهُ في كتابِك، أوْ عَلَّمْتَهُ أحداً مِنْ خَلْقِكَ، أو استَأْثَرْتَ به في علم

(١) رواه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٤/ ٢٠٩٢).
(٢) رواه الترمذي (٣٧٧٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧٩٦).
(٣) رواه أبو داود (١٥٢٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٣٤٩).
(٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ٣٩١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٨).

الغَـيْب عنْدَكَ ـ أنْ تَجْـعَلَ القُرْآنَ رَبِـيعَ قَلْبي، ونُورَ صَـدْري، وجَلاءَ حُـزْني، وذَهَابَ هَمِّي. إلاَّ أذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وحُزْنَـهُ، وأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا» قال: فقِيلَ يا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ نَتعلَّمُها؟. فقال: «بَلَى، ينبغي لِمَنْ سَمِعَهَا أنْ يَتَعَلَّمَهَا».

نسألُ اللَّهَ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أن يُعافِينَا من الهَمِّ والحَزَنِ، ويَجْعَلَنا هُداةً مُهْتَدينَ.

الخطبة الأولى

الدُّعاء

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ -ﷺ-، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّهَا الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عنِ الدُّعاء، أَفْضَلِ العبادات، وأعظم القُرُبات لتضمُّنِهِ توحيدَ اللَّه، وإفرادَهُ بالعبادةِ دُونَ مَنْ سِواهُ، فهو رأسُ الأمرِ، وأَصْلُ الدِّينِ، ومفتاحٌ لكُلِّ خيرٍ، ومغْلاقٌ لكُلِّ شرٍّ، وجالبٌ لكُلِّ نَفْعٍ، ودافعٌ لكُلِّ ضُرٍّ.

وللدُّعَاء فضائلُ عظيمةٌ أذكُرُ منها:(١)

١ ـ أنّ الدُّعَاءَ طاعةٌ للَّه، وامتثالٌ لأمره ـ سبحانه وتعالى ـ، قال ـ تعالى ـ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وقال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

٢ ـ ومن فضائل الدُّعاء السَّلامةُ من الكِبْر، قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

قال الشوكانيُّ ـ رحمه اللَّه ـ في هذه الآية: «والآية الكريمةُ دلَّتْ على أنَّ الدُّعاءَ منَ العبادة؛ فإنَّهُ ـ سبحانه وتعالى ـ أمَرَ عبادَهُ أنْ يَدْعُوهُ، ثمَّ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فأفاد ذلك أنَّ الدُّعاءَ عبادةٌ، وأنَّ تَرْكَ دُعاءِ الرَّبِّ ـ سبحانه وتعالى ـ استكبارٌ، ولا أَقْبَحَ منْ هذا الاستكبار».

وكيف يستكبرُ العبدُ عَنْ دُعاءِ مَنْ هُو خالقٌ له، ورازقُهُ، ومُوجِدُهُ من العَدَمِ، وخالقُ العالمِ كُلِّهِ، ورازقُهُ، ومُحييهِ، ومُميتُهُ، ومُثيبُهُ، ومُعاقِبُهُ؟!

فلا شكَّ أنَّ هذا الاستكبارَ طَرَفٌ من الجنونِ، وشُعْبَةٌ مِنْ كُفْرَانِ النِّعَمِ(٢).

(١) انظر الدعاء لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص١٦)، وقد استفدتُ منه كثيراً جزاه الله خيراً.
(٢) تحفة الذاكرين (ص٢٨).

٣ ـ ومن فضائل الدُّعاء أنَّه عبادةٌ، بل هو العبادةُ.

ففي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[(١)] من حديث النعمانِ بْنِ بشيرٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «الدُّعاءُ هُو العبادةُ» ثمَّ قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

٤ ـ ومن فضائلِ الدُّعاءِ أنَّهُ أكْرمُ شيء على اللَّه.

ففي «سنن ابن ماجَهْ» بسندٍ حسنٍ، حَسَّنَه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجه»[(٢)] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ عَن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «لَيْسَ شيءٌ أَكْـرَمَ على اللَّهِ ـ سبحانه ـ من الدُّعاءِ».

٥ ـ ومن فضائلِ الدُّعاءِ أنَّهُ سببٌ لدفعِ غضبِ اللَّهِ، فمن لم يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عليه.

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ حسن، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سنن التِّرْمذيِّ»[(٣)] من حديث أبي هُرَيْرَةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «إنَّهُ مَنْ لمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عليه».

قال الشوكانيُّ ـ رحمه اللَّه ـ: «ففي هذا الحديثِ دليلٌ على أنَّ الدُّعاءَ من العَبْدِ لربِّه من أهمِّ الواجباتِ، وأعظمِ المفروضاتِ؛ لأنَّ تَجَنُّبَ ما يَغْضَبُ اللَّهُ مِنْهُ لا خِلافَ في وُجُوبِهِ»[(٤)].

---

(١) رواه أبو داود (١٤٧٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٣١٢).
(٢) رواه ابن ماجه (٣٨٢٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٠٨٧).
(٣) رواه الترمذي (٣٦١٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٦٨٦).
(٤) انظر تحفة الذاكرين (ص٣١).

وما أَحْسَنَ قَوْلَ القائلِ:

لا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً وسَلِ الذي أَبْوابُهُ لا تُحْجَبُ

اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وبُنَيُّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

٦ ـ ومِنْ فضلِ الدُّعاء أَنَّهُ سببٌ لدَفْعِ البلاءِ قَبْلَ نُزُولِه.

ففي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنَه الألبانيُّ في «الصحيحة»[1] من حديث سَلْمانَ الفارسيِّ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «**لا يردُّ القضاءَ إلاَّ الدُّعاءُ**».

قال الشوكانيُّ ـ رحمه اللَّه ـ: «فيه دليلٌ على أنَّه ـ سبحانَهُ ـ يَدْفَعُ بالدُّعاءِ ما قَدْ قَضَاهُ على العَبْدِ، وقَدْ وَرَدَتْ بهذا أحاديث كثيرةٌ»[2].

وقال: «والحَاصِلُ أنَّ الدُّعاءَ مِنَ قَدَرِ اللَّهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ، فقدْ يَقْضِي على عَبْدِهِ قَضَاءً مُقَيَّدًا بأنْ يَدْعُوه، فإذا دَعَاهُ انْدَفَعَ عَنْهُ»[3].

٧ ـ ومن فضائل الدُّعاءِ أَنَّهُ سببٌ لرَفْعِ البلاءِ بَعْدَ نُزُولِه.

ففي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ حسنٍ حسَّنَه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[4] من حديث عبد اللَّه بن عُمَرَ ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «**إنَّ الدُّعاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نزلَ، ومِمَّا لم ينزلْ؛ فعليكمْ ـ عبادَ اللَّه ـ بالدُّعاءِ**».

تلك ـ أيُّها الناسُ ـ بَعْضُ فضائلِ الدُّعاءِ.

---

(١) رواه الترمذي (٢/ ٢٠)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٥٤).

(٢) تحفة الذاكرين (ص٢٩).

(٣) المرجع السابق (ص٣٠).

(٤) رواه الترمذي (٣٥٤٨)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٤٠٩).

وللدُّعاءِ شُروطٌ، لابُدَّ مِنْ توافرها، حتَّى يكونَ الدُّعاءُ مُستجابًا مقْبُولاً:

١ ـ الإخلاص في الدُّعاءِ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٧].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

وجملة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ شاملةٌ لكُلِّ ما يُعْبدُ من دُونِ اللَّهِ: من جمادٍ، أو نباتٍ، أو حيوانٍ، أو إنسانٍ، أو صَنَمٍ، أو شَمسٍ، أو وَليٍّ، أو نبيٍّ، إلىٰ غَيرِ ذلك.

وفي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألباني في «صحيح الجامع»[1] من حديثِ ابْنِ عبَّاسٍ ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «وإذا سألتَ فاسألِ اللَّهَ، وإذا استعنتَ فاستعِنْ باللَّه».

٢ ـ ومن شروطه الاعتقادُ الجازمُ بأنَّ اللَّهَ ـ سبحانه وتعالى ـ هو القادرُ على إجابةِ دعائه، فلا يدعو إلاَّ اللَّهَ ـ ولا يجلبُ له النَّفْعَ، ولا يكشِفُ عَنْهُ السُّوءَ إلاَّ اللَّهُ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النَّمل: ٦٢].

٣ ـ ومن شروطِ الدُّعاءِ أنْ يتوسَّلَ إلى اللَّهِ بأَحَدِ أنواعِ التوسُّلِ المشروعةِ،

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

والمشروعُ ثلاثةُ توسُّلات، وهي:

أولاً ـ التوسُّل باسمٍ من أسماء اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ، أو صفة من صفاته، كأنْ يقولَ: يا كريمُ، أكْرِمْني، يا رحمنُ ارْحمني، يا توابُ تُبْ عليَّ، يا غفارُ، اغفرْ لي.

ودليلُ ذلك قولُهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ثانيًا ـ التوسُّلُ إلى اللَّه بصالحِ الأعمال، كأنْ يقول المُسلمُ: اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ بإيماني بك، أو بمحبَّتي لك، أو اتِّبَاعي لرَسُولِك، أو أنْ يَذكُرَ بينَ يدَي دعائِه عَمَلاً صالحًا عَمِلَهُ، ثمَّ يتوسَّل به إلى اللَّه.

ويدلُّ على ذلك قولُ اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦].

ومن ذلك قصةُ أصحابِ الغارِ الثلاثةِ، فإنَّ كـلاً منهم توسَّل إلى اللَّهِ بعملٍ صالحٍ، فاستجاب اللَّهُ لهم.

ثالثًا ـ التوسُّل إلى اللَّه بدعاء رجلٍ صالحٍ، حيٍّ حاضرٍ قادرٍ، وقولُنا: حيٌّ حاضر قادرٍ احترازًا من دعاءِ الأمواتِ والغائبين، الذين لا يَقْدِرون على دَفْعِ الضُّرِّ عن أنفسهم، فدعاؤهم شِرْكٌ باللَّهِ، وكذلك الاعتقادُ أنَّهم يَضُرُّون أو ينفعون من الشِّرْكِ الذي لا يَغْفِرُهُ اللَّه.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ودليلُ التوسُّلِ إلى اللَّهِ بدعاءِ رجلٍ صالحٍ حيٍّ حاضرٍ قادرٍ ـ ما جاء في

«الصحيحين»[1] من حديث أنسٍ - رضي اللَّه عنه - قال: «بَيْنَا النبيُّ ﷺ يَخْطُبُ في يوم جُمُعةٍ، قام أعرابيٌّ فقال: يا رسولَ اللَّه، هَلَكَ المالُ، وجاعَ العيالُ؛ فادْعُ اللَّهَ لنا. فَرَفَعَ يَدَيْهِ - وما نَرَىٰ في السَّماءِ قَزَعَةً - فَوالَّذي نفسي بيدِه، ما وَضَعَهُما حتَّىٰ ثارَ السَّحابُ أَمْثَالَ الجِبالِ، ثمَّ لم يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ، حتَّىٰ رَأَيْتُ المطرَ يَتَحادَرُ علىٰ لِحيتِهِ - ﷺ -».

ومن ذلك ما جاء في توسُّلِ الصَّحابةِ بدعاءِ العبَّاسِ - رضي اللَّه عنه -.

ففي «صحيح البخاري»[2] من حديث أنسٍ - رضي اللَّه عنه -: أنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ كان إذا قَحَطُوا استسقىٰ بالعبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلبِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إنَّا كُنَّا نتوسَّلُ إليكَ بنبيِّنا فَتَسْقِينا، وإنا نتوسَّلُ إليك بعمِّ نبيِّنا فاسْقِنا». قال: فَيُسْقَوْنَ.

٤ ـ ومن شروطِ الدُّعاءِ إظهارُ الافتقارِ والذِّلَّة، والاعترافُ بالذَّنْبِ والتقصير، يدلُّ علىٰ ذلك قولُهُ - تعالىٰ - عن يُونُسَ - عليه السلامُ -: ﴿**فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٧].

٥ ـ ومن شروطِ الدُّعاءِ تجنُّبُ الاستعجالِ.

ففي «الصحيحين»[3] من حديث أبي هُريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُسْتجابُ لأَحَدِكُمْ ما لم يَعْجَلْ، يقولُ: دَعَوْتُ، فلم يُسْتَجَبْ لي**» وفي لَفْظِ مسلم: «**لا يزالُ يُستجابُ للعبدِ ما لم يَدْعُ بإثمٍ، أو قطيعةِ رَحِمٍ، ما لم يَسْتَعْجِلْ**».

قيل: يا رسولَ اللَّه، ما الاستعجالُ؟

(١) رواه البخاري (٩٣٣)، واللفظ له، ومسلم (٨٩٧).
(٢) رواه البخاري (١٠١٠).
(٣) رواه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٦).

قال: «يقولُ: قَدْ دَعَوْتُ، وقَدْ دَعَوْتُ، فلم أَرَ يستجيبُ لي، فَيَسْتَحْسِرُ عندَ ذلك، ويَدَعُ الدُّعَاءَ».

قال ابن حَجَرٍ ـ رحمه اللَّه ـ: «معنىٰ يستحسر: ينقطع.

وفي هذا الحديث أَدَبٌ من آداب الدُّعاءِ، وهو أنْ يُلازِمَ الطَّلَبَ، ولا يَيْأَس من الإجابةِ؛ لما في ذلك من الانقيادِ والاستسلامِ، وإظهارِ الافتقارِ»[(١)].

٦ ـ ومن شروطِ الدُّعاء، الدُّعاءُ بالخَيْر.

ففي «صحيح مسلمٍ»[(٢)] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُستجاب للعبد ما لم يَدْعُ بإثمٍ، أو قطيعة رَحِمٍ».

٧ ـ ومن شروطِ الدُّعاءِ حُسْنُ الظنِّ باللَّه ـ عَزَّ وجلَّ ـ.

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(٣)] من حديثِ أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ادعوا اللَّهَ وأنتمْ مُوقِنُونَ بالإجابةِ».

٨ ـ ومن شروط الدُّعاء حُضُورُ القَلْبِ.

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ، في «صحيح الجامع»[(٤)] من حديث أبي هُريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «واعلموا أنَّ اللَّهَ لايَسْتَجيبُ دُعاءً مِنْ قلبٍ غافلٍ لاهٍ».

---

(١) فتح الباري (١١/ ١٤١).

(٢) رواه مسلم (٢٧٣٥).

(٣) رواه الترمذي (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥).

(٤) رواه الترمذي (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥).

٩ ـ ومن شروط الدُّعاءِ إطابةُ المأكَلِ، والمَشْرَبِ، والمَلْبَسِ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «أيُّها الناس، إنَّ اللَّهَ طيِّب لا يَقْبَلُ إلاَّ طيِّبًا، وإنَّ اللَّهَ أَمرَ المُؤْمنين بما أَمَرَ به المُرْسلينَ»، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]. وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَهُ إلى السماءِ: ياربِّ، ياربِّ. ومَطْعَمُهُ حرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حرامٌ، وغُذِيَ بالحرامِ، فأنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟!».

وأستغفرُ اللَّه.

(١) رواه مسلم (١٠١٥).

الخطبة الثانية
أوقات يُستجاب فيها الدعاء

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المُرسلينَ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّم الحديثُ عن الدُّعاءِ، وبَعْضِ فضائلِهِ وشروطِهِ، والآنَ حديثي معكُمْ عَنِ الأَوْقَاتِ التِّي يُسْتجابُ فيها الدُّعاءُ، فهناك أوقاتٌ يُسْتجابُ فيها الدُّعاءُ، منها:

وَقْتُ السَّحَرِ.

قال اللَّه - سبحانه وتعالى - : ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨].

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - أنَّ رسولَ اللَّه - ﷺ - قال: «يَنْزِلُ رَبُّنا - تبارك وتعالى - كُلَّ ليلة إلى السَّمَاءِ الدُّنيا، حِيْنَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فيقولُ: مَنْ يَدْعُوني فأستجيبَ لَهُ؟، مَنْ يَسْأَلُني فأُعْطِيَهُ؟، مَنْ يَسْتَغفرُني فأَغْفرَ لَهُ؟».

ومنْ أوقاتِ الاستجابة عِندَ النِّداء للصَّلَوات المكتوبةِ، وعندَ زَحْفِ الصُّفُوفِ، والتحامِها في المَعْرَكة، وعِنْدَ نُزُولِ المَطَرِ.

ففي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[(٢)] من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «ثِنْتَانِ لا تُرَدَّانِ - أو قلَّما تُرَدَّانِ -: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وعِنْدَ البَأسِ، حِيْنَ يُلحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أبو داود (٢٥٤٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٢١٥).

وأخرج الحاكمُ في «مستدركه» بسندٍ حسن، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»(١) من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّهِ - ﷺ -: «ثِنْتان ما تُردَّان: الدُّعَاءُ عندَ النِّداء، وتَحْتَ المَطَرِ».

ومن أوقات إجابة الدُّعاءِ بَيْنَ الأذانِ والاقامة.

ففي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألباني في «صحيح سنن أبي داودَ»(٢) من حديث أَنَس بْنِ مالكٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «لاَ يُرَدُّ الدُّعاءُ بَيْنَ الأَذَانِ والإِقامَة».

ومن أوقات إجابة الدُّعاءِ الساعةُ التي في يومِ الجُمُعة.

ففي «الصحيحين»(٣) من حديث أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - أنَّ رسولَ اللَّه - ﷺ - ذكرَ يومَ الجُمُعة، فقال: «فيه ساعةٌ، لا يُوافقُها عبدٌ مُسلمٌ، وهو قائمٌ يُصلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ تعالى شيئًا إلاَّ أَعْطَاهُ إيَّاهُ». وأَشَار بيده يُقَلِّلُها، وقد اختلف العلماءُ في تحديدِ وَقْتِها.

فقيل: إنها وقتُ دُخُولِ الخطيبِ.

وقيل: إنَّها بَعْدَ العَصْرِ، ورجَّح هذا القولَ ابْنُ القيِّم - رحمه اللَّه -(٤).

ومن أوقات الاستجابة عندَ شُرْبِ ماءِ زَمْزَمَ.

ففي «سنن ابن ماجَهْ» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجه»(٥) من حديث جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنهما - قال: سمعتُ

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ١١٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٧٨).
(٢) رواه أبو داود (٥٢١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٨٩).
(٣) رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢).
(٤) انظر زاد المعاد (١/ ٣٧٨).
(٥) رواه ابن ماجَهْ (٣٠٦٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٤٨٤).

رسولَ اللَّه - ﷺ - يقولُ: «مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ».

ومن أوقاتِ إجابةِ الدُّعاءِ في السُّجودِ.

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «أقربُ ما يكونُ العبدُ مِنْ ربِّهِ وهو ساجدٌ؛ فأكْثِروا الدُّعاءَ».

وهناك - أيُّها النَّاسُ - دَعَواتٌ مُسْتجاباتٌ: دَعْوةُ الوالدِ على وَلَدِه، ودَعْوَةُ المظلومِ، ودَعْوةُ المسافِرِ، ودَعْوَةُ الوالدِ لوَلَدِه، ودَعْوةُ الصائم، ودَعْوةُ الولدِ الصَّالح لوالدَيْه.

فقد روىٰ البخاري في «الأدب المفرد»[2] بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الأدب المفرد» من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن النبيِّ ﷺ قال: «ثَلاثُ دَعَواتٍ مُسْتَجاباتٌ: دعوةُ المظلومِ، ودعوةُ المسافِرِ، ودعوةُ الوالدِ على وَلَدِه».

وروىٰ البيهقيُّ بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[3] من حديث أنس بن مالكٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «ثلاثُ دَعَواتٍ لا تُرَدُّ: دَعْوَةُ الوالدِ لِوَلَدِه، ودعوةُ الصائمِ، ودعوةُ المسافِرِ».

وفي «صحيح مسلم»[4] من حديث أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إذا ماتَ ابْنُ آدَمَ انقطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صالحٍ يَدْعو له».

أيها الناس، إن ثمرة الدعاء مضمونة بإذن الله، ففي مسند أحمد بسندٍ

---

(١) رواه مسلم (٤٨٢).

(٢) الأدب المفرد (٤٨١) وصحيح الأدب المفرد للألباني (٣٧٢).

(٣) رواه البيهقي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٣٢).

(٤) رواه مسلم (١٦٣١).

حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»[(١)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل، أو كفَّ عنه منَ السُّوء مِثْلَهُ، ما لم يدعُ بإثمٍ، أو قطيعةِ رَحِمٍ».

أيُّها الناسُ، إنَّ اللَّهَ حييٌّ كريمٌ، وقد أمر بالدُّعاء، ووعَد بالاستجابة.

فقال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وفي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(٢)] من حديث سَلْمانَ الفارسيِّ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «إنَّ ربَّكُمْ حَيِيٌّ كريمٌ، يستحي مِنْ عَبْدِه إذا رَفَعَ يَدَيْه إليه أنْ يَرُدَّهُمَا صِفْراً».

واللَّهُ - سبحانه وتعالى - يستجيبُ دَعْوةَ عَبْدِه المؤْمِن، ويُعطيه أَحَدَ ثلاثِ خِصالٍ، دلَّ على ذلك الحديث الآتي:

فقد أخرج البخاريُّ في «الأدب المفرد» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الأدب المفرد»[(٣)] من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي اللَّه عنه - أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ما منْ مُسلمٍ يَدْعو بدعوة، ليس فيها إثمٌ، ولا قطيعةُ رَحِمٍ - إلاَّ أعطاهُ اللَّهُ إحْدَى ثلاث: إمَّا أنْ يُعَجِّلَ له دَعْوَتَهُ، وإمَّا أنْ يَدَّخِرَهَا له في الآخرةِ، وإمَّا أنْ يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَها».

وأخرج البخاري - أيضًا - في «صحيح الأدب المفرد» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الأدب المفرد»[(٤)] من حديث أبي هُريرةَ - عَنِ النبيِّ - ﷺ - قال:

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٧٨).

(٢) رواه أبو داود (١٤٨٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٧٥٧). .

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧١٠)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٤٧).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧١١)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٤٨).

«ما منْ مؤمنٍ يَنْصِبُ وَجْهَهُ إلى اللَّه، يسألُهُ مسألةً - إلاَّ أعطاه إيَّاها، إمَّا عَجَّلها له في الدُّنيا، وإمَّا دخَّرها له في الآخرةِ، ما لم يَعْجَلْ».

قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، وما عَجَلَتُهُ؟ قال: «يقولُ: دَعَوْتُ ودَعَوْتُ، ولا أراهُ يُسْتجابُ لي».

﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

الخطبة الأولى

التوبة

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمَّا بَعْدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عَنِ التوبةِ، والتَّوبةُ أَمْرُها عظيمٌ، ومنزلتُها من الدِّينِ عاليةٌ، فهي واجبةٌ من كُلِّ ذَنْبٍ.

ولقد فتح اللَّهُ - سبحانه وتعالى - بابَ التوبة، ووعد بقَبُولِها، مهما عَظُمت الذُّنوبُ.

قال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ

الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [الزُّمَر: ٥٤].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورىٰ: ٢٥].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

ثم قال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ محرضًا لهم علىٰ التوبة : ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

قال ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ : «وهذا مِنْ كَرَمِهِ ـ تعالىٰ ـ وَجُودِهِ، ولُطْفِهِ ورحمَتِهِ بخَلْقِهِ مع هذا الذَّنْبِ العظيم، وهذا الافتراءِ والكَذِبِ والإفكِ، يدعوهم إلىٰ التوبةِ والمغفرةِ، فكُلُّ مَنْ تاب إليه تابَ عليه»(١).

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البُروج: ١٠].

قال الحَسَنُ البَصْرِيُّ ـ رحمه اللَّه ـ : «انظروا إلىٰ هذا الكَرَمِ والجُودِ، قَتَلُوا أولياءَهُ، وهو يدعوهم إلىٰ التوبة!»(٢).

وللتوبةِ ـ أيُّها الناسُ ـ فضائل عظيمةٌ، لا تكاد تُحْصَرُ،

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٩٦).

(٢) المرجع السابق (٨/ ٢٣٣).

فمن فضائلها أنَّها سببٌ للفلاحِ والفَوْزِ بسعادة الدَّارَيْنِ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

ومن فضائلِ التوبة أنَّ اللَّهَ ـ سبحانه وتعالى ـ يغفرُ بها الذُّنوبَ، مهما عظُمَتْ، ومهما كَثُرَتْ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزُّمر: ٥٣].

ومن فضائلِ التوبة أنَّ اللَّهَ ـ سبحانه وتعالى ـ يُبَدِّلُ سيِّئاتِ صاحِبِها حسنات، متى حَسُنَتْ توبتُه.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفُرْقان: ٧٠].

ومن فضائل التَّوبةِ أنَّها محبوبةٌ إلى اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ومن فضائلِ التَّوبةِ أنَّها مِنْ أَثَرِ رحمة اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ لعباده.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٦ـ٢٨].

ومن فضائلِ التوبة أنَّها سببٌ لحُلُول الخَيْرات.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وأَنِ استَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْه يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هُود: ٣].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نُوح: ١٠-١٢].

ومن فضائل التوبة أنَّ اللَّهَ ـ سبحانه وتعالى ـ يَفْرَحُ بتوبةِ التَّائبين.

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث أنسِ بْنِ مالكٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّـه ـ ﷺ ـ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بتوبةِ عَبْدِه ـ حِيْنَ يَتُوبُ إليه ـ مِنْ أَحَدِكُمْ، كان على راحلَته بأرضٍ فَلاَة، فأنفَلَتَتْ منْهُ، وعليها طعامُهُ وشرابُهُ، فَأَيِسَ منْهَا، فأتى شَجَرَةً، فاضْطَجَعَ في ظلِّهَا، وقد أيِسَ من رَاحلَته، فَبَيْنَما هُوَ كَذَلك، إذْ هُوَ بها قائمةً عنْدَهُ، فأخَذ بخطامها، ثُمَّ قال ـ منْ شدَّة الفَرَحِ ـ: اللَّهُمَّ أنتَ عَبْدِي، وأنا ربُّك، أَخطَأَ منْ شدَّة الفَرَحِ».

وَمِنْ دُرر العلاَّمَة ابْن القيِّم ـ رحمه اللَّـه ـ قولُهُ: «التَّوبَةُ هِيَ حقيقةُ دِيْنِ الإِسْلاَم، والدِّينُ كُلُّهُ دَاخِلٌ في مُسَمَّىٰ التَّوبَة؛ وبهذا استحقَّ التَّائبُ أن يَكُونَ حبيب اللَّه، فإنَّ اللَّهَ يُحبُّ التَّوابين، ويُحبُّ المُتَطَهِّرِينَ، وإنما يُحبُّ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ ما أَمَرَ بِه، وتَرَكَ ما نَهَىٰ عَنْهُ. فإذًا التوبَةُ: هِيَ الرُّجُوعُ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ ظاهراً وباطنًا إلىٰ ما يُحِبُّهُ ظاهرًا وباطنًا، ويَدْخُلُ في مُسَمَّاها الإسلامُ، والإيمانُ، والإحسانُ، وتَتَنَاوَلُ جميعَ المقامات؛ ولهذا كانتْ غاية كُلِّ مُؤْمِنٍ، وبدايةَ الأَمْرِ، وخاتِمَتَهُ، وهي الغايةُ الَّتِي وُجِدَ

(١) رواه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٢)، واللفظ له.

لأَجْلِهَا الخَلْقُ، والأَمْرُ والتَّوحِيدُ جُزءٌ مِنْهَا، بل هُو جُزْءُها الأَعْظمُ الذي عليه بناؤها.

وأَكْثَرُ الناسِ لا يعرِفُونَ قَدْرَ التَّوْبَةِ، ولا حَقِيقَتَها، فَضْلاً عن القيامِ بِهَا عِلْمًا، وعملاً، وحَالاً، ولَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ - تعالىٰ - محبَّتَهُ للتَّوَّابينَ إلاَّ وَهُمْ خَواصُّ الخَلْقِ لَدَيْهِ، ولولاَ أنَّ التَوْبَةَ اسمٌ جامعٌ لشرائعِ الإسلامِ، وحقائقِ الإيمانِ، لَمْ يَكُن الرَّبُّ - تعالىٰ - يَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ ذلك الفَرَحَ العَظِيمَ، فَجَميعُ ما يتكلَّمُ فِيهِ النَّاسُ من المقاماتِ والأحْوالِ - هُوَ تفاصيلُ التَّوبةِ وآثارُها»[(١)] .

أيُّها الناسُ، تلك بَعْضُ فضائل التَّوبة.

ومن أسماء اللَّه الحُسنىٰ (التَّوَّابُ)، الذي لم يَزَلْ يتوبُ علىٰ التائبين، ويغفرُ ذُنوبَ المُنيبين، فَكُلُّ مَنْ تَابَ إلىٰ اللَّه توبةً نصوحًا، تاب اللَّه عليه.

فهو التَّائبُ علىٰ التَّائبين أوَّلاً بتوفيقهم للتَّوبةِ، والإقبالِ بقلوبهم إليه، وهو التَّائِب عليهم بَعْدَ توبتهم، قَبُولاً لها، وعَفْوًا عَنْ خطاياهم[(٢)] .

قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : **﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾** [التوبة: ١٠٤].

ولَقَد مَنَحَنَا اللَّهُ - سبحانه وتعالى - مُهْلَةً للتَّوبةِ، قَبْلَ أَنْ يَقُومَ الكرامُ الكاتبون بالتدوين.

روىٰ الطَّبرانيُّ في «الكبير»، والبَيهَقِيُّ في «الشُّعَبِ» بسندٍ حسن، حسَّنه الألبانيُّ في «الصحيحة»[(٣)] من حديث أبي أُمامةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ - :

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٠٦، ٣٠٧).

(٢) تفسير ابن سعدي (ص٣٥١).

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٢٥)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٣٤٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٠٩).

«إنَّ صاحبَ الشِّمال لَيَرْفَعُ القَلَمَ ستَّ ساعات عَنِ العبدِ المُسلِمِ المُخْطِئِ - أو المُسيءِ - فإنْ نَدمَ، واستغفرَ اللَّهَ منْهَا، ألْقَاها، وإلاَّ كتب واحدةً».

فعلينا - أيُّها الناسُ - بالتَّوبةِ من كُلِّ ذَنْب، صغيراً كان أو كبيراً، فإنَّ من البلاءِ احتقار الصَّغائرِ من الذُّنوبِ.

ففي «مسند أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[1] من حديثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «إياكم ومُحقَّرات الذُّنوب؛ فإنَّما مَثَلُ مُحقَّرات الذُّنوب كَمَثَلِ قَوم نَزَلُوا بَطْن واد، فجاءَ ذا بعُود، وجاءَ ذا بعُود، حَتَّى حملُوا ما أنْضَجُوا به خُبْزَهُمْ، وإنَّ مُحَقَّرات الذُّنوبِ متى يُؤْخَذ بها صاحبُها تُهْلكهُ».

وكما يجبُ علينا - أيُّها الناسُ - عَدَمُ احتقارِ الصَّغائرِ، فإنَّهُ يجبُ علينا أنْ نُحْسِنَ الظَّنَّ باللَّه - سبحانه وتعالى -.

ففي «مسند أحمد» بسندٍ صحيح، صحَّحَه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[2] من حديث أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - عَنْ رسولِ اللَّه ﷺ: أنَّ اللَّهَ - سبحانه وتعالى - قال: «أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدي بي، إنْ ظَنَّ بي خَيْراً فَلَهُ، وإنْ ظَنَّ شَرّاً فَلَهُ».

وفي «صحيح مسلم»[3] من حديثِ أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - عَنِ النبيِّ - ﷺ - فيما يَحْكِي عَنْ رَبِّه - سبحانه وتعالى - قَالَ: «أذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فقال: اللَّهُمَّ، اغْفِرْ لي ذَنْبي. فقال - تَبَارَكَ وتَعَالَى -: أَذْنَبَ عَبْدي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ، ويأْخُذُ بالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، اغْفِرْ لي ذَنْبي. فقال - تَبَارَكَ وتَعَالَى -: عَبْدي

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٣٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٨٦).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٩١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣١٥).

(٣) رواه مسلم (٢٧٥٨).

أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْب. ثمَّ عَاد فأَذْنَبَ، فقال: أي رَبِّ، اغْفِرْ لي ذَنْبي. فقالَ ـ تَبَارَكَ وتَعَالَى ـ : أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، ويأْخُذُ بالذَّنْب، اعْمَلْ ما شئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لك».

أيُّها النَّاسُ، إليكم نموذجًا من توبة صحابة رسولِ اللَّهِ ﷺ، والتي تبين لنا كيف كان خَوْفُهم مِنَ اللَّهِ ـ سبحانه وتعالى ـ؟

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: جَاءَ ماعِزُ بْنُ مالك إلى النَّبيِّ ـ ﷺ ـ، فقال: يَا رَسُولَ اللَّه، طَهِّرْني. فقال: «وَيْحَكَ ارْجِعْ، فاسْتَغْفِر اللَّهَ، وَتُبْ إلَيْه!» قال: فَرَجَعَ غَيْرَ بعيدٍ، ثُمَّ جَاءَ فقال: يَارَسُولَ اللَّه، طَهِّرْني. فقال رَسُولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «وَيْحَكَ ارْجِعْ، فاسْتَغْفِر اللَّهَ، وَتُبْ إلَيْه!» قال: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعيدٍ، ثُمَّ جاء فَقَالَ: يا رَسُولَ اللَّه، طَهِّرْني. فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: مِثْلَ ذَلكَ، حَتَّى إذا كانت الرَّابِعَةُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «فيمَ أُطَهِّرُكَ؟». فَقَالَ: مِنَ الزِّنَى. فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «أَبِه جُنُونٌ؟». فَأخبرَ أَنَّهُ لَيسَ بِمَجْنُونٍ. فَقَالَ: «أَشَرِبَ خَمْرًا؟». فَقَامَ رَجُلٌ، فاستَنْكَهَهُ (أي: شَمَّ رَائحَتَهُ)، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ. قال: فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «أَزَنَيْتَ؟». فقال: نَعَمْ. فأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فكَانَ النَّاسُ فيه فِرْقَتَيْنِ، قائلٌ يَقُولُ: لَقَدْ هَلَكَ، لقدْ أَحاطَتْ به خطيئَتُهُ. وقائلٌ يَقُولُ: ما تَوْبَةٌ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ ماعزٍ؛ إِنَّهُ جَاء إلى النَّبِي ـ ﷺ ـ فَوَضَعَ يَدَهُ في يَدِهِ، ثُمَّ قال: اقْتُلني بالحجارَة. قَالَ: فَلَبِثُوا بذَلكَ يَوْمَيْنِ أو ثَلاَثَةً، ثُمَّ جاءَ رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ وَهُمْ جُلُوسٌ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِز بْن مَالك». قال: فقالوا: غَفَرَ اللَّهُ لِمَاعِزِ بْنِ مالك. فقال رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً، لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّة لَوَسعَتْهُمْ».

---

(١) رواه مسلم (١٦٩٥).

قال: ثُمَّ جاءَتْهُ امْرَأَةٌ من غَامِدٍ مِنَ الأزدِ، فقالتْ: يا رسولَ اللَّه، طَهِّرني. فقال: «وَيْحَكِ ارجعي، فاستَغْفري اللَّهَ، وتُوبي إليه!» فَقَالَتْ: أَرَاكَ تُرِيدُ أنْ تُرَدِّدَني، كما رَدَّدْتَ ماعِزَ بْنَ مَالكٍ. قَالَ: «وَمَا ذَاكِ؟».

قالت: إنَّها حُبْلَىٰ مِنَ الزِّنَىٰ. فَقَالَ: «آنْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ. فقال لها: «حَتَّى تضعي ما في بَطْنك» قَالَ: فَكَفَلَهَا رَجُلٌ من الأنصارِ حتَّىٰ وضَعَتْ. قال: فأتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: قدْ وَضَعَتِ الغامِديَّةُ. فَقَالَ: «إذًا لا نَرْجُمُهَا ونَدَعُ وَلَدَهَا صغيرًا، لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ».

فقال رجُلٌ مِنَ الأنصارِ: إليَّ رَضَاعُهُ، يا نَبِيَّ اللَّهِ. قال: فرَجَمَهَا، ثمَّ أمر بها، فصلَّىٰ عليها، ودُفِنَتْ.

وفي رواية: فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيها - يا نبيَّ اللَّه - وقدْ زَنَتْ!. فقال: «لقد تَابَتْ تَوْبَةً، لو قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعينَ منْ أَهْلِ المَدينَة لَوَسِعَتْهُمْ، وهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا للَّهِ - تعالى -؟»[1].

وأستغفرُ اللَّهَ.

---

(١) رواه مسلم (١٦٩٦).

الخطبة الثانية

شروط التوبة

الحَمْدُ لِلَّه ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المُرسلينَ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّم الحديث عن التَّوبةِ مع ذِكْرِ شيءٍ من فضائِلها، والآن حديثي معكمْ عَنْ شُروطِ التَّوبةِ.

أيُّها الناس، إنَّ التَّوبة الصادقة هي التي اجتمع فيها خمسةُ شُروط:

الشرط الأول ـ الإخلاص للَّه ـ سبحانه وتعالى ـ بأن يقصدَ بها وَجْهَ اللَّهِ ـ تعالىٰ ـ راجيًا ثوابَهَ والنَّجاةَ من عَذَابِهِ.

والإخلاص لابُدَّ منه لكُلِّ عملٍ صالحٍ، فهو حقيقة الدِّين، ومفتاحُ دعوةِ الرُّسُلِ ـ عليهم السلامُ ـ.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البيِّنة: ٥].

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ يقُولُ: «**إنَّمَا الأعمالُ بالنِّيَّات، وإنَّما لكُلِّ امرئٍ ما نوى، فمن كانتْ هجْرَتُهُ إلى اللَّه ورَسُوله، فَهِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورسُولِه، ومَنْ كانتْ هِجْرَتُهُ لدُنيا يُصيبُهَا، أو امْرَأَةٍ يَنْكحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه**».

---

(١) رواه البخاري (١/ ٧)، ومسلم (١٩٠٧).

الشرط الثاني ـ النَّدمُ على فِعْلِ المعصيةِ، بحيثُ يحزنُ علىٰ فِعلِها، ويتمنَّىٰ أنَّه لم يفْعَلْها.

ففي «سنن ابن ماجَهْ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجـــه»[1] من حديثِ ابْنِ مَعْقِلٍ قال: دخلتُ مع أبي علىٰ عَبْدِ اللَّهِ (أي: ابْنِ مسعودٍ)، فسمعتهُ يقولُ: قال رسولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**». فقال له أبي: أنت سمعتَ النبيَّ ـ ﷺ ـ يقولُ: «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**»؟ قال: نَعَمْ.

الشَّرْطُ الثالثُ ـ الإقلاعُ عَنِ الذَّنْبِ فَوْرًا، فإنْ كانتْ في حقِّ اللَّهِ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، تَرَكَهَا إنْ كانتْ في فِعْلٍ مُحَرَّمٍ، وبادر بِفِعْلِها إنْ كانتْ في تَرْكِ واجبٍ، وإنْ كانتْ في حقِّ مخلوقين، بادر بإرجاعِ حقوقِ مَنْ ظلمهم، أو طَلَبَ البراءةَ منهم ـ أي: طلب السماحَ له، وتحليلهُ منها ـ، لأنَّ التوبةَ تكونُ في حقِّ اللَّهِ، وحقِّ العبادِ، فحقُّ اللَّهِ يكفي فيه التَّرْكُ، وهناك ما يكفي فيه مع التَّرْكِ الكفَّارَةُ والقضاءُ.

أمَّا حقُّ غَيْرِ اللَّهِ فيحتاجُ إلىٰ السَّماحِ من المظالمِ، وإلىٰ أداء الحُقوقِ إلىٰ مُسْتحقِّيها، حتَّىٰ يَحْصُلَ الخلاصُ من ذلك الذَّنْبِ.

ففي «الصحيحين»[2] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «**مَنْ كانتْ له مَظْلمةٌ لأَحَدٍ منْ عِرْضِه ـ أوْ شيءٍ ـ فَلْيَتَحَلَّلْهُ منْهُ اليومَ، قَبْلَ ألاَّ يكونَ دينارٌ ولا درْهمٌ، إن كانَ لَهُ عَمَلٌ صالحٌ، أُخِذَ منْهُ بِقَدْرِ مَظْلمَتِه، وإنْ لم يَكُنْ لَه حسناتٌ، أُخِذَ مِنْ سيِّئاتِ صَاحِبِه، فحُمِلَ عَلَيْه**».

الشَّرْطُ الرَّابعُ ـ العَزْمُ على ألاَّ يَعُودَ إلى تِلْكَ المعصيةِ في المُستقبلِ.

---

(١) رواه ابن ماجَهْ (٤٢٥١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجَهْ (٣٤٢٩).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٩)، واللفظ له، ومسلم (٢٥٨١).

الشَّرْطُ الخامس - أنْ تكونَ التوبةُ قَبْلَ فواتِ قَبُولِها، إمَّا بحُضُورِ الأَجَلِ، أو بطُلوعِ الشَّمسِ مِنْ مَغْرِبها.

قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾ [النساء: ١٨].

ومعنى حضور الموت: أَيْ: وقت الغَرْغَرةِ عِنْدما تبلُغُ الرُّوحُ الحُلْقومَ.

لما في «سنن ابن ماجَهْ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجَهْ»(١) من حديث عبد اللَّه بن عَمْرٍو - رضي اللَّه عنهما - عن النبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ اللَّهَ - عزَّ وجلَّ - ليَقْبَلُ تَوْبَةَ العبدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**».

وقد ذكر أهلُ العلم أنَّ التوبة في هذه الحالِ توبةُ اضطرارٍ، لا تنفعُ صاحبَها، إنَّما تنفعُ توبةُ الاختيارِ، وهذا كما قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [غافر: ٨٤].

وكما حكم اللَّهُ - سبحانه وتعالىٰ - بعَدَمِ توبةِ أهلِ الأَرْضِ، إذا عاينوا الشَّمسَ طالعةً من مَغْربها في قولِهِ - سبحانه وتعالىٰ - : ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨](٢).

وفي «صحيح مسلم»(٣) من حديثِ أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ مَغْرِبِها - تَابَ اللَّهُ عَلَيْه**».

أيُّها الناسُ، تلك شُرُوط التوبة، فعلينا أنْ نتوبَ إلىٰ اللَّهِ توبةً نَصُوحًا، قبلَ أنْ يقولَ أَحَدُنا: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ

---

(١) رواه ابن ماجَهْ في سننه (٤٢٥٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجَهْ (٣٤٣٠).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ١٤٣).

(٣) رواه مسلمٌ (٢٧٠٣).

قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

اللَّهُمَّ اغْفر لنا، وتُبْ علينا إنك أنت التوابُ الرَّحيم.

اللَّهُمَّ اغفرْ لنا ما قَدَّمْنا، وما أَخَّرْنا، وما أَسْرَرْنا، وما أَعْلَنَّا، وما أنتَ أعلمُ به منَّا، إنك أنت المُقدِّمُ والمُؤَخِّرُ، لا إله إلاَّ أنت.

اللَّهُمَّ اغفرْ لنا ذَنْبَنا كُلَّهُ، دِقَّهُ وجِلَّهُ، وأوَّلَهُ وآخِرَهُ، وعلانِيَتَهُ وسِرَّهُ.

الخطبة الأولى

خصائص يوم الجمعة

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمَّا بَعْدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكم اليومَ عَنْ خصائصِ سيِّدِ الأيَّامِ، وخَيْرِ يومٍ طَلَعَتْ عليه الشمسُ، فيه خُلِقَ آدَمِ - عليه السلامُ - وفيه أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وفيه أُخْرِجَ منها، وفيه تقومُ الساعةُ، وفيه ساعةٌ، لا يُوافِقُها عبدٌ مُسلمٌ، يسألُ اللَّهَ خيراً، إلاَّ أعطاه ما سَأَلَ، وفيه صلاةُ الجُمعةِ التي أمرَ اللَّهُ بالسَّعْيِ إليها في كتابه العزيز، فقال - سبحانه وتعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ

فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجُمُعة: ٩].

ومن فضائل يوم الجُمُعة - أيُّها الناسُ - أنَّ اللَّهَ - سبحانه وتعالى - اختصَّ به هذه الأُمَّة دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الأُمَمِ.

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هُريرة - رَضِي اللَّه عنه - أَنَّهُ سَمِعَ رسولَ اللَّهِ - ﷺ - يقولُ: «نَحْنُ الآخِرُون السَّابِقُونَ يومَ القيامة، بَيْدَ أَنَّهُم أُوتُوا الكتابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثمَّ هذا يَوْمُهُمُ الَّذي فُرِضَ عَلَيْـهِمْ، فاخْتَلَفُوا فيـه، فَهَدانا اللَّهُ، فالنَّاسُ لَنَا فيـه تَبَعٌ: اليهُودُ غَدًا، والنَّصَارى بَعْدَ غَدٍ».

ومن فضائله أنَّهُ خَيْرُ يوم طلعتْ فيه الشَّمْسُ.

ففي «سنن أَبي داودَ»، والتِّرمذيِّ، والنَّسائيِّ بسندٍ صحيحٍ، صحَّحَه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(٢)] من حديث أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «خيرُ يوم طَلَعَتْ فـيه الشمسُ يومُ الجُمعـة: فيه خُلِقَ آدَمُ، وفيه أُهْبطَ، وفـيه تِيبَ عليه، وفيه ماتَ، وفيه تقومُ الساعةُ، وما منْ دابَّةٍ إلاَّ وَهيَ مُسيخةٌ (أي منتظرةٌ لقيامِ الساعة، مُصْغيةٌ لها) يومَ الجُمُعـة، منْ حينَ تُصْبِحُ، حتَّى تطلُعَ الشَّمسُ شفقًـا من الساعة إلاَّ الجنَّ والإنْسَ، وفيه ساعـةٌ لا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلمٌ - وهو يُصَلِّي - يَسأَلُ اللَّهَ حاجةً، إلاَّ أعْطاهُ إيَّاها».

ومن فضائله أنَّهُ من مُكَفِّرَاتِ الذُّنوب.

ففي «صحيح مسلم»[(٣)] من حـديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قـال: «الصلواتُ الخَمْسُ، والجُمُعةُ إلى الجُمُعـة، ورَمَضَانُ إلى رَمَضَانَ - مُكَفِّرَاتٌ ما

(١) رواه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).

(٢) رواه أبو داود (١٠٤٦)، واللَّفظ له، والترمذي (٤٩١)، والنسائي (٣/ ١١٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٢٩).

(٣) رواه مسلم (٢٣٣).

بَيْنَهنَّ، إذا اجْتُنِبَت الكبائِرُ».

وفي «صحيح البخاريِّ»(١) من حديث سَلْمانَ الفارسيِّ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «لا يغتسلُ رجلٌ يومَ الجُمُعَة، ويتطهَّرُ ما استطاع منْ طُهْر، ويَدَّهِنُ منْ دُهْنه، أو يَمَسُّ منْ طِيْب بَيْته، ثُمَّ يَخْرُجُ، فلا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْن، ثُمَّ يُصلِّي ما كُتِبَ له، ثُمَّ يُنْصِتُ إذا تَكلَّم الإمامُ - إلا غُفِرَ لَهُ ما بَينَهُ وبَيْنَ الجُمُعةِ الأُخْرَى».

وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ تَوضَّأَ، فأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الجُمُعةَ، فاستَمَعَ وأَنْصَتَ - غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُ وَبيْنَ الجُمُعةِ، وزيادةُ ثلاثة أيَّام، ومَنْ مسَّ الحَصَى فَقَد لَغَا».

وصلاةُ الجُمُعَة - أيُّها الناسُ - فرضُ عَيْنٍ على كُلِّ مسلمٍ، ذكرٍ، حُرٍّ بالغٍ، مُقيمٍ، غَيْرِ مَعْذُورٍ لأدلَّة، منها:

قال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجُمُعة: ٩].

قال الحافظُ ابن حَجَر - رحمه اللَّه -: «فالأَكْثَرُ أنَّها فُرِضَتْ بالمدينةِ، وهو مُقْتَضَى ما تقدَّمَ، أنَّها فُرِضَتْ بالآيةِ المذكورة، وهي مَدَنيَّةٌ»(٣).

وفي «الصحيحين»(٤) من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أنَّه سمع رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «نحنُ الآخِرونَ السابقون يومَ القيامةِ، بَيْدَ أَنَّهم أُوتُوا الكتابَ

(١) رواه البخاري (٨٨٣).

(٢) رواه مسلم (٨٥٧).

(٣) فتح الباري (٢/ ٣٥٤).

(٤) تقدم تخريجه.

منْ قَبْلنا، ثمَّ هذا يَوْمُهُمُ الَّذي فُرِضَ علـيهم، فاختلفوا فيه، فهـدانا اللَّهُ، فالناسُ لنا فيه تَبَعٌ: اليَهُودُ غَدًا، والنَّصارى بَعْدَ غَدٍ».

وفي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[1] من حديث طارق بْن شهابٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قال: «الجُمُعَةُ حقٌّ واجبٌ على كُلِّ مُسلمٍ في جماعةٍ إلاَّ أربعةً: عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، أو امرأةٌ، أو صَبِيٌّ، أو مَريضٌ».

فتبَيَّن من خِلالِ حديثِ طارقِ بن شهابٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ أنَّ صلاةَ الجُمُعةِ فرض عينٍ إلا علىٰ مَنِ استثني، وهم خمسة:

أولاً ـ العَبْدُ المَمْلُوكُ. **ثانيًا ـ** المَرْأَةُ.

ثالثًا ـ الصبيُّ. **رابعًا ـ** المريضُ.

خامسًا ـ المسافرُ في أصحِّ قَولَي العلماءِ.

وقد أجمع العلماءُ علىٰ وجوبِ الجُمُعةِ.

قال ابن المُنْذر في كتابه «الإجماع»[2]: «وأجمعوا علىٰ أنَّ الجُمُعة واجبةٌ علىٰ الأحرارِ البالغين المُقيمين، الذين لا عُذْرَ لهم».

وقال الإمام ابْنُ رشد في «بداية المجتهد»[3]: «وُجُوبُ صلاةِ الجُمُعةِ علىٰ الأعيانِ هو الذي عليه الجُمْهُورُ».

أيُّها الناسُ، لقد جاء الوعيدُ الشديدُ لمن تخلَّف عن الجُمُعةِ لغير عُذْرٍ، فمن ذلك:

---

(١) أخرجه أبو داود (١٠٦٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٤٢).
(٢) الإجماع لابن المنذر (ص٤١).
(٣) بداية المجتهد (١/ ٣٧٩).

ما جاء في «سنن أبي داودُ» بسندٍ حسنٍ صحيحٍ - قالهُ الألباني في «صحيح سنن أبي داودَ»[١] مِنْ حديثِ أبي الجَعْدِ الضَّمْريِّ - رضي اللَّه عنه - أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَنْ تَرَكَ ثلاثَ جُمَعٍ - تَهَاوُنًا بِهَا - طَبَعَ اللَّهُ على قَلْبِه».

وفي «صحيح مسلمٍ»[٢] من حديث أبي هريرة وعبدِ اللَّهِ بن عمرٍو أنَّهما سمعا رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ على أعوادِ مِنْبَرِه: «لَيَنْتَهِينَّ أقوامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ على قُلُوبِهِمْ، ثمَّ لَيَكُونُنَّ من الغافلين».

وللجُمُعة - أيُّها الناسُ - خصائص كثيرةٌ، ذكرها بَعْضُ أَهْلِ العلمِ[٣]، وسوف أقتصرُ على الثابتِ منها.

فمن خصائصِها قراءةُ سُورةِ السَّجْدةِ في فَجْرِ يَوْمِها.

ففي «صحيح مسلمٍ»[٤] من حديث ابن عَبَّاسٍ - رضي اللَّه عنهما - أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - كان يقرأُ في صلاةِ الفَجْرِ يومَ الجُمُعةِ ﴿الم ① تَنزِيلُ﴾ السجدة، و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾، وأنَّ النبيَّ - ﷺ - كان يقرأُ في صلاةِ الجُمُعةِ سُورةَ الجُمُعةِ والمُنافقين.

ومن خصائصِها استحبابُ كَثْرَةِ الصلاةِ على النبي - ﷺ - فيها.

ففي «سنن أبي داودَ» بإسنادٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[٥] من حديثِ أَوْسِ بْنِ أوْسٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «إنَّ

---

(١) رواه أبو داود (١٠٥٢)، وانظر صحيح سنن أبي داود (٩٢٨).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) انظر زاد المعاد (١/ ٣٦٣).
(٤) رواه مسلم (٨٧٩).
(٥) رواه أبو داود (١٠٤٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٢٥).

منْ أَفْضَلِ أيَّامكُم يَوْمَ الجُمُعة: فيه خُلق آدَم، وفيه قُبض، وفيه النَّفْخَةُ، وفيه الصَّعْقَةُ؛ فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه؛ فإنَّ صلاتَكُمْ مَعْرُوضةٌ عليَّ» قال: قالوا: يا رسولَ اللَّه، وكيف تُعْرَضُ صلاتُنَا عليك، وقَدْ أَرَمْتَ - يقولون: بَلِيْتَ -؟! فقال: «إنَّ اللَّهَ - عَزَّ وجلَّ - حرَّمَ على الأرضِ أنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأنبياء».

وروى البيهقيُّ في «سننه» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[1] من حديث أنس بن مالكٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «أكثروا الصلاةَ عليَّ يَوْمَ الجُمُعة، وليلةَ الجُمُعة، فَمَنْ صلَّى عليَّ صلاةً، صلَّى اللَّهُ عليه بها عَشْرًا».

وأخرجَ الحاكمُ في «مستدركه»، وقال: صحيحُ الإسنادِ، وصحَّحهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع» لشواهده[2] من حديث أبي مسعودٍ الأنصاريِّ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «أكثروا الصَّلاةَ عليَّ في يومِ الجُمُعة؛ فإنَّهُ لَيْسَ أحَدٌ يُصَلِّي عليَّ يَوْمَ الجُمُعة، إلاَّ عُرِضَتْ عليَّ صلاتُهُ».

ومن خصائصها أنَّها من أعظم مجامعِ المُسلمين، كما ذكر ذلك بَعْضُ أهلِ العِلْمِ.

ومن خصائصها الأَمْرُ بالاغتسالِ في يَوْمِها.

ففي «الصحيحين»[3] من حديثِ ابْنِ عُمَرَ - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «مَنْ أَتَى - وفي روايةٍ: مَنْ جاءَ منكمُ - الجُمُعةَ فَلْيَغْتَسِل».

وفي «الصحيحين»[4] من حديث أبي سَعِيدٍ الخُدْريِّ - رضي اللَّه عنه - أنَّ

---

(١) رواه البيهقي في سننه (٣/ ٢٤٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٠٩).
(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٤٢١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٠٨).
(٣) رواه البخاري (٨٩٤)، ومسلم (٨٤٤). (٤) رواه البخاري (٨٩٥)، ومسلم (٨٤٦).

النبيَّ ﷺ قال: «غُسْلُ يوم الجُمُعة واجبٌ على كُلِّ مُحْتَلِمٍ».

والمُحْتَلِمُ - أيُّهَا النَّاسُ - : هو الرَّجُل البالغُ.

ومن خصائصها استحبابُ الطِّيب فيها.

ففي «صحيح البخاري»[1] من حديث سَلْمانَ الفارسيِّ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ - : «لا يَغْتسلُ رجلٌ يومَ الجُمُعة، ويتَطهَّرُ ما استطاع منْ طُهْرٍ، ويَدهنُ منْ دُهْنه، أو يَمَسُّ منْ طيْب بيْته، ثُمَّ يَخْرُجُ، فلا يُفرِّقُ بيْنَ اثْنَيْن، ثُمَّ يُصلِّي ما كُتبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصتُ إذا تَكَلَّم الإمامُ - إلاَّ غُفرَ لَهُ مَا بيْنَهُ وبيْنَ الجُمُعة الأُخْرى».

وفي رواية مسلم[2]: «ويَمَسُّ طيبًا - أو دُهْنًا - إنْ كان عندَ أَهْله».

ومن خصائصها السِّواكُ فيها.

ففي «الصحيحين»[3] من حديث أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «لَولاَ أنْ أَشقَّ على أُمَّتي، لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّواك عندَ كُلِّ صلاة».

وفي «الصحيحين»[4] من حديث عَمْرو بْن سُلَيم الأَنصاريِّ قال: أَشْهَدُ على أبي سعيد قال: أَشْهَدُ على رسول اللَّه - ﷺ - قال: «الغُسْلُ يومَ الجُمُعة واجبٌ على كُلِّ مُحْتَلم، وأن يَسْتَنَّ، وأنْ يَمَسَّ طيْبًا إنْ وَجَدَ» قال عَمْرُو بن سُلَيم: «أمَّا الغُسْلُ فأَشْهَدُ أَنَّه واجبٌ، وأمَّا الاستنانُ (أي: الاستياكُ) والطِّيبُ فاللَّه أعلمُ، أَوَاجبٌ هُوَ أمْ لا؟، ولكنْ هكذا في الحديث».

ومن خصائصها التبكيرُ للصلاة.

---

(١) تقدم تخريجه. (٢) رواه مسلم (٨٤٨).

(٣) رواه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢).

(٤) رواه البخاري (٨٨٠)، ومسلم (٨٤٦).

فـفي «الصـحيحـين»[(١)] من حـديث أبي هُـريرةَ ـ رضـي اللَّه عنه ـ قـال: قـال رسـولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «مَنِ اغتسلَ يَوْمَ الجُمُعة غُسْلَ الجَنَابة، ثمَّ رَاحَ، فكأنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، ومَنْ أَتَى في السَّـاعة الثانيـة، فكأنَّما قَرَّبَ بَـقَرَةً، وَمَنْ أَتَى في الساعـة الثالثـة، فكأنَّما قَرَّبَ كَـبْشًـا أَقْرَنَ، ومَنْ أَتَى في السَّـاعة الرابعـة، فكأنَّما قَـرَّبَ دجَاجـةً، ومَنْ أَتَى في السَّـاعة الخامـسة، فكـأنَّمَا قَـرَّبَ بَيْضَةً، فـإذا خَرَجَ الإِمَـامُ، طَوَت الملائكةُ صُـحُفَـها، وحَضَرُوا يستمعون الذِّكْرَ».

وأستغفرُ اللَّهَ.

---

(١) رواه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).

الخطبة الثانية

خصائصُ يومِ الجمعة

الحَمْدُ للَّهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على رسولِهِ الأمينِ، وعلى آلهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّم الحديثُ عَنْ بَعْضِ خصائصِ يومِ الجُمُعةِ، وفيما يأتي ذِكْرُ بَعْضِها:

فمن خصائصِها - أيُّها الناسُ - قراءةُ سُورةِ الكَهْفِ في يومها.

ففي «مستدرك الحاكم» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «إرواء الغليل»[1] من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي اللَّه عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال: «**مَنْ قَرأَ سُورة الكَهْفِ في يَوْمِ الجُمُعَةِ، أَضاءَ له منَ النُّورِ ما بَيْنَ الجُمُعَتَيْنِ**».

ومن خصائصها أنَّه يُستحبُّ أن يلبسَ المرءُ فيها أَحْسَنَ الثِّيابِ التي يَقْدِرُ عليها من لِباسهِ الشَّرعيِّ.

ففي «مسندِ أحمدَ» بسند حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «التعليق على صحيح ابن خُزَيْمةَ»[2] من حديث أبي أَيُّوبَ قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ - ﷺ - يقول: «**مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعةِ، ومَسَّ مِنْ طِيْبٍ - إنْ كانَ له - ولَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثيابِهِ، ثمَّ خَرَجَ، وعليه**

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٣٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٣٦)، وإرواء الغليل (٣/ ٩٣).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٤٢٠)، وحسنه الألباني في التعليق على صحيح ابن خزيمة (٣/ ١٧٧٥).

السكينةُ، حتَّى يَأْتِيَ المَسْجِدَ، ثمَّ يَرْكَعُ - إنْ بَدَا لَهُ - ولم يُؤْذِ أَحَدًا، ثمَّ أَنْصَتَ إذا خَرَجَ إمامُهُ حتَّى يُصَلِّيَ - كانتْ كَفَّارةً لما بَيْنَهُما».

وفي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود»[1] من حديث عبد اللَّه بن سلاَّمٍ أنَّه سَمِعَ النَّبيَّ - ﷺ - يقولُ على المِنْبَرِ يَوْمَ الجُمُعةِ: «مَا علَى أَحَدِكُم، لَوِ اشترى ثَوْبَيْنِ ليومِ الجُمُعةِ سِوى ثَوبَيْ مِهْنَتِه؟».

ومن خصائصها الإنصات للخُطْبَة.

ففي «الصحيحين»[2] من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إذَا قُلْتَ لصاحبك يَوْمَ الجُمُعة: أَنْصتْ - والإمامُ يَخْطُبُ - فقدْ لَغَوْتَ» ومعنى لَغَوت - أيُّها الناسُ - : أي بَطَلَتْ جُمُعَتُكَ. وقال بعضُ أهلِ العلمِ: أي صارتْ جُمُعتُكَ ظُهْرًا. وذلك استنادًا إلى الحديثِ الآتي:

ففي «سنن أبي داود»، و«صحيح ابن خُزَيمةَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الأَلبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[3] من حديث عبد اللَّه بن عَمْرِو بْن العاصِ - رضي اللَّه عنهما - أنَّ رسولَ اللَّه - ﷺ - قال: «مَنِ اغتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَة، ومسَّ مِنْ طيب امْرَأَته - إنْ كان لها -، ولَبِسَ مِنْ صالحِ ثيابه، ثمَّ لم يَتَخَطَّ رِقَابَ الناسِ، ولم يَلْغُ عِندَ المَوْعِظَة - كان له كفَّارةً لما بَيْنَهما، وَمَنْ لَغَا، وتخطَّى رِقَابَ الناسِ، كانَتْ لَهُ ظُهْرًا».

ومن خصائصها أنَّ فيها ساعةَ الإجابة.

ففي «الصحيحين»[4] من حديث أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - أنَّ رسولَ اللَّه - ﷺ -

---

(١) رواه أبو داود (١٠٧٨)، وابن ماجَهْ (١٠٩٥).

(٢) رواه البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١).

(٣) رواه أبو داود (٣٤٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٣/ ١٥٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٢١).

(٤) تقدم تخريجه.

ذَكَرَ يوم الجُمُعةِ، فقال: «فيه ساعةٌ، لا يُوافقُها عَبْدٌ مسلمٌ ـ وهو قائم يُصَلِّي ـ يَسْأَلُ اللَّه ـ تعالى ـ شيئًا، إلاَّ أَعْطَاهُ إيَّاهُ». وأشارَ بيدِه يُقَلِّلُها.

وأخرج ابن ماجَهْ في «سننه» بسندٍ حسنٍ صحيحٍ ـ قاله الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»(١) ـ من حديث عبد اللَّهِ بن سلاَّمٍ قال: قلتُ ـ ورسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ جالسٌ ـ: إنَّا لنجدُ في كتابِ اللَّهِ: في يَوْمِ الجُمُعةِ ساعةٌ، لا يُوافِقُها عبدٌ مُؤْمِنٌ يُصلِّي، يسأَلُ اللَّهَ فيها شيئًا، إلاَّ قَضَىٰ له حاجتَهُ. قال عَبْدُ اللَّهِ: فأشار إليَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أو بَعْضُ ساعة» قلتُ: صَدَقْتَ، أو بَعْضُ ساعةٍ. قلتُ: أيُّ ساعةٍ هيَ؟ قال: «هيَ آخِرُ ساعات النهارِ» قلتُ: إنها ليستْ ساعة صلاةٍ. قال: «بَلَى، إنَّ العَبْدَ المؤمنَ إذا صَلَّى، ثُمَّ جَلَسَ لا يَحْبِسُهُ إلاَّ الصلاةُ، فهو في الصَّلاةِ».

وفي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيحٍ(٢) من حديث جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن رسولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ أنَّهُ قال: «يَوْمُ الجُمُعة اثنتا عَشْرَةَ ساعةً، لا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يسألُ اللَّهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ شيئًا، إلاَّ آتاهُ اللَّهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ، فَالْتمسُوها آخِرَ ساعةٍ بَعْدَ العَصْرِ».

قال التِّرْمذيُّ: «ورأىٰ بَعْضُ أهل العلم من أصحابِ النبيِّ ـ ﷺ ـ وغَيْرِهِمْ أنَّ الساعة التي تُرْجَىٰ فيها إجابةُ الدَّعْوةِ بَعْدَ العَصْرِ إلىٰ أنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، وبه يقولُ أحمدُ وإسحاقُ»(٣).

قال ابْنُ القيم: «روىٰ سعيدُ بْنُ منصورٍ في سُننه عن أبي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرحمنِ: أنَّ ناسًا من أصحابِ رسولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ اجتمعوا، فتذاكروا الساعة التي في يوم

---

(١) رواه ابن ماجَهْ في سننه (١١٣٩)، وانظر صحيح سنن ابن ماجه (٩٣١).
(٢) رواه أبو داود في سننه (١٠٤٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٢٦).
(٣) صحيح الترغيب والترهيب للألباني (١/ ٤٤٠).

الجُمُعةِ، فتفرَّقوا ولم يختلفوا أنَّها آخرُ ساعةٍ من يومِ الجُمُعةِ»(١).

وقال الحافظ ابن حَجر: «وقد صحَّ اتِّفاقُ الصحابة أنَّها آخرُ ساعةٍ من يومِ الجُمُعةِ، فلا يجوزُ مُخالفتُهم»(٢).

قال الألبانيُّ معلِّقًا على كلام ابن حجر: «وهو الصَّوابُ عندي؛ لأنَّ أكثر أحاديثِ البابِ عليه، وما خالفها فليس فيها شيٌ صحيح»(٣).

ومن خصائصِها أنَّ الوفاةَ يومَ الجُمُعةِ أو لَيْلَتَها من علاماتِ حُسْنِ الخَاتمة.

ففي «مسندِ أحمدَ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»(٤) من حديث عبد اللَّه بن عَمْرٍو ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «ما مِنْ مسلمٍ يموتُ يومَ الجُمُعةِ ـ أو ليلةَ الجُمُعَةِ ـ إلاَّ وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ القَبْرِ».

وفقَنا اللَّهُ جميعًا لما يُحِبُّه ويَرْضَاهُ، وجنَّبنا ما فيه سَخَطُهُ وعقابُهُ، وجَعلَ خَيْرَ أعمالِنا خواتِمَها، وخَيْرَ أيَّامِنا يومَ نَلْقَاهُ، إنَّه جَوادٌ كريمٌ. والحَمْدُ للَّه ربِّ العالمينَ، وصَلَّى اللَّهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

---

(١) زاد المعاد (١/ ٣٧٩).

(٢) فتح الباري (٢/ ٣٤٥).

(٣) صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٤٤٠).

(٤) رواه الإمام أحمد (٦٥٨٢)، وصححه الألباني في المشكاة (١٣٦٧)، وصحيح الجامع (٥٧٧٣).

الخطبة الأولى
تفسير سورة ق

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عَنْ سُورة ق، تلك السُّورةُ العظيمةُ، التي كان النبيُّ - ﷺ - يقرؤها كُلَّ جُمعة.

كما في «صحيح مسلم»(١) من حديثِ أمِّ هشامٍ بِنْتِ حارثةَ - رضي اللّه عنها - قالتْ: «ما أَخَذْتُ ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ إلاَّ عَنْ لسانِ رسولِ اللّه - ﷺ -، يقْرَؤُها كُلَّ يَوْمِ جُمُعةٍ على المِنْبَرِ، إذا خَطَبَ الناسَ».

(١) رواه مسلم (٨٧٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾.

﴿قٓ﴾ قال أهلُ العلم: إنَّه من الأَسْلَمِ عَدَمُ التعرُّضِ لمعناهُ، وكذلك الحروفُ المُقَطَّعَةُ في أوائل بَعْضِ السُّورِ، مع الجَزْمِ بأنَّ اللَّهَ لم يُنْزِلْها عَبَثًا، بل لحكمة لا نعلمُها. ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ يُقسمُ اللَّهُ - سبحانه وتعالىٰ - بالقرآن الذي قد احتوىٰ علىٰ عُلُومِ الأوَّلين والآخرين. ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ رسولٌ مِنْ أنْفُسِهِمْ، يُخَوِّفُهُم بالنَّارِ بَعْدَ البَعْثِ. ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا﴾ الإنذارُ ﴿شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أيْ مُسْتَغْرَبٌ. ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ نَرْجِعُ ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ غاية البُعْدِ. ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ تأكُلُ الأرضُ مِنْ لُحُومِهِمْ، ودمائِهِمْ، وعِظَامِهِمْ. ﴿وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ هو اللَّوحُ المحفوظُ فيه جميعُ الأشياء المُقَدَّرة.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ بالقُرآنِ ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ في شَأْنِ النَّبيِّ ﷺ والقُرْآنِ ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ مُضْطَرِبٌ، يَقُولون عَنِ النبيِّ ﷺ مَرَّة: شاعرٌ، ومَرَّة: ساحرٌ، ويقولون عنِ القُرآن مَرَّةً: سِحْرٌ، ومَرَّةً: رِجزٌ.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا﴾ بعيونهم، مُعْتَبرين بعُقُولِهم حِينَ أنكروا البَعْثَ بَعدَ المَوْتِ ﴿إِلَى

السَّمَاءِ﴾ كائنةً ﴿فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ بلا عَمَدٍ ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ شقوقٍ تعيبُها ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ دَحَوْناها على وَجْهِ الماءِ ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالٌ تُثبِّتُها ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنْ أصنافِ النباتِ التي تسرُّ الناظرين. ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ تبصيراً وتذكيراً لكُلِّ عبدٍ رجَّاعٍ إلى اللَّه، مُقْبلٍ عليه بالحُبِّ والخَوفِ والرَّجاءِ، وأمَّا المُكذِّبُ والمُعْرِضُ فما تُغْني الآياتُ والنُّذُرُ عَنْ قَومٍ لا يؤْمنون.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾ كثير البركَةِ ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَحَبَّ﴾ الزَّرْعِ ﴿الْحَصِيدِ﴾ المَحْصُودِ ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ طِوالاً ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ مُتراكِبٌ بَعْضُهُ فَوقَ بَعْضٍ ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ جعلناها رِزْقًا للعبادِ ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ بالمَطَرِ أنبتنا فيها الكَلأَ ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ مِثْلُ ذلك الإحياء للأرضِ بَعْدَ مَوْتِها يكونُ الخُروجُ مِنَ القُبُورِ، فكيف يُنْكِرونَهُ؟!.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي كُلٌّ مِنْ هؤلاءِ المَذْكُورين كذَّبوا الرُّسُلَ، فحقَّ عليهم عذابُ اللَّهِ، وهذا جوابٌ لقولهم ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ ثمَّ ذَكَرَ ـ سبحانه وتعالى ـ أنَّهُ خَلَقَهُم أوَّلَ مرَّةٍ مِنْ عَدَمٍ، فهو قادرٌ على أنْ يُعيدَهُم بَعْدَ مَوْتِهِمْ؛ لأنَّ الإعادةَ أَهْوَنُ مِنْ الابتداءِ، لكنَّهم في شَكٍّ مِنَ البَعْثِ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ يُخْبِرُ ـ سبحانه وتعالى ـ أنَّهُ الذي خَلَقَ الإنسانَ، وأنَّهُ يَعْلَمُ بِأَحْوالِهِ، وأسرارِه، وما يُحدِّثُ به قَلْبَهُ، فلا يخْفَى عليه سرائرُه وضمائرُه، وأنَّهُ

أقربُ إليه من حَبْلِ الوَرِيد، الذي هو أقربُ شيءٍ إلىٰ الإنسانِ، والوريدانِ: عِرْقانِ بصَفْحَتَي العُنُقِ ﴿إِذْ يَتَلَقَّى﴾ يأخذُ ويُثبتُ ﴿الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ الملكانِ الموكلانِ بالإنسانِ، ما يعملُهُ ويتلفَّظُ به ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ منه، فالذي عَنِ اليمينِ يكتبُ الحسناتِ، والذي عَنِ الشِّمَالِ يكتبُ السَّيئاتِ ﴿قَعِيدٌ﴾ راصدٌ لعملِهِ ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظٌ ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضرٌ مُهيَّأٌ.

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ غَمْرتُهُ وشدَّتُهُ ﴿بِالْحَقِّ﴾ مِنْ أَمْرِ الآخرةِ، حتَّىٰ يراها الْمُنْكِرُ لها عيانًا وهو نفسُ الشِّدَّةِ ﴿ذَلِكَ﴾ المَوْتُ ﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ تَهْرُبُ وتَفْزَعُ، ولكن لا مَفَرَّ مِنَ المَوتِ ولا مَهْرَبَ. ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ للبَعْثِ ﴿ذَلِكَ﴾ يَوْمُ النَّفخِ ﴿يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ للكفَّارِ بالعذابِ ﴿وَجَاءَتْ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلىٰ المَحْشَرِ ﴿مَّعَهَا سَائِقٌ﴾ مَلَكٌ يَسُوقُها إليه ﴿وَشَهِيدٌ﴾ يَشْهَدُ عليها بعملِها، وهو الأَيْدي، والأَرْجُلُ، وغَيْرُهَا.

ويقال للكافر: ﴿لَقَدْ كُنتَ﴾ في الدُّنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ النَّازِلِ بِكَ اليومَ ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ أَزَلْنا غَفْلَتَكَ بما تُشاهِدُهُ اليومَ ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ يَنْظُرُ ما يُزْعِجُهُ ويَرُوعُهُ من أنواعِ العَذَابِ والنَّكالِ.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ المَلَكُ الموكَّلُ به ﴿هَذَا مَا﴾ هذا الذي ﴿لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ حاضرٌ، ويُقالُ لمن استحقَّ النَّارَ: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ مُعاندٍ للحقِّ يمنع الخير الذي عندَهُ، ظالم لنفسه، لا يُقرُّ بتوحيد اللَّه ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: كالزكاة، وغيرها ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿مُّرِيبٍ﴾ شاكٌّ في دِينِهِ ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ لا يَملكُ لنفسِهِ ضَرًّا ولا نَفْعًا ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ ألقياهُ في النارِ ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ الشيطانُ ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ أضللتُه ﴿وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ وجدته في الضلال، فَدَعوته فاستجاب لي ﴿قَالَ﴾ أي: اللَّه - تعالىٰ -: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ أيْ: لا فائدة مِن اختصامِكُمْ، وقدْ قامتْ عليكمُ الحُجَّةُ، وانقطعتْ حُجَّتُكُمْ ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم﴾ في الدنيا ﴿بِالْوَعِيدِ﴾ بالعذاب، ولا يمكنُ أنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴿مَا يُبَدَّلُ﴾ يُغَيَّرُ ﴿الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ في ذلك ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فأُعذِّبهم بغيرِ جُرْمٍ، بل أَجْزيهم بما عَمِلُوا من خيرٍ وشرٍّ، فلا يُزَادُ في سيِّئاتِهِمْ، ولا يُنْقصُ مِنْ حسناتِهم.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ﴾ وذلك من كَثْرَةِ ما أُلْقِيَ فيها ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ أي: لا تزالُ تَطْلُبُ الزِّيادةَ مِنَ المُجْرِمين العاصين غضبًا لربِّها، ولأنَّ اللَّهَ - سبحانَهُ - سَبَقَتْ كلمتُهُ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السَّجْدة: ١٣].

فتقولُ: أَلَسْتَ قَدْ أَقْسَمْتَ لَتَمْلأَنِّي؟ فيضعُ اللَّهُ - سبحانَهُ - قَدَمَهُ الكريمةَ المُنَزَّهة عَنِ التَّشبيهِ، فَيَنْزَوي بَعْضُها علىٰ بَعْضٍ، فتقولُ: قط، قط، بعزَّتِكَ وكَرَمِكَ، قد امتلأتُ[1].

(١) الحديث في صحيح البخاري (٧٣٨٤).

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ قُرِّبَتْ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ لربِّهم التاركين للشِّرْك ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ منهم، ويَرَوْنَها، ويُقالُ لهم - علىٰ وجْهِ التَّهْنِئَةِ -: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ في الدُّنيا ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رجَّاعٍ إلىٰ طاعةِ اللَّهِ ﴿حَفِيظٍ﴾ حافظٍ لحدودِ اللَّه ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ﴾ سالمين من الآفاتِ، فلا انقطاعَ لنعيمها ﴿ذَلِكَ﴾ اليوم الذي حَصَلَ فيه الدُّخول ﴿يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ الدَّوامِ في الجنَّةِ ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ أي: ثوابٌ يمدُّهم به ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ أي: ولهم أعظمُ من ذلك، النَّظَرُ إلىٰ وَجْهِ اللَّهِ الكَريمِ، وهذا أعظم شيءٍ في الجَنَّةِ.

ففي «صحيح مسلم»[1] من حديثِ صهيْبٍ - رضي اللَّه عنه - عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يقولُ اللَّهُ - تعالى -: تُريدُونَ شيئًا أَزيدُكُمْ؟ فيقولون: أَلَمْ تُبيِّضْ وُجُوهَنا؟!، أَلَمْ تُدْخِلْنا الجَنَّةَ، وتُنَجِّنا مِنَ النَّارِ؟! قال: فَيَكْشِفُ الحِجابَ، فما أُعْطُوا شيئًا أحبَّ إليهمْ مِنَ النَّظَرِ إلى ربِّهِمْ».

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

أي: كم أهلكنا قبلهم من أممٍ كثيرةٍ، هم أشدُّ من هؤلاءِ قُوَّةً، فهل وجدوا مفراً منْ الموتِ؟!، ففي ذلك ذكرىٰ لمن كان له قَلْبٌ حاضرٌ، وألقىٰ سَمْعَهُ لآياتِ اللَّهِ، ليس بغافلٍ ولا ساهٍ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أَوَّلُها الأحَدُ، وآخِرُها الجُمُعةُ.

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ تَعَبٍ ﴿فَاصْبِرْ﴾ خطابٌ للنبيِّ - ﷺ - ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾

---

(١) رواه مسلم (١٨١).

من الذَّمِّ لك، والتكذيبِ بما جئْتَ به ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ أي: اشتغلْ عنهم بطاعةِ اللَّه وتسبيحه أَوَّلَ النَّهارِ وآخِرَهُ، وفي أوقاتِ اللَّيلِ، وأَدْبارَ الصَّلَواتِ؛ فإن ذِكْرَ اللَّهِ مُؤْنِسٌ للنَّفْسِ، مُهَوِّنٌ للصَّبْرِ.

﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

﴿وَاسْتَمِعْ﴾ أي: واستمعْ يا مُحَمَّدُ بقلبِكَ صَيْحةَ القيامةِ ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ هو إسْرافيلُ حِيْنَ يَنْفُخُ في الصُّورِ ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ مِنَ السَّماءِ ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ هي الصَّيْحَةُ الأخيرةُ ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ مِنَ القُبورِ ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ أي: الخلائقِ ﴿سِرَاعًا﴾ أي: يُسرعون لإجابة الدَّاعي لهم إلىٰ مَوْقفِ القيامةِ ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي: هَيِّنٌ سَهْلٌ علىٰ اللَّه، لا تعبَ فيه ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: كُفَّارُ قُرَيْشٍ ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ أي: تُجبِرُهُم علىٰ الإيمانِ ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ وهم المؤمنون الذين يخافون وَعِيدَ اللَّه.

وأستغفرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية

تفسير سورة ق

الحَمْدُ للَّه ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المُرْسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا
شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ
الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ
مَّرِيجٍ (٥) أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ
(٦) وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧)
تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ
وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ
بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢)
وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ
وَعِيدِ (١٤) أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥) وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى

الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ
(١٨) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ
مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ
عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) الَّذِي
جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ
وَلَكِن كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ
(٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ
وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ
لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا
بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥) وَكَمْ أَهْلَكْنَا
قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧) وَلَقَدْ خَلَقْنَا
السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (٣٨) فَاصْبِرْ عَلَى مَا
يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ
فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (٤٠) وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ
يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا
الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤) نَحْنُ
أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥)﴾ .

باركَ اللَّه لي ولكم في القرآنِ العظيم

الخطبة الأولى

٤- أسباب الرزق

إن الحمد لله...

أما بعد:

حديثي معكم اليوم **أيها الناس** عن أسباب الرزق، وهي كثيرة، وسوف أذكر طرفًا منها.

فمن أسباب الرزق أيها الناس:

- تقوى الله:

والتقوى كما عرفها العلماء: «امتثال أمره ونهيه، ومعناها: الوقاية من سخطه وعذابه - سبحانه وتعالى-»[(١)].

وقد وردت أدلة تدل على أن التقوى من أسباب الرزق:

فمنها: قال الله - سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢، ٣]. فقد بين الله - سبحانه وتعالى- أن من تحقق لديه شرط التقوى فإن الله يجزيه بأمرين:

أحدهما: «يجعل له مخرجًا»؛ أي: ينجيه من كل كرب الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس.

وثانيهما: «ويرزقه من حيث لا يحتسب»؛ أي: يرزقه من حيث لا يأمل ولا يرجو»[(٢)].

---

(١) انظر: تحرير ألفاظ التنبيه (ص ٣٢٢).

(٢) انظر: زاد المسير (٨/ ٢٩١-٢٩٢).

وقال الله _ سبحانه وتعالى _: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦]؛ ففي هذه الآية بين الله - سبحانه وتعالى- أنه لو تحقق في أهل القرى أمران وهما: الإيمان، والتقوى؛ وسع - سبحانه وتعالى- عليهم الخير ويسره لهم من كل جانب.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن:١٦].

فأخبر - سبحانه وتعالى- أن لو استقام الناسُ على طريق الاستقامة والطاعة لأسقاهم ماءً غدقًا؛ أي هنيئًا مريئًا.

- ومن أسباب الرزق: تطبيق شرع الله في أنفسنا وفي الأرض:

قال الله - سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٦٦].

يخبر الله - سبحانه وتعالى- عن أهل الكتاب لو أنهم عملوا بما في التوراة والإنجيل والقرآن - كما قال عبد الله بن عباس؛ رضي الله عنهما[1]- لأكثر تعالى بذلك الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الأرض.

- ومن أسباب الرزق - أيها الناس- الاستغفار:

قال الله - سبحانه وتعالى- حاكيًا عن نوح - عليه السلام - أنه قال لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:١٠: ١٢]؛ ففي هذه الآية الكريمة بيان لتحقق الأمور التالية

(١) انظر: الكشاف (١/ ٦٢٩-٦٣٠).

بالاستغفار:

فمنها: مغفرة الله - سبحانه وتعالى - الذنوب وذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾.

ومنها: إنزال الله - سبحانه وتعالى- مطرًا يتبع بعضه بعضًا، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ﴿مِّدْرَارًا﴾: يتبع بعضها بعضًا»[1].

ومنها: إكثار الله - سبحانه وتعالى- الأموال والأولاد؛ قال عطاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾[2]:

ومنها: جعل الله - سبحانه وتعالى - جنات وهي البساتين، وجعل بينهما أنهارًا، وقد تمسك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بما جاء في هذه الآيات عند طلبه المطر من الله - سبحانه وتعالى-؛ فعن الشعبي أن عمر رضي الله عنه خرج يستسقي بالناس فلم يزد على الاستغفار حتَّى رجع، فقيل له: «ما سمعناك استقيت».

فقال: «طلبتُ الغيث بمجاديع السماء التي يُسْتَنْزَلُ به القطرُ، ثم قرأ: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[3].

وذكر القرطبي في «تفسيره» عن ابن صبيح قال: «شكا رجل إلى الحسن الجُدُوبَةَ، فقال له: «استغفر الله».

وشكا آخر إليه الفقر، فقال له:« استغفر الله».

وقال آخر: «ادع الله أن يرزقني ولدًا». فقال له: «استغفر الله».

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير ـ تفسير سورة نوح (ص ٩٧١).
(٢) تفسير البغوي (٤/ ٣٩٨).
(٣) تفسير الخازن (٧/ ١٥٤).

وشكا إليه آخر جفاف بستانه، فقال له: «استغفر الله».

فقلنا له في ذلك - وفي رواية: فقال له الربيع بن صبيح -: «أتاك رجال يشكون أنواعًا فأمرتهم كلهم بالاستغفار» فقال: «ما قلتُ لهم من عندي شيئًا إن الله - سبحانه وتعالى - يقول في سورة نوح: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[1]».

- ومن أسباب الرزق - أيها الناس -: التوبة:

قال الله _ سبحانه وتعالى _ حاكيًا عن هود أنه قال لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود:٥٢].

قال ابن كثير - رحمه الله - في «تفسيره»:[2] «ثم أمر هود - عليه السلام - قومه بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة، وبالتوبة عما يستقبلون، ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه، وسهل عليه أمره، وحفظ شأنه، ولهذا قال: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾».

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود:٣].

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في «تفسيره»[3]: «هذه ثمرة الاستغفار والتوبة، أي يمتعكم بالمنافع من سعة الرزق ورغد العيش، ولا يستأصلكم

---

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ٣٠٢-٣٠٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٩٢).
(٣) تفسير القرطبي (٩/ ٤٠٣).

بالعذاب كما فعل بمن أهلك قبلكم».

- ومن أسباب الرزق ـ أيها الناس ـ: التوكل على الله:

والمراد بالتوكل على الله: أن نعلم يقينًا أن لا فاعل في الوجود إلا الله، وأن كل موجود- من خلق ورزق، وعطاء ومنع، وضر ونفع، وفقر وغنىً، ومرض وصحة، وموت وحياة، وغير ذلك مما يُطلق عليه اسم الموجود - من الله سبحانه وتعالى[١].

ومن توكل على الله فهو حسبه؛ قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٣].

ومما يدل على أن التوكل على الله من أسباب الرزق: ما جاء في «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي» بسندٍ صحيح- صححه الألباني في السلسلة الصحيحة[٢]- من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ؛ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا».

- ومن أسباب الرزق ـ أيها الناس ـ: التفرغ لعبادة الله - سبحانه وتعالى-:

ولا نقصد من التفرغ لعبادة الله تركَ السعي لكسب المعيشة، كلَّا؛ وإنما المقصود تفرُّغ القلب لعبادة الله والجسد للسعي في طلب رزق الله.

ومما يدل على أن التفرغ للعبادة من أسباب الرزق: ما جاء في «سنن ابن ماجه» بسندٍ صحيح - صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه»[٣] - من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا بْنَ آدَمَ: تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي

(١) مرقاة المفاتيح للملا علي القاري (٩/ ١٥٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٠٥)، والترمذي في سننه (٢٤٤٧)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣١٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٤١٥٩) وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢/ ٣٩٣).

أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِنْ لَا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَكَ شُغْلاً، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ».

وأخرج الحاكم في «مستدركه» بسندٍ صحيح - صححه الألباني في «الصحيحة»[1]- من حديث معقل بن يسار - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ رَبُّكُمْ تبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا بْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ قَلْبَكَ غِنًى، وَأَمْلَأْ يَدَيْكَ رِزْقًا، يَا بْنَ آدَمَ؛ إِلَّا تُبَاعِدْنِي فَأَمْلَأْ قَلْبَكَ فَقْرًا، وَأملأ يَدَكَ شُغْلاً».

- ومن أسباب الرزق ـ أيها الناس ـ: المتابعة بين الحج والعمرة:

ففي «سنن الترمذي» بسندٍ قال عنه الألباني- كما في «صحيح الترمذي»-: حسن صحيح[2]: من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالْعُمْرَةِ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ والذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحجَّةِ المَبْرُورةِ ثَوَابٌ إِلَّا الجَنَّةُ».

- ومن أسباب الرزق ـ أيها الناس ـ: الهجرة في سبيل الله:

ولا تكون إلا من دار الكفر إلى دار الإيمان؛ كمن هاجر من مكة إلى المدينة. ومما يدل على أن الهجرة في سبيل الله من أسباب الرزق قول الله - سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء:١٠٠].

قال الرازي في تفسير هذه الآية: [3] «والحاصل كأنه قيل: يا أيها الإنسان: إن كنت إنما تكره الهجرة عن وطنك؛ فإن الله تعالى يعطيك من النعم الجليلة والمراتب العظيمة في مهاجرتك ما يصير سببًا لرغم أنوف أعدائك، ويكون سببًا لسعة عيشك» وأستغفر الله.

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ٣٢٦) وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص (٤/ ٣٢٦) وقال الألباني في الصحيحة (١٣٥٩): وهو كما قال.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٨٠٧) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١/ ٢٤٥).

(٣) التفسير الكبير (١١/ ١٥).

الخطبة الثانية

أسباب الرزق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الناس؛ تقدم الحديث عن بعض أسباب الرزق، وها أنا ذا أعود للحديث ليكتمل العقد:

- فمن أسباب الرزق أيها الناس: صلة الرحم:

وصلة الرحم كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار، والتعطف عليهم، والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم[1].

وقد جعل الله - سبحانه وتعالى- صلة الرحم من أسباب السعة في الرزق؛ ففي «صحيح البخاري»[2] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»**.

وفي «صحيح البخاري»[3] أيضًا من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

وفي «سنن الترمذي» بسندٍ صحيح - صححه الألباني في «صحيح

(١) انظر مرقاة المفاتيح (٨/ ٦٤٥).
(٢) رواه البخاري (٥٩٨٥).
(٣) رواه البخاري (٥٩٨٦).

الترمذي»(١) - من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ؛ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الْعُمرِ».

ففي هذه الأحاديث بيّن النبي ﷺ أن لصلة الرحم ثلاث ثمرات؛ هي: البسط في الرزق، والزيادة في العمر، والكثرة في المال.

وبعض الناس يحصرون صلة الرحم بالمال، والصواب أن صلة الرحم أوسع من ذلك؛ إنها السعي إلى إيصال الخير إلى الأقارب ودفع الشر عنهم، سواء أكان بالمال أو بغيره، فقد قال الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله-: «تكون صلة الرحم بالمال، وبالعون على الحاجة، وبدفع الضرر وبطلاقة الوجه وبالدعاء» والمعنى الجامع: إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة»(٢).

- ومن أسباب الرزق أيها الناس: الإنفاق في سبيل الله:

كالإنفاق على الفقراء والإنفاق في سبيل الله لنصرة الدين، وقد وردت أدلة من الكتاب والسنة تدل على أن من أنفق في سبيل الله فإن الله يخلفه في الدنيا، إلى جانب ما أعدَّ له من ثواب جزيل في الآخرة:

فمنها: قال الله - سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩].

وقال الله - سبحانه وتعالى-: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨].

قال ابن عباس - رضي الله عنهما- في تفسير الآية الكريمة: «اثنان من الله،

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٠٤٥) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢/ ١٩٠).
(٢) انظر تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي (٦/ ٣٠).

واثنان من الشيطان ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾ يقول: «لا تنفق مالك وأمسكه لك؛ فإنك تحتاج إليه» ﴿وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ﴾ على هذه المعاصي، ﴿وَفَضۡلٗا﴾ في الرزق»[(١)].

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه- يبْلُغُ به النبيَّ ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا بْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**».

وفي «صحيح البخاري»[(٣)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ؛ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا. وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**».

أيها الناس؛ ما أكثرَ الشواهد في كتب السنة والسيرة والتراجم والتاريخ، وحتى في واقعنا المعاصر؛ تدل على إخلاف الله - سبحانه وتعالى- الرزق للمنفق في سبيله، وسأقتصر على إيراد شاهد واحد في هذا المقام إن شاء الله[(٤)]: ففي «صحيح مسلم»[(٥)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ. فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتِ المَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ المَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَةٍ يُحَوِّلُ المَاءَ بِمِسَاحَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَالله: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ. لِلاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَالله: لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ. لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَا إِذَا قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى**

---

(١) تفسير الطبري رقم الأثر (٦١٦٨).
(٢) رواه مسلم (٩٩٣).
(٣) رواه البخاري (١٤٤٢).
(٤) انظر مفاتيح الرزق للشيخ مفض إلهي (وما بعده) فقد استفدت منه كثيرًا.
(٥) رواه مسلم (٢٩٨٤).

مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ» وفي رواية: «وَأَجْعَلُ ثُلُثَهُ فِي الْمَسَاكِينِ وَالسَّائِلِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ».

اللهم يسر لنا أرزاقنا، وسهل علينا أمورنا، ووفقنا للعمل الذي يرضيك عنا، آمين يا رب العالمين.

الخطبة الأولى

الحقوق الزوجية

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ الزَّواجَ رباطٌ مُقَدَّسٌ، وميثاقٌ غليظٌ، تَتُوقُ إليه الفطْرةُ القويمةُ، فعن طريقه تحصلُ الرَّاحةُ والمودَّةُ والرحمةُ، وإذا قام كُلٌّ من الزَّوجين بواجبه على أحسن وجهٍ، حلتِ السعادةُ الزَّوجيةُ، والسعادةُ كُلُّ السَّعَادةِ في اتِّباع كتابِ اللَّه، وسُنَّة رسولِ اللَّه ﷺ، لا يَشكُّ في ذلك مسلمٌ، واللَّهُ - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء﴾ النحل: ٨٩].

وسنَّةُ رسول اللَّه - ﷺ - مُبيِّنةٌ لكتاب اللَّه، وقولُه - ﷺ - وَحْيٌ، كما قال اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٣-٥].

أيُّها الناسُ، سوف أذكرُ في هذه الخُطبة الحقوقَ الزَّوجيَّةَ على وَجْهِ الاختصارِ، علىٰ ضوءِ كتابِ اللَّه الكريم، وصحيح سنَّة رسول اللَّه ﷺ.

وسوف نبدأُ بذكر ما للزوج من حقوقٍ على زوجته.

أيُّها الناس، إنَّ الأصلَ الذي بنيتْ عليه الحقوقُ الزَّوجيَّةُ قولُه - تعالىٰ - : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٣٤].

فحقُّ الزوج على زوجته عظيم.

أخرج النَّسائيُّ في «سننه»[(١)] بإسنادٍ حسنٍ من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «حقُّ الزوجِ على زوجتِه أن لو كانَتْ به قَرْحَةٌ، فلحستْهَا، ما أدَّتْ حَقَّهُ».

وروىٰ التِّرْمذيُّ في «سُننه»[(٢)] بسندٍ حسنٍ من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «لو كُنْتُ آمرًا أحدًا أن يسجدَ لأحدٍ، لأمرتُ المرأة أنْ تَسْجُدَ لزوجها».

---

(١) النسائي في عِشْرة النساء (ص١٠٦)، والحاكم (٢/ ١٨٩)، والبيهقي (٧/ ٢٩١)، وأحمد (٤/ ٣٤١).

(٢) رواه الترمذي (٣/ ٤٦٥).

أَيُّها الناسُ، إن من حقوق الزوج على زوجته ما يأتي:

١ ـ أن تطيعَهُ فيما يأمرُها، أخرج النَّسائيُّ في «سننه»(١) بسندٍ حسنٍ من حديث حُصَيْنِ بن محصنٍ عن عمَّته قالت: أتيتُ رسولَ اللَّه ـ ﷺ ـ فقال: «**أذاتُ زوجٍ أنت؟**» قالت: نَعَم. قال: «**فأين أنت منه؟**» قالت: ما آلُوهُ إلاَّ ما عَجَزْتُ عنه. قال: «**فكيف أنت له؟ فإنَّه جنَّتُك ونارُك**».

وأخرج النَّسائيُّ بسندٍ صحيح(٢) من حديثِ أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ عن خيرِ النِّساءِ. قال: «**التي تُطيعُ إذا أَمَرَ، وتَسُرُّ إذا نَظَرَ، وتحفظُهُ في نفسِها ومالِه**».

وطاعة المرأة لزوجها من مُوجبات دخول الجنَّة.

فقد روىٰ الإمام أحمدُ في «مسنده»، وابن حبَّان في «صحيحه» بسندٍ صحيح(٣) عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع (٦٦٠) ورقم (٦٦١) عن أنس عند البزار، وعبدالرحمن الزهري عند أحمد، وعبدالرحمن به حسنة عند الطبراني ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**إذا صلَّت المرأةُ خَمْسَهَا، وصامتْ شَهْرَها، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وأطَاعَتْ زَوْجَها قيل ـ لها: ادْخُلي الجَنَّةَ من أيِّ أبوابها شِئتِ**».

أَيُّها الناسُ، إن طاعة المرأة لزوجها واجبة، لكنها مشروطة بما ليس فيه معصية اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ، فإنه إن أمرها بما فيه معصية: كأن تخلع حجابها، أو تتركَ الصلاة، أو أن تُفْطِرَ رمضانَ، أو أن يُجامِعَها في حَيضِها، أو في المحلِّ المُحَرَّمِ، أو غيرِ ذلك من المعاصي فإنها لا تُطيعُهُ؛ لما في «الصحيحين»(٤) من حديث

---

(١) رواه النسائي.

(٢) أخرجه النسائي في المُجْتبىٰ (٦/ ٦٨)، وفي عِشْرَةِ النساء (٧٥).

(٣) مسند أحمد (١٦٦٠)، وصحيح ابن حبان (٤١٦٣)، وانظر صحيح الجامع (٦٦٠).

(٤) رواه البخاري (١٣/ ٢٣٣)، ومسلم (١٨٤٠).

عليّ بن أبي طالبٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «**لا طاعةَ في معصيةِ اللَّه، إنما الطاعةُ في المعروفِ**».

٢ - ومن حقوق الزوج على زوجته أنْ تُجيبَهُ إذا دعاها إلى فِراشِهِ.

ففي «الصحيحين»[١] من حديث أبي هُريرةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**إذا دعا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إلى فراشِهِ، فأبَتْ، فباتَ غضبانَ عليها - لعنتْها الملائكةُ حتى تُصبحَ**».

ومعنى اللَّعنْ هنا: الدُّعاءُ عليها بالطَّرْدِ من رحمة اللَّه - سبحانه وتعالى -، فأيُّ امرأةٍ ترضى لنفسها أن تدعو عليها الملائكةُ بالطَّرْدِ من رحمة اللَّه؟! وأي امرأةٍ تحتمل ذلك؟!

٣ - ومن حقوق الزوج على زوجته أن تشكرَ له ولا تَكْفُرَهُ.

فقد أخرج النَّسائيُّ في «سننه» بسندٍ صحيح[٢] من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**لا ينظرُ اللَّهُ إلى امرأةٍ لا تشكُرُ لزوجِها، وهي لا تستغني عنه**».

إن هذا الحديث أيُّها الناسُ ليَدُلُّنا على وجوب شكْرِ المرأةِ لزوجها المُحْسِنِ إليها، ولاسيَّما إذا كان قيامُهُ بأمورها يَصل إلى درجة عدم الاستغناء عنه. ولا يقصدُ بالشكر هنا: مجرَّد شُكْرِ اللِّسان، ثمَّ تُؤْذيه بمساوئ الأفعال والأخلاق، بل الشكر يُقصد به هنا: قيامُها بحقِّه على أتمِّ وجهٍ وأكملِهِ.

أيُّها النَّاسُ، إذا كان شُكْرُ المرأة لزوجها واجبًا، فكيف حال من يَكْفُرْنَ العَشيرَ؟!

---

(١) رواه البخاري (٥١٩٣)، ومسلم (١٤٣٦).

(٢) أخرجه النسائي في عشرة النساء (٢٤٩).

لقد حذَّر النبيُّ ﷺ من كُفْران العشير أشدَّ التحذير، وبيَّن أنَّ كُفْرانَ العشير، وكُفْران الإحسانِ سببٌ من أسباب دُخُولِ النار.

ففي «الصحيحين»(١) من حديث ابن عبَّاسٍ ـ رضي اللَّه عنهما ـ أنَّه لما خَسَفت الشمسُ على عَهْدِ النبيِّ ـ ﷺ ـ، وصلَّى النبيُّ ـ ﷺ ـ بالناس، قال بَعْدَ صلاته: «**إنِّي رأيتُ الجَنَّةَ ـ أو أُريتُ الجنَّةَ ـ فتناولتُ منها عُنْقُودًا، ولو أَخَذْتُهُ لأكلتُمْ منه ما بَقِيَت الدُّنيا، ورأيتُ النارَ، فلم أرَ كاليوم منظرًا قطُّ، ورأيتُ أكثرَ أهْلِها النِّساءَ**» قالوا: لِمَ يا رسولَ اللَّه؟! قال: «**بكُفْرهنَّ**» قيل: يَكْفُرنَ باللَّه؟ قال: «**يَكْفُرْنَ العشيرَ، ويَكْفُرْنَ الإحسانَ، لو أحسنتَ إلى إحداهُنَّ الدَّهْرَ، ثمَّ رأتْ منك شيئًا، قالت: ما رأيتُ منك خيرًا قطُّ**».

٤ ـ ومن حقوق الزوج على زوجته أنْ تَقَرَّ في البيت، ولا تخرجَ إلاَّ بإذْنه.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى**﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّةَ ـ رحمه اللَّه ـ: «لا يحلُّ للزوجة أن تخرج من بيتها إلا بإذنه، وإذا خرجت من بيت زوجها بغير إذنه، كانت ناشزةً عاصيةً للَّه ورسوله، ومستحقَّةً للعقوبة»(٢).

٥ ـ ومن حقوق الزوج على زوجته ـ أيضًا ـ ألاَّ تأذنَ لأحد أن يدخُلَ بيته إلاَّ بإذنه، ففي «صحيح مسلم»(٣) من حديث جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «**ولكم عليهنَّ ألاَّ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أحدًا تكْرهُونَه**».

(١) أخرجه البخاري (٥١٩٧)، ومسلم (ص٩٠٧).
(٢) مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٨١).
(٣) صحيح مسلم (١٢١٨).

وفي «صحيح مسلم»[١] - أيضًا - من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «**ولا تأْذَنْ في بيْته - وهو شاهدٌ - إلاَّ بإذْنه**».

قال ابن حجر نقلاً عن النوويِّ[٢] - رحمه اللَّه - قوله: «في هذا الحديث إشارةٌ إلىٰ أنه لا يفتَّأت علىٰ الزوج بالإذن في بيته إلا بإذنه، وهو محمول علىٰ ما لا تعلم رضا الزوج به، أمَّا لو علمت رضىٰ الزوج بذلك فلا حَرَجَ عليها»[٣].

ولا يُفهم من كلام النَّوويِّ - رحمه اللَّه - الدُّخولُ لكُلِّ من هبَّ ودبَّ، وإنما ممَّن يَجوز له الدخول علىٰ المرأة.

٦ - ومن حقوق الزوج على زوجته ألاَّ تصومَ - صيامَ تطوُّعٍ - وزوجها حاضر إلاَّ بإذنه.

ففي «الصَّحيحين»[٤] من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**لا يَحلُّ للمرأة أنْ تَصُومَ وزوجُها شاهدٌ إلاَّ بإذْنه**».

٧ - ومن حقوق الزوج على زوجته ألاَّ تُنفقَ من ماله إلاَّ بإذْنه.

لما في «سنن أبي داود»[٥] من حديث أبي أُمامةَ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «**لا تُنفق امرأةٌ شيئًا من بيتِ زوجها إلاَّ بإذنِ زوجها**»

٨ - ومن حقِّ الزوجِ على زوجته أن تُحْسنَ معاملة والدَيْه وأقاربِه.

٩ - ومن حقِّه عليها ألاَّ تفعلَ ما يُؤْذيه ويُغْضبُه.

---

(١) صحيح مسلم (١٠٢٦).

(٢) نص كلام النووي - رحمه الله - فيه إشارة إلىٰ أنه لا يفتات علىٰ الزوج وغيره من ما لكي البيوت وغيرها بالإذن في أملاكهم إلا بإذنهم، وهذا محمول علىٰ ما لا يُعلم رضا الزوج ونحوه به، فإن علمت المرأة ونحوها به جاز. . . (عند شرح حديث (١٠٢٦).

(٣) فتح الباري (٤/ ٤٠٣).

(٤) رواهُ البخاري (٢/ ٢٦٠)، ومسلم (١٠٢٦).

(٥) أبو داود (٣٥٦٥)، والترمذي (٦٧٠)، وابن ماجه (٢٢٩٥)، وسنده حسن.

رویٰ التِّرمذيُّ، وابن ماجهْ(١) بإسنادٍ حسن من حديث مُعاذ بن جَبَلٍ - رضي اللَّه عنه - عن النبيِّ ﷺ قال: «لا تُؤْذي امرأةٌ زوجَها في الدُّنيا، إلاَّ قالتْ زوجتُهُ منَ الحُورِ العِيْنِ: لا تُؤْذِيهِ، قاتلك اللَّه!؛ فإنَّما هو دَخيلٌ عندكِ، يُوشِكُ أن يفارقَكِ إلينا».

١٠ - ومن حقِّه عليها أنْ تحرصَ على الحياةِ مَعَهُ، فلا تطلب الطلاق من غير سببٍ شرعيٍّ.

رویٰ التِّرمذيُّ، وأبو داودَ وابن ماجَهْ(٢) بإسنادٍ صحيح قال رسولُ اللَّه ﷺ: «أيُّمَا امرأةٍ سأَلَتْ زوجَها الطلاقَ مِنْ غَيرِ ما بأسٍ فحرامٌ عليها رائحةُ الجَنَّة».

١١ - ومن حقوق الزوج على زوجته أن تُحِدَّ عليه إذا مات أربعةَ أشهرٍ وعَشْرًا.

ففي «الصحيحين»(٣) من حديث أُمِّ حبيبةَ - رضي اللَّه عنها - قالت: سمعتُ رسولَ اللَّه - ﷺ - يقولُ على المنبرِ: «لا يَحِلُّ لامرأةٍ تُؤْمِنُ باللَّهِ، واليومِ الآخِرِ أنْ تُحِدَّ على ميِّت فوقَ ثلاث، إلاَّ على زوجٍ أربعةَ أشْهُرٍ وعَشْرًا».

أيُّها الناس، هذه هي حقوقكم علىٰ نسائكم علىٰ ضوء كتاب اللَّه، وسنة رسول اللَّه - ﷺ -، واعلموا - علَّمني اللَّهُ وإيَّاكُم - أنَّ المرأة ضعيفة، لا تقوم بحقوقِ زوجها حقَّ القيامِ، إلاَّ إذا قام بحقوقها كما شرع اللَّه.

وأستغفرُ اللَّه.

---

(١) الترمذي (١١٨٤)، وابن ماجَهْ (٢٠١٤) بسند حسن.

(٢) الترمذي (١١٩٩)، وأبو داود (٢٢٠٩)، وابن ماجه (٢٠٥٥)، وهو صحيح.

(٣) رواه البخاري (١٢٨٠)، ومسلم (١٤٨٦).

الخطبة الثانية
في حقوق الزوجة على زوجها

إنَّ الحمد للَّه، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونعوذُ باللَّه من شرور أنفسنا، وسيِّئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فهو المُهْتَدي ومَنْ يُضْلِلْ فلن تجدَ له وليًّا مُرْشدًا.

أمَّـا بَعْـدُ، أيُّها الناسُ، لقد سبق أنْ بيَّنا حقوق الزوج على زوجته، وفي هذه الخطبة سوف أتحدَّث معكم عن حقوق الزوجة على زوجها، ولعلَّ من المُشاهد أنَّ المرأة - لضَعْفِها - لا تقوم بحقِّ الزوج خَيْرَ قِيامٍ، إلاَّ إذا قام بحقِّها كما شرع اللَّه، فهي تأخذ لتُعطي، فعلينا أنْ نكونَ عَوْنًا لنسائنا على طاعة اللَّه.

١ - فحقُّهُنَّ علينا أنْ نُحسنَ عِشرتَهُنَّ،

والمُرادُ به هنا: هو إحسان «الصُّحْبة»، وكَفُّ الأذى، وعَدَم مَطْلِ الحقوق مع القُدْرة وإظهارُ البِشرِ والطَّلاقة والانبساط.

والأصل في هذا قوله - تعالى -: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وفي «سنن التِّرمذيِّ»، و«صحيح ابن حِبَّان» بسندٍ صحيح(١)

قال رسول اللَّه ﷺ: «**خَيْرُكُم خَيْرُكُمْ لأهله، وأنا خيرُكُمْ لأَهْلِي**».

---

(١) الترمذي (٣٨٩٥)، وابن حبَّان (١٣١٢).

وكان النبيُّ - ﷺ - حَسَنَ المُعاشرةِ، لطيفًا في المُداعبة مع أهله، وفي الوقت نفسِهِ يَحُثُّهنَّ على طاعةِ اللَّه - عزَّ وجلَّ -، والإكْثارِ من العبادة.

روى أبو داودَ بإسنادٍ حسنٍ لغيره(١) من حديث عُقْبَةَ بن عامرٍ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه - ﷺ -: «ليس من اللَّهْوِ إلاَّ ثلاثٌ: تأديبُ الرَّجُلِ فَرَسَهُ، وملاعبتُهُ أَهْلَهُ، ورَمْيُهُ بقَوْسه ونَبْله».

٢ - ومن حقِّ الزَّوجة على زوجها أنْ يعلِّمَها أمور دينها، ويحثَّها على الطاعة.

قال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

وفي «صحيح البخاري»(٢) من حديث أمِّ سَلَمَةَ - رضي اللَّه عنها - قالت: استيقظ النبيُّ - ﷺ - ذاتَ ليلةٍ، فقال: «سبحان اللَّه ماذا أُنزلَ اللَّيلةَ منَ الفتن؟!، وماذا فتحَ منَ الخزائن؟!، أيقظوا صَوَاحبَات الحُجَر - يعني أزواجَهُ كي يَقُمْنَ فيُصلِّين - فَرُبَّ كاسيةٍ في الدُّنيا عارية في الآخرة».

وأخرج أحمدُ في «مسنده» بسند حسنٍ(٣) من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «رَحمَ اللَّهُ رجلاً قام من اللَّيل فصلَّى، وأيقظَ امرأَتَهُ فصلَّتْ، فإن أبَتْ نَضَحَ في وَجْهها الماءَ، ورَحمَ اللَّهُ امرأةً، قامت من اللَّيلِ فصلَّتْ، وأيقظتْ زَوْجَها فصلَّى، فإن أَبَى نَضحَتْ في وَجْهه الماءَ».

وفي «الصحيحين»(٤) أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال لمالك بن الحُوَيْرِثِ ومَنْ مَعَهُ: «ارجعوا

(١) رواه أبو داود (٢٥١٣)، وضعَّفه الألباني - رحمه الله -. (٢) صحيح البخاري (١١٥).
(٣) مسند أحمد (٢/ ٢٥٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٩٤).
(٤) البخاري (١٣/ ٢٣١) مع الفتح، ومسلم (٦٧٤).

إلى أهليكم، فأقيمُوا فيهمْ، وعلِّموهُم، ومُرُوهُمْ».

٣ ـ ومن حقِّ الزوجة على زوجها أن يُنفقَ عليها، وعلى أولادها بقَدْرِ وُسْعه.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وأخرج أبو داود، والنَّسائي، وابن ماجه بإسنادٍ حسنٍ[١] من حديث معاوية بن حيدةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: يا رسولَ اللَّه، ما حَقُّ زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تُطْعِمَها إذا طَعِمْتَ وتَكْسُوها إذا اكتسيتَ، ولا تَضْرِبَ الوجهَ، ولا تُقَبِّحَ، ولا تَهْجُرَ إلاَّ في البَيتِ».

٤ ـ ومن حقِّ الزوجة على زوجها أنْ يُحسنَ الظَنَّ بها.

يقول الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحُجُرات: ١٢].

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «إذا أطَالَ أحدُكُمْ الغيبةَ، فلا يَطْرُق أَهْلَهُ ليلاً».

وفي رواية لمسلم: عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: «نهىٰ رسول الله ـ ﷺ ـ أنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ ليلاً؛ يَتَخَوَّنُهمْ، أو يَلْتَمِسُ عَثَرَاتِهِم».

٥ ـ ومن حقِّ الزوجة على زوجها أنْ يُعفَّها؛ ليقصرَ طَرْفَها عن الحرام؛ ولـذا أرشد النبيُّ ـ ﷺ ـ عبدالله بن عَمْرو بن العاص ـ إلىٰ ما لأهله عليه من الحقِّ، لَمَّا انقطع عنهم إلىٰ العبادة ـ كما في «الصحيحين»[٣] ـ، فقال ـ ﷺ ـ : «وإنَّ لأهلكَ عليك حقًّا».

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٤٢)، والنسائي (٢٨٩)، وابن ماجه (١٨٥٠). وصححه الألباني.

(٢) البخاري (١/ ٣٠٩)، ومسلم (٣/ ١٥٢٧).

(٣) البخاري (١٩٧٧)، ومسلم (١١٥٩).

٦ ـ ومن حقِّ المرأة على زوجها أن يَغُضَّ الطَّرْفَ عن بَعْضِ أخطائِها، ما لم يكن فيه إخلال بشرع اللَّه.

وإلىٰ هذا يُرْشِدُنا النبيُّ ﷺ كما في «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «لا يَفْرَكْ ـ أي لا يَكْرَهْ ويُبغض ـ مُؤْمِنٌ مؤمنةً؛ إن كَرِهَ منها خُلُقًا، رَضِيَ منها آخر».

ولا نقولُ لكم ـ أيُّها الناسُ ـ اتركوا نساءَكم بعيوبهِنَّ، ولكن انصحوا لهنَّ برفقٍ ولين وصبر قَدْرَ الاستطاعة، وسدِّدُوا وقاربوا، ولن تستطيعوا أن تصلوا إلىٰ التَّمام لقول النبيِّ ـ ﷺ ـ كما في «الصحيحين»[2] من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ: «واستوصُوا بالنِّساء خَيْرًا؛ فإنهُنَّ خُلِقْنَ من ضِلَعٍ، وإنَّ أعوجَ شيءٍ في الضِّلَعِ أَعْلاهُ، فإن ذَهَبْتَ تُقيمهُ كَسَرْتَهُ، وإنْ تَركْتَهُ لم يزل أَعْوجَ؛ فاستوصوا بالنساء خيراً».

أيُّها الناس، المرأة أسيرةٌ عند الرجل.

كما في «سنن التِّرمذي»[3] من حديث عمرو بن الأحوصِ قال: قال رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ: «إنما هُنَّ عَوَانٍ عندَكُمْ» ومعنىٰ عَوانٍ: أي: أسيراتٌ جمع عانيةٍ، ولهذا جاءتْ وصايا الرسول ﷺ بالنساء، فأرشدنا إلىٰ كيفيَّة التعايش معهُنَّ، فقال ـ ﷺ ـ كما في حديث سَمُرةَ بن جُنْدُبٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ وهو في «صحيح ابن حِبَّان»[4]: «المرأة كالضِّلَعِ: إنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَها، فدارِها تَعِشْ بها».

وأمر اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ بإحسان معاشرة النساء في جملة آيات:

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

---

(١) رواه مسلم (١٤٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٢٥٢)، ومسلم (ص١٤٦٨).

(٣) الترمذي (١١٦٣)، وحسنه الألباني.

(٤) موارد الظمآن (١٣٠٨) بإسناد صحيح.

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾ [النساء: ٣٤].

نسأل اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أن يجعلنا من عباده المتقين، الذين يراقبونه ليلاً ونهاراً، وسِراً وجِهاراً، وظاهراً وباطِنًا.

الخطبة الأولى

تربية الأولاد

إن الحمد لله...

أما بعد:

أيها الناس؛ حديثي معكم اليوم عن تربية الأولاد فهم أمانة في أعناقنا وهم أيضًا فتنة وابتلاء، يبتلي الله بهم عباده هل سيقومون بواجبهم من شكر نعمة الله على رزقه ومن شكر نعمة الله القيام بتربية الأولاد تربية صالحة كما أمر الله.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ [النساء: ١١].

وفي «الصحيحين»[١] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل راع في بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها**».

وفي «صحيح مسلم»[٢] : «**وإن لولدك عليك حقًّا**».

أيها الناس؛ إن تربية الأولاد تبدأ من حسن الاختيار عند الزواج فينتقي الزوجة الصالحة ذات الدين والخلق لأنها ستكون أمًّا لأولاده، وبها يتأسى

---

(١) رواه البخاري (٢٥٥٤) ومسلم (١٨٢٩).

(٢) رواه مسلم (١١٥٩).

أولادها ومن ثديها وأخلاقها يرضعون[(١)].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة:٢٢١].

وفي «الصحيحين»[(٢)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»**.

ومن الخير أن تكون الزوجة من أسرة طيبة صالحة فإن الله سبحانه وتعالى قال في قصة مريم عليها السلام: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم:٢٨].

فأخبر الله سبحانه وتعالى أن قوم مريم قضوا بفساد الأصل على فساد الفرع، وأن مريم منزهة من ذلك، ولم يتعقب الله قولهم بشيء[(٣)].

ومن حسن تربية الأولاد تحصينهم قبل مجيئهم إلى هذه الدنيا ويكون ذلك عند الزواج وقبل الدخول بالزوجة يسن للزوج أن يأخذ بناصيتها ويدعو بهذا الدعاء الذي أخرجه أبو داود بسندٍ حسن حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه»**.

وعند الدخول بالزوجة يسن للزوج أن يقول: باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا وهذا سنة عند كل جماع.

---

(١) فقه تربية الأولاد للعدوي (ص ٢٩).

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

(٣) انظر معالم السنن (٤/ ٧٣) وفيض القدير (٦/ ٣٦٤) بتصرف يسير (حسن) أخرجه أبو داود في سننه (٢١٦٠) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٨٩٢).

ففي «الصحيحين»[١] : «أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله: بسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ثم قدِّر بينهما في ذلك أو قضي ولد لم يضره شيطان أبدًا».

ومن حسن تربية الأولاد تعويذهم عند الولادة:

قالت امرأة عمران لما وضعت مريم عليها السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦].

ومن حسن التربية المحافظة على تعويذ الأولاد:

ففي «صحيح البخاري»[٢] من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة».

ومن حسن تربية الأولاد تحنيكهم بعد الولادة والدعاء لهم بالبركة:

ففي «صحيح مسلم»[٣] من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرِّك عليهم ويحنكهم.

والتحنيك هو أن يأخذ الوالد تمرة فيمضعها ثم يجعلها في فيِّ الصبي ليتمرن على الأكل.

ومن حسن تربية الأولاد أن لا يختار لهم إلا الأسماء الحسنة: وهذا من حقوق الأبناء على الآباء.

فيحسن تسميتهم بأسماء الأنبياء والصالحين.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٧١)، ومسلم (١٤٣٤).
(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١١٩).
(٣) رواه مسلم (٢١٤٧).

ففي «صحيح مسلم»(١) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرءون: يا أخت هارون، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا. فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: «**إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم**».

وينبغي أن نعلم أن أحب الأسماء إلى الله هما عبد الله وعبد الرحمن.

ففي «صحيح مسلم»(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن**».

من حسن التربية الاهتمام بنظافة الأولاد، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]».

وفي «صحيح مسلم» (٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**».

ومن حسن التربية أن نأخذ لأولادنا الثياب التي هي لباس أهل الخير والصلاح: وأن نجنبهم لباس الكفار ونبعدهم عن كل ما هو من خصائصهم.

فإن النبي ﷺ قال كما في «مسند أحمد» بسندٍ صحيحٍ، صححه الألباني في «صحيح الجامع»(٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «**من تشبه بقوم فهو منهم**».

ومن حسن التربية أن نجنب أولادنا القزع: فنمنعهم من قص شعورهم بتلك القصة التي يتشبه فيها بالمشركين.

---

(١) رواه مسلم (٢١٣٥).
(٢) رواه مسلم (٢١٣٢).
(٣) رواه مسلم (٩١).
(٤) (صحيح) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٢٥).

ففي «الصحيحين» [1] من طريق نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نهى عن القزع قال (الراوي عن نافع): قلت لنافع: ما القزع؟ قال: يحلق بعض رأس الصبي ويُتْرَك بعضُ».

ومن حسن التربية تعويد الأولاد على الطاعات: منذ الصغر:

ففي «سنن أبي داود» بسند حسن صحيح، قاله الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [2] قال: قال رسول الله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع**».

ومن حسن تربية الأولاد تخفيف العتاب:

ففي «الصحيحين» [3] من حديث أنس رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أفٍّ قط، ولا قال لي لشيءٍ لم فعلت كذا؟ وهلاّ فعلت كذا؟».

ومن حسن التربية العدل بين الأولاد في الهبات:

ففي «الصحيحين» [4] من حديث النعمان بشير رضي الله عنهما قال: أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنتُ رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فأتى رسول الله ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله قال:

«**أعطيت سائر ولدك مثل هذا**» قال: لا، قال: «**فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**» قال فرجع فردَّ عطيته.

(١) رواه البخاري (٥٩٢١)، ومسلم (٢١٢٠).
(٢) (حسن) أخرجه أبو داود (٤٩٥) وقال الألباني في صحيح أبي داود (٤٦٦) (حسن صحيح).
(٣) رواه البخاري (٢٧٦٨)، ومسلم (٢٣٠٩).
(٤) رواه البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم (١٦٢٣).

ومن حسن التربية تفقد أحوال الأولاد والنظر في أصدقائهم: وحثهم على اختيار الأصدقاء الصالحين وتحذيرهم من أصدقاء السوء.

ففي «الصحيحين»[١] من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحًا خبيثة»**.

ومن حسن التربية أن يستخدم الضرب للأولاد عند الحاجة:

ففي «سنن أبي داود» بسندٍ حسن صحيح، قاله الألباني في «صحيح سنن أبي داود»[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع»**.

وأخرج البيهقي في «سننه» بسندٍ صحيح[٣] عن عكرمة قال: كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل (أي القيد) يعلمني القرآن والسُّنة.

وفي «الصحيحين»[٤] عن إبراهيم النخعي قال: وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.

وعلى الوالد إذا احتاج لضرب الأولاد فليجتنب الضرب على وجوههم فإن النبي ﷺ نهى عن ذلك.

ففي «صحيح مسلم»[٥] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه»**.

ومن حسن التربية تعليق السوط في البيت فإنه لهم أدب: فإن نظرة واحدة من

---

(١) رواه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢١٠١).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) (صحيح) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٠٩).
(٤) رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (١٩٦٣).
(٥) رواه مسلم (٢٦١٢).

الأولاد للسوط تجعلهم يسيرون في الطريق الصحيح.

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسندٍ حسن، حسنه الألباني في «الصحيحة»[(١)] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«علقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فإنه لهم أدب»** وليحذر الآباء من التخلي عن العصاء واستبدال به الدعاء على الأولاد.

ففي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا ساعة يسأل فيها عطاءٌ، فيستجيب لكم»**.

أيها الناس، إن الدعاء على الأولاد سلاح فعال لإفسادهم وعونًا للشيطان عليهم فقد جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك، فشكا إليه بعض ولده، فقال له عبد الله بن المبارك: هل دعوت عليه؟ قال: نعم، قال: أنت أفسدته. وأستغفر الله.

---

(١)(حسن) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٩٢) وحسنه الألباني في الصحيحة (١٤٤٧).

(٢)رواه مسلم (٩٢٠).

الخطبة الثانية

موعظة لقمان لولده

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الناس ، تقدم الحديث عن تربية الأولاد والآن حديثي معكم عن موعظة لقمان لولده قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَـٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٢ ـ ١٩].

أيها الناس؛ تلك موعظة لقمان لابنه وسوف أتكلم عن تفسيرها: بشيء من الإيجاز قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾. ففي

هذه الآية يخبر ربنا سبحانه وتعالى بامتنانه على عبده لقمان بالحكمة وهي العلم النافع، ولما أعطاه الله سبحانه وتعالى هذه النعمة العظيمة أمره أن يشكر على ما أعطاه وأخبره أن شكر الشاكرين يعود نفعه عليهم وأخبر أنه غني عن العبادة لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: (ذكره الله سبحانه وتعالى بأحسن الذكر وأنه آتاه الحكمة وهو يوصي ولده الذي يشفق عليه وأحبهم إليه فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا) [(١)].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.

ولما أمر لقمان ولده بتحقيق التوحيد بترك الشرك أمره بالقيام بحق الوالدين فلم يطلب من ولده مباشرة بره والإحسان إليه، بل يعلمه حقوق الوالدين في سياق جميل وأسلوب ذكي بعيد عن استعطاف الولد إذ لا يليق بالوالد أن يقول لولده برني اعطف علي فالوالد أجل من أن يطلب من ولده هذا الطلب [(٢)].

ومن موعظة لقمان لولده ، أنه ذكره باليوم الآخر وبالحساب فقال: ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ثم ذكر عقب ذلك التحذير من المعاصي والترغيب في فعل الخير: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

قال جمهور المفسرين: إن المراد بها الخطيئة أي أن الخطيئة مهما صغر حجمها ومهما أخفاها فاعلها فإن الله يأتي بها يوم القيامة ويطلع عليها في الدنيا لا تخفى

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥٣).

(٢) انظر فقه تربية الأولاد للعدوي بتصرف (١٩٨).

عليه خافية سبحانه وتعالى، ويوصي لقمان ولده أيضًا: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾.

فحثه على الصلاة ثم حثه على الأمر بالمعروف والنهي على المنكر ولما علم أنه لابد أن يبتلى إذا أمر ونهي، أمره بالصبر وأخبره أن الصبر مما عزمه الله وأمر به؛ أي: عزيمة واجبة على عباده.

ومن موعظة لقمان لولده: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ﴾ أي لا تتكبر وتحتقر العباد وتعبس بوجهك للناس إذا كلمتهم احتقارًا لهم ولكن أقبل عليهم ووجهك منبسط ومقبل عليهم ، ومن موعظة لقمان لولده: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾ أي لا تمش متبخترًا فخرًا بالنعم ناسيًا المنعم معجبًا بنفسك متطاولاً على غيرك فإنك إن فعلت ذلك يبغضك الله ولا يحبك ولا يجعل لك القبول في قلوب الناس.

ومن موعظة لقمان لولده: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾. أي: امش متواضعًا مستكينًا مقتصدًا ليس بالبطيء المتثبط ولا بالسريع المفرط ولكن بين ذلك.

ومن موعظة لقمان لولده: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾.

قال ابن السعدي: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ﴾ أدبًا مع الناس ومع الله ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ﴾.

أي أفظعها وأبشعها ﴿لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ . فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة، لما اختص بذلك الحمار الذي قد علمت خسته وبلادته»[1].

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا.

---

(١) تفسير ابن سعدي (ص ٦٤٩).

الخطبة الأولى

الحجابُ في الكتاب والسنة

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عَنِ الحجاب في الكتابِ والسُّنَّةِ، فهو فريضةٌ فرضه اللهُ على المرأةِ المُسلمةِ، وسوف أذكرُ الأدلةَ الدَّالَّةَ على ذلك:

الدليل الأول ـ قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية:

«أي: كما نَهَيْتُكُم عَنِ الدُّخولِ عليهِنَّ، كذلك لا تنْظروا إليهنَّ بالكُلِّيَّة، ولو كان لأَحَدِكم حاجةٌ يُريد تناولها منهُنَّ، فلا ينظرْ إليهِنَّ، ولا يسألهُنَّ حاجةً إلا مِنْ وراءِ حِجابٍ» (١).

الدليل الثاني ـ قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وممَّا جاء في تفسير هذه الآية ما أخرجه شيخُ المُفسِّرين ابنُ جريرٍ بسنده ـ وهو سندٌ صحيحٌ ـ قال: «حدَّثني يَعْقُوبُ قال: حدَّثنا ابْنُ عُلَيَّةَ عَنِ ابْنِ عَوْنٍ عَنْ محمَّدٍ عَنْ عُبَيْدَةَ في قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾.

فلبسها عندنا ابْنُ عونٍ، قال: ولبسها عندنا محمَّدٌ، قال محمَّدٌ: ولبسها عندنا عُبيدةُ، قال ابنُ عَوْن بردائه، فتقنَّع به، فغطَّىٰ أَنْفَهُ وعَيْنَهُ اليُسْرىٰ، وأَخْرَجَ عَيْنَهُ اليُمْنَىٰ، وأدْنَىٰ رداءَهُ مِنْ فَوْقُ، حتىٰ جَعَلَهُ قريبًا مِنْ حاجِبِهِ، أو علىٰ الحاجبِ» (٢).

وقال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة ـ رحمه الله ـ: «كانوا قَبْلَ أنْ تُنَزَّلَ آيةُ الحجاب كان النساءُ يَخْرُجْنَ بلاَ جِلْبَابٍ، يَرَىٰ الرَّجُلُ وَجْهَهَا ويدَيْهَا، وكانتْ إذْ ذاك يجوزُ لها أنْ تُظْهِرَ الوَجْهَ والكَفَّيْن، وكان حينئذٍ يَجُوزُ النَّظَرُ إليها؛ لأنه يجوزُ لها إظهارُهُ، ثمَّ لَمَّا أنْزَلَ اللهُ آية الحجابِ بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ حُجِبَ النساءُ عَنِ الرِّجالِ».

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٠٥).

(٢) «تفسير الطبريّ» (٢٢/ ٣٣).

ثم قال: «والجِلْبَابُ: هو المُلاءَةُ، وهو الذي يُسمِّيه ابْنُ مسعودٍ وغيرُهُ الرِّداءَ، وتُسَمِّيه العامَّةُ الإزارَ، وهو الإزارُ الكبيرُ الذي يُغَطِّي رَأْسَهَا وسائرَ بَدَنِهَا».

ثم قال: «فإذا كُنَّ مَأْمُوراتٍ بالجلباب؛ لئلا يُعْرَفْنَ ـ وهو سَتْرُ الوَجْهِ أو سَتْرُ الوَجْهِ بالنِّقَابِ ـ كان الوَجْهُ واليَدَانِ مِنَ الزِّينَةِ التي أُمِرَتْ ألاَّ تظْهِرَها للأجانبِ، فما بَقِيَ يَحِلُّ للأجانبِ النَّظَرُ ـ أي إلى الثياب الظاهرةِ ـ»[1] أي: سَوَادِ الحجابِ.

وأخرج أبو داودَ في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في صحيح سنن أبي داودَ[2] من حديث أُمِّ سَلَمَةَ ـ رضي الله عنها ـ قالتْ: «لَما نزلَتْ: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ خرج نساءُ الأنصارِ كأنَّ على رُءوسِهِنَّ الغِرْبانَ مِنَ الأكْسِيَةِ».

وقال محمَّد الأمين الشَّنْقيطيُّ في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾: «إنَّهُنَّ يَسْتُرْنَ بها جميعَ وُجُوهِهِنَّ، ولا يظهر منهُنَّ شيءٌ إلا عَيْنٌ واحدةٌ، تُبْصِرُ بها، ومِمَّنْ قال به ابنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ، وعُبيدةُ السَّلْمانيُّ، وغيرُهُم»[3].

الدليل الثالث ـ قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

والمراد من هذه الآية هو سَتْرُ الوَجْهِ، كما قال بذلك أهلُ العلمِ؛ لأنَّهُ مَحَلُّ الافتتان، ومَتَى رَغِبَ الرجلُ في خِطْبةِ امرأةٍ، لا ينظر لغَيْرِ وَجْهِها وكَفَّيْها.

ودَعُونا ننظرْ إلى تطبيقِ الصحابيَّاتِ لهذه الآيةِ الكريمةِ،

ففي «صحيح البخاريِّ»[4] من حديث صَفيةَ بِنْتِ شَيْبَةَ: أنَّ عائشةَ ـ رضي الله

(١) «الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ١١٠).
(٢) أخرجه أبو داودَ (٤١٠١)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود» (٣٤٥٧).
(٣) «أضواء البيان» (٦/ ٥٨٦).
(٤) «صحيح البخاري» (٤٧٥٩).

عنها ـ كانتْ تقولُ: «لَمَّا نزلتْ هذه الآيةُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ أخَذْنَ أُزُرَهُنَّ، فَشَقَّقْنَها مِنْ قِبَلِ الحَواشي، فاخْتَمَرْنَ بها».

قال الحافظ ابن حجرٍ ـ رحمه الله ـ: «قولُها: «فاخْتَمَرْنَ»: أي غَطَّيْنَ وُجوهَهُنَّ، وصفةُ ذلك أنْ تضعَ الخِمَارَ على رَأْسِها، وتَرميَهُ بالجانبِ الأيمن على العاتقِ الأَيْسَرِ، وهو التقَنُّعُ»[(١)].

وأخرج الإمامُ البخاريُّ في صحيحه مُعلَّقًا، ولكنَّه موصولٌ عندَ أبي داودَ بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[(٢)] من حديث عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالتْ: «يَرْحَمُ اللهُ نساءَ المُهاجراتِ الأُوَلَ؛ لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ، فاخْتَمرنَ بها».

الدليل الرابع ـ قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور: ٦٠].

وممَّا جاء في تفسير هذه الآية ما أخرجه شيخُ المفسِّرين ابن جريرٍ الطَّبريُّ من حديث شُعبةَ عَن الحكمِ قال: سمعتُ أبا وائلٍ قال: سمعت عبدَ الله (يعني ابْنَ مسعودٍ) يقولُ في هذه الآيةِ: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾.

قال: «الجِلْباب»[(٣)]. وهو حديثٌ موقوفٌ صحيحٌ.

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ٤٩٠).

(٢) رواه البخاري (٤٧٥٨) معلقًا، لكنه موصول من طريق آخر عن ابن شهاب عند أبي داود (٤١٠٢)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود» (٣٤٥٧)، وانظر «تغليق التعليق» (٤/ ٢٦٩).

(٣) «تفسير الطبري» (١٨/ ١٢٧).

وأخرج البيهقيُّ في «سننه» بسندٍ صحيحٍ[(١)] من حديثِ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنه كان يقرأُ: ﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ قال: «الجِلْبابُ».

ولننظرْ كيف طبَّقتِ التابعيَّةُ الجليلةُ حَفْصَةُ بِنْتُ سيرينَ هذه الآيةَ بالتَّنَقُّبِ:

فقد أخرج الإمام البيهقيُّ بسندٍ صحيحٍ عَنْ سُفيانَ عَنْ عاصِمِ الأحولِ قال: «كُنَّا ندخلُ على حَفْصةَ بِنْتِ سيرينَ، وقَدْ جَعَلتِ الجِلْبابَ هكذا، وتنقبَتْ به، فنقولُ لها: رَحِمَكِ اللهُ، قال الله - تعالى -: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ هُوَ الجِلْبابُ. قال: فتقولُ لنا: أيُّ شيءٍ بَعْدَ ذلك؟. فنقولُ: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور: ٦٠] فتقولُ: هو إثباتُ الجِلْبابِ».

والقواعدُ - أيُّها الناسُ - هُنَّ العُجُزُ اللَّواتي قَعَدْنَ عَنِ التَّصرُّفِ مِنَ السِّنِّ، كما قال ذلك شيخُ المفسِّرين ابنُ جريرٍ الطبريُّ - رحمه الله -[(٢)].

الدليل الخامسُ - قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب: ٥٥].

قال ابن كثير - رحمه الله -: «لَمَّا أَمَرَ اللهُ النِّساءَ بالحجابِ عَنِ الأجانبِ، بَيَّنَ أَنَّ هَؤلاءِ الأقاربَ لا يجبُ الاحتجابُ عنهم، كما استثناهم في سُورةِ النورِ عند قوله - تعالى -: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا

---

(١) رواه البيهقيُّ في «سننه» (٧/ ٩٣).

(٢) «تفسير الطبري» (١٨/ ١٢٦).

عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور: ٣١]» (١) .

تلك ـ أيُّها الناسُ ـ خمسةُ أدلَّةٍ منَ القرآنِ الكريمِ، تُفِيدُ وُجُوبَ احتجاب المرأة المسلمةِ عَنِ الرِّجالِ الأجانبِ، والمؤمنُ الحقُّ يكفيه دليلٌ واحدٌ، لكن رَغِبْنا في تكثيرِ الأدلَّةِ؛ ليعلَمَ الناسُ الحقَّ بدليله، فإنَّ أصحابَ الشَّهواتِ قَدْ نَجَحُوا في طَرْحِ الشُّبُهاتِ حَوْلَ الحِجابِ، حتَّى أقنَعُوا بَعْضَ الجُهَّالِ أنَّه عادةٌ، وليس عِبادةً، وأنَّه سُنَّةٌ، وليس فريضةً، فإنَّا للهِ، وإنَّا إليه راجعون! .

وأستغفرُ اللهَ .

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢١٨) .

الخطبة الثانية

الحجابُ في السنة

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على أشْرفِ المُرسلينَ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّم ذِكْرُ الأدلَّةِ مِنَ القُرآنِ الكريمِ على وُجوبِ الحِجابِ.

وفيما يأتي ذكْرُ أدلَّةِ السُّنَّةِ، فمنها:

الدليل الأول ـ ما جاء في «الصحيحين»[1] مِنْ حديث عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ في قصَّةِ الإفْكِ، وفيه: «وكان صَفْوانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَميُّ ثُمَّ الذَّكْوانيُّ مِنْ وراءِ الجيشِ، فأَدْلَجَ، فأصبحَ عندَ مَنْزلي، فرأىٰ سَوادَ إنسانٍ نائمٍ، فأتاني فَعَرَفَني حينَ رآني، وكان يَرَاني قَبْلَ الحِجَابِ، فاستيقظتُ باسترجاعِهِ (أي: قولِهِ: إنَّا للهِ، وإنَّا إليه راجعون) حينَ عَرَفَني، فَخَمَّرْتُ وَجْهي بِجِلْبابي».

قال الحافظ ابْنُ حَجَرٍ ـ رحمه الله ـ: «قولُها: «فخَمَّرْتُ» أي: غَطَّيْتُ»[2].

الدليل الثاني ـ أخرج الحاكمُ في «مستدركه» بسندٍ صحيحٍ[3] من حديثِ أسماءَ بِنْتِ أبي بَكْرٍ ـ رضي الله عنهما ـ قالتْ: «كُنَّا نُغَطِّي وُجُوهَنا مِنَ الرِّجالِ، وكُنَّا نَمْتَشِطُ قَبْلَ ذلك في الإِحْرامِ».

الدليل الثالثُ ـ ما جاء في «الصحيحين»[4] من حديثِ عائشة ـ رضي الله عنها ـ

---

(١) رواه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢١٢٩).

(٢) «فتح الباري» (٨/ ٤٦٣).

(٣) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (١/ ٤٥٤).

(٤) رواه البخاري (٨/ ٤٣٠)، ومسلم (٧/ ٦).

قالتْ: «خَرَجَتْ سَوْدَةُ - بَعْدَ ما ضُربَ الحِجابُ - لحاجتِها، وكانت امرأةً جسيمةً (أي طويلةً)، لا تَخْفَى على مَنْ يَعرِفُها، فرآها عُمَرُ بنُ الخطّابِ، فقال: يا سَوْدَةُ، أمَا والله، ما تَخْفَيْنَ عَلَيْنا، فانظري كيف تَخْرُجِينَ، قالتْ: فانكَفَأَتْ راجعةً، ورسولُ الله ﷺ في بَيْتي، وإنَّهُ يتعشّى وفي يَدِه عرْقٌ، فَدخَلَتْ فقالتْ: يا رسولَ الله، إني خَرَجْتُ لبَعْضِ حاجتي، فقال لي عُمَرُ كذا وكذا - قالتْ: فأوحى اللهُ إليه، ثمَّ رُفِعَ عنه، وإنَّ العَرْقَ في يدِهِ ما وَضَعَهُ، فقال: «إنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لَكُنَّ أنْ تَخْرُجْنَ لحاجتكُنَّ».

قال الإمامُ السِّنْديُّ - رحمه الله -: «قلتُ: الشاهدُ معروفٌ منْ هذا الحديثِ، وهو أنَّ عُمَرَ - رضي الله عنه - لم يَعْرِفْ سَوْدَةَ - رضي الله عنها - منْ وَجْهِها وكَفَّيْها؛ وإنَّما عَرَفَها مِن جسامةِ جِسْمِها، فدلَّ على أنها كانتْ مستورةَ الوَجْهِ، والكَفَّيْنِ، وسائرِ الجِسْمِ، وإذا لم يكنْ هذا المَعْنى مُراداً، فماذا كانوا يُغَطُّون قَبْلَ نُزُولِ الحجابِ؟!، وهذا أمرٌ في غايةِ الوُضوحِ والبيانِ، وإذا لم تكنْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ - رضي الله عنها - مستورةَ الوَجْهِ عند خُرُوجها مِنْ بيتِ النبيِّ - ﷺ -، فكيف يُقالُ في حَقِّها، وحَقِّ غَيْرِهَا مِنْ أُمَّهاتِ المُؤمنين - رضي الله عنهُنَّ -: إنَّهُنَّ امْتَثَلْنَ الأَمْرَ الإلهيَّ بالحِجابِ؟!»(١).

الدليل الرابع - ما جاء في «الصحيحين» من حديث أُمِّ عطيَّةَ - رضي الله عنها -: أنَّ النبيَّ - ﷺ - لَمَّا أَمَرَ بإخراجِ النِّساءِ إلى مُصلَّى العيدِ - قُلْنَ: يا رسولَ الله، إحداهُنَّ لا يكونُ لها جِلْبابٌ؟ فقال النبيُّ ﷺ: «لِتُلْبِسْها أُخْتُها من جِلْبابِها»(٢).

قال العلامةُ محمَّدُ بنُ صالح العُثَيْمين - رحمه الله -: «فهذا الحديثُ يدلُّ على

---

(١) «رسالة الحجاب» للسندي (ص٢٠).
(٢) رواه البخاريُّ (٣٢٤)، ومسلم (٨٩٠).

أنَّ المُعتادَ عندَ نساءِ الصحابةِ ألاَّ تخرُجَ المرأةُ إلاَّ بجلبابٍ، وأنَّها عندَ عَدَمِه لا يُمكنُ أنْ تخرُجَ، ولذلك ذَكَرْنَ - رضي الله عنهُنَّ - هذا المانع لرسولِ الله - ﷺ - حينَما أمَرَهُنَّ بالخروج إلى مُصلَّى العيدِ، فبيَّنَ النبيُّ ﷺ لهُنَّ حَلَّ هذا الإشكالِ، بأنْ تُلْبِسَها أُختُها مِنْ جِلْبابِها، ولمْ يَأْذَنْ لهُنَّ بالخروجِ بغيرِ جِلْبابٍ»(١).

الدليل الخامس - ما جاء في «صحيح البخاري»(٢) من حديث ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا تَنْتَقِبِ المُحْرِمةُ، ولا تَلْبَسِ القُفَّازَيْنِ**».

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّةَ - رحمه الله -: «وهذا ممَّا يدلُّ على أنَّ النِّقابَ والقُفَّازَيْنِ كانا مَفرُوضيْنِ في النِّساءِ اللاتي لم يُحرِمْنَ، وذلك يَقْتضي سَتْرَ وُجُوهِهِنَّ وأَيْديهِنَّ»(٣).

الدليل السادسُ - ما جاء في «سُنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ(٤) مِنْ حديثِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: - «**مَنْ جَرَّ ثوبَهُ خُيَلاءَ، لم ينظرِ اللهُ إليه يومَ القيامة**». فقالتْ أُمُّ سَلَمَةَ - رضي اللهُ عنها -: فكيف تصنعُ النِّساءُ بذُيُولِهِنَّ؟ قال: «**يُرْخِينَ شِبْرًا**». فقالت: إذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ. قال: «**فَيُرْخِينَهُ ذِراعًا، ولا يَزِدْنَ عليه**».

قال العلامةُ بكر أبو زيد: «فالوَجْهُ - مَثَلاً - أعظمُ فِتْنةً مِن القَدَمينِ، فسَتْرُهُ أوْجَبُ مِنْ سَتْرِ القدمينِ، وحكمةُ اللهِ - العليمِ الخبيرِ - تَأْبَى الأَمْرَ بسَتْرِ الأدْنَى، وكَشْفِ ما هو أشدُّ فِتْنةً»(٥).

---

(١) «رسالة الحجاب» لابن عُثيمين (ص١٦).

(٢) رواه البخاري (٤/ ٤٢).

(٣) «تفسير سورة النور» لابن تيمية (ص٥٦).

(٤) رواه الترمذي (١٨٠١)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترمذي» (١٤١٥).

(٥) «حراسة الفضيلة» (ص٦٢).

أيها الناسُ، لو أراد أحدُنا خِطْبةَ فتاةٍ، وعُرِضَ عليه رُؤْيةُ سائرِ جَسَدِها مِنْ غَيْرِ رُؤْيةِ وَجْهِها، فمَنْ منَّا يَرْضىٰ بغير رؤيةِ الوَجْهِ بديلاً؟!.

أيُّها الناسُ، علينا أنْ نتَّقيَ اللهَ في نسائنا، وبناتنا، وأخَواتِنا، ومَنْ لنا عليهنَّ ولايةٌ امتثالاً لأمرِ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ القائل في مُحكَم كتابِهِ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦].

وامتثالاً لأمرِ الرَّسول ﷺ القائل ـ كما في «الصحيحين»[(١)] من حديث ابنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ: « **«كُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْئولٌ عَنْ رعيَّته، والأميرُ راعٍ، والرجُلُ راعٍ على أهلِ بيْتِهِ، والمرأةُ راعيةٌ على بيْتِ زَوْجها وولَدِهِ، فكُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْئولٌ عَنْ رعيَّته»** .

جَعَلَنا اللهُ مِنَ الذين يستمعون القولَ، فيتَّبعون أَحْسَنَهُ.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٠٠)، ومسلم (١٨٢٩).

الخطبة الأولى

﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها المسلمون، إنَّ من أعظم الكبائر والمصائب التي تُفسد على المرء دنياه وأُخراه، وتجعله في همٍّ وغمٍّ في حياته، حتى عند وفاته، وفي قبره، ويوم يقوم الناس لربِّ العالمين جريمة الزنى التي تجلب لفاعلها العذاب في الدنيا والآخرة، والتي تَتَسَبَّبُ في ذهاب العافية، وزوال الصحة، وذهاب النعم، وحلول النقم، ومَحْق البركة في الأعمار والأرزاق.

والله ـ سبحانه وتعالى ـ حرم الزِّنى، وحذَّر منه أشدَّ التحذير، وبيَّن ذلك أوضحَ بيانٍ، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٣٢].

قال العلماء في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾: «ذلك أبلغ من أن يقول: ولا تزنوا؛ فإن معناه لا تَدْنُوا من الزنى».

وقرن الله ـ سبحانه وتعالى ـ الزنى بالشرك به، فقال: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ـ٧٠].

فقرن الله ـ سبحانه وتعالى ـ الزنى بالشرك، وقتل النفس، وجعل جزاء ذلك الخلود في العذاب المضاعف، ما لم يُحْدِثِ العبدُ توبةً.

قال العلامة ابن سَعْديٍّ ـ رحمه الله ـ: «ونصَّ ـ تعالى ـ على هذه الثلاثة؛ لأنها أكبر الكبائر: فالشِّرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان، والزنى فيه فساد الأعراض»[1].

وجعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ اقتران الزاني بالمشركة وبالزانية، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٣/ ٥٠٨).

ومعنى الآية أن الزاني لا ينبغي له أن يتزوج إلا زانيةً أو مشركةً، ولا يجوز له أن يتزوج بالعفيفة الشريفة الطيِّبة الطاهرة، كما قال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦].

فالرجل الشريف ـ حقًّا ـ لا يرضى لنفسه ولا لأولاده الزواج بالزانية، ومن طريف ما يذكر أن أعرابيًّا رأى رجلاً ينظر لامرأته مجرَّد نظرة؛ فطلَّقها لذلك، وأنشأ يقول:

إذا وقع الذُّبابُ على طعامٍ رفعتُ يدي ونفسي تَشْتَهيه
وتَجْتَنِبُ الأُسُودُ وُرُودَ ماءٍ إذا كان الكلابُ ولَغْنَ فيه

وأثنى الله على المؤمنين المحافظين الذين لم يقعوا فيما نهاهم الله عنه، فقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥-٧].

وأمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ المؤمنين والمؤمنات بحفظ الفروج مطلقاً، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

وقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

وأثنى الله على الحافظين فروجهم من النساء والرجال، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وحذَّرنا نبيُّنا محمَّد ـ ﷺ ـ من الزنى أشدَّ التحذير، ففي «الصحيحين»(١) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالتْ: قال رسول الله ﷺ: «يا أُمَّةَ محمَّدٍ، ما منْ أحَدٍ أغْيَرُ منَ الله أن يَزْنيَ عبدُهُ، أو تَزْنيَ أَمَتُهُ».

وذكر ﷺ أن جريمة الزنى أكبر ذنبٍ عند الله بعد الشرك، وقتل النفس، ففي

(١) البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (ص٩٠١).

«الصحيحين»[١] من حديث عبد الله بن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رجل: يا رسولَ الله، أيُّ الذنبِ أكبرُ عندَ الله؟. قال: «أن تدعوَ لله نِّدًا وهوَ خلقكَ». قال: ثمَّ أيٌّ؟. قال: «أنْ تقتلَ ولدَكَ خَشْيَةَ أنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قال: ثم أيٌّ؟ قال: «أنْ تُزانيَ حَليلةَ جارك». فأنزل الله ـ عزَّ وجل ـ تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا يزني الزاني حينَ يَزْني وهو مؤمنٌ».

وضمن رسول الله ـ ﷺ ـ لمن حفظ لسانهُ وفَرْجهُ بالجنَّة،

ففي «صحيح البخاري»[٣] من حديث سَهْل بن سَعْدٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لي ما بَيْنَ لَحْيَيْه ـ أي: اللِّسانَ ـ وما بَيْنَ رِجْلَيْه ـ أي: الفَرْجَ ـ أَضْمَنْ له الجنَّةَ».

وأخبر ـ ﷺ ـ أنَّ أكثر ما يُدْخلُ النارَ الفم والفَرْجُ،

ففي «سنن التِّرْمِذيِّ، وابن ماجَهْ» بسندٍ حسَّنه الألْبانيُّ في «الصحيحة»[٤] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سُئِلَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ: ما أكثرُ ما يُدْخِلُ الجنَّةَ؟ قال: «التقوى، وحُسْنُ الخُلُقِ». وسُئِلَ: ما أكثرُ ما يُدْخِلُ النارَ؟ قال:

---

(١) البخاريُّ (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

(٢) البخاريُّ (٢٤٧٥)، ومسلم (٧٥).

(٣) البخاري (٦٤٧٤).

(٤) الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وانظرِ «الصحيحة» (٩٧٧)، و«صحيح سنن ابن ماجهْ» (٣٤٢٤).

«الأَجْوفانِ: الفَمُ، والفَرْجُ».

وفي «مسند الإمام أحمد»[١] - رحمه الله - من حديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلَّت المرأةُ خَمْسَها، وصامت شَهْرَها، وحفظتْ فَرْجَها، وأطاعتْ زوجَها - قيل لها: ادخلي الجنَّةَ من أيِّ أبوابِ الجنَّةِ شئْتِ».

وفي «سنن التِّرْمِذيِّ»[٢] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ وَقَاهُ اللهُ شرَّ ما بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وشرَّ ما بَيْنَ رِجْلَيْهِ - دخل الجنَّةَ».

أيُّها الناس، لقد تفشَّىٰ الموتُ والهلاكُ بَيْنَ بني البشر، وانتشرت الأمراض التي لم تكن معروفةً من قَبْلُ بسبب جريمة الزنىٰ، ومن تلك الأمراض وأكثرها شيوعًا الأمراض الزُّهْريَّة، وأخطر من ذلك الإيدز، وغير ذلك من الأمراض، وكُلُّ هذا بسبب مخالفتنا لشرع الله.

ففي «سنن ابن ماجَهْ»[٣] من حديث عبد الله بن عمرَ - رضي الله عنهما - قال: أقبل علينا رسول الله - ﷺ - فقال: «يا مَعْشَرَ المهاجرين، خَمْسٌ إذا ابتُليتم بهنَّ - وأعوذ بالله أن تُدْركوهُنَّ -: لم تظهرِ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ، حتى يُعْلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعونُ، والأوجاعُ التي لم تكنْ مَضَتْ في أسْلافِهمُ الذينَ مَضَوْا...».

ولعظيم خطورة الزنىٰ جعل اللهُ عقوبتها الرَّجْمَ بالحجارة حتىٰ الممات لمن زنىٰ وهو مُحْصَن، والجَلْدَ والتغريبَ عن البلاد عامًا كاملاً لمن زنىٰ ولم يكن قد أُحْصِنَ - أي: لم يتزوج بَعْدُ -.

---

(١) رواه أحمدُ في «مسنده» (١٦٦٠)، والطبرانيُّ في «الأوسط» (٤٥٩٨)، وانظر «صحيح الجامع» للألباني (٦٦٠).
(٢) رواه الترمذيُّ في «سننه» (٢٤٠٩)، وحسَّنه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٥١٠).
(٣) «السلسلة الصحيحة» للألباني (١٠٦).

ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث عُبادة بن الصَّامت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - :- «خُذوا عنِّي، خُذوا عني، قد جعلَ اللهُ لهُنَّ سبيلاً: البِكْرُ بالبِكْرِ جَلْدُ مائة، ونَفْيُ سنة، والثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ جَلْدُ مائة والرَّجْمُ».

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -: أن رجلاً من «أَسْلَمَ» أتىٰ رسولَ الله - ﷺ - فحدَّثه أنه قد زنىٰ، فَشَهِدَ علىٰ نفسِه أربعَ شَهَاداتٍ، فأمر به رسول الله - ﷺ - فرُجِمَ، وكان قد أُحْصِنَ.

وفي «صحيح مسلم»[٣] من حديث بُرَيْدة - رضي الله عنه - قال: إنَّ ماعزَ بن مالكٍ الأسلميَّ أتىٰ رسولَ الله - ﷺ - فقال: يا رسولَ الله، إني قد ظلمتُ نفسي وزَنَيْتُ، وإني أريدُ أن تُطهِّرَني، فردَّه، فلمَّا كان في الغَدِ أتاه، فقال: يا رسولَ الله، إني قد زَنَيْتُ. فردَّه الثانيةَ، فأرسلَ رسولُ الله - ﷺ - إلىٰ قومِه، فقال: «أتعلمون بعَقْلِه بأساً، تُنكرون منْهُ شيئًا؟». فقالوا: ما نعلمُهُ إلا وفيَّ العقلِ، من صالحينا فيما نرىٰ. فأتاه الثالثة. فأرسل إليهم - أيضًا -، فسأل عنه، فأخبروه: أنه لا بأسَ به ولا بعَقْلِه، فلمَّا كان الرابعة حُفِرَ له، ثمَّ أمر به فَرُجِمَ.

وروىٰ مسلم[٣] أيضًا - في «صحيحه» من حديث عِمْرانَ بن حُصَيْنٍ - رضي الله عنهما - أنَّ امرأةً من جُهَينةَ أتتِ النبيَّ - ﷺ - وهي حُبْلَىٰ من الزنىٰ، فقالت: يا نبيَّ الله، أصبتُ حدًّا - أي: ارتكبتُ أمرًا يُوجب الحدَّ - فأَقِمْهُ عليَّ. فدعا نبيُّ الله - ﷺ - وليَّها، فقال: «أَحْسِنْ إليها، فإذا وضعتْ فائْتني بها» ففعل، فأمر بها نبيُّ الله - ﷺ - فَشُكَّتْ عليها ثيابُها - أي شدَّتْها، حتىٰ لا تنكشف عَوْرَتُها -، ثمَّ أمر بها فرُجِمَتْ، ثمَّ

---

(١) رواه مسلم (١٦٩٠).

(٢) البخاري (٦٨١٤)، واللفظ له، ومسلم (١٣١٨).

(٣) رواه مسلم (١٦٩٥).

(٤) رواه مسلم (١٦٩٦).

صلَّىٰ عليها، فقال له عمر: تُصلِّي عليها - يا نبيَّ الله - وقد زَنَتْ؟!. فقال: «لقد تابتْ توبةً، لو قُسمَتْ بَيْنَ سبعين من أهل المدينة لَوَسِعَتْهم، وهَلْ وجدْتَ توبةً أفضلَ منْ أنْ جادتْ بنفسِها لله - تعالى -؟!».

أيُّها الناس، هذه هي عقوبة الزاني المُحْصنِ في الدنيا، ولكن كيف تكون عقوبته في الآخرة؟!.

إن لم يُطَهَّر أو يتب إلىٰ الله توبةً صادقةً، فلا شكَّ أنَّ العقوبة أشدُّ لمن لم يشإ الله أن يغفر له.

ففي «صحيح البخاري»[(١)] من حديث سَمُرَةَ بن جُنْدبٍ - رضي الله عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - رأىٰ رُؤْيا، فيها أنه قال: «إنَّهُ أتاني الليلة آتيان، وإنَّهما ابْتَعَثاني، وإنهما قالا لي: انطلقْ، وإني انطلقتُ معهما...» فذكر الحديث، وفيه: «فانطلقنا، فأتينا على مِثْلِ التَّنُّور، فإذا فيه لغطٌ وأصواتٌ، فاطَّلعْنا فيه، فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عراةٌ، وإذا هم يأتيهم لَهَبٌ من أَسْفَلَ منهم، فإذا أتاهم ذلك اللَّهَبُ ضَوْضَوْا - أي: صاحُوا - قلتُ: ما هؤلاء؟...» فذكر الحديث، وفيه: «وأمَّا الرِّجالُ والنِّساءُ العُرَاةُ الذين في مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّور، فإنَّهُم الزُّناةُ والزواني».

أيُّها الناسُ، لا شكَّ أنَّ الجزاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، فهذه الفُرُوجُ التي تلذَّذتْ بالحرامِ يأتيها اللَّهَبُ من أسفلَ منها فيحرقُها، فلا خيرَ في لَذَّة من بَعْدِها النَّارُ!.

وأستغفر الله.

---

(١) رواه البخاريُّ (٧٠٤٧).

الخطبة الثانية

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آله وصَحْبه وسلَّم.

أمَّا بَعْـدُ، أيُّها الناس، لقد حرَّم الله ـ سبحانه وتعالى ـ الزنى؛ حتى تنتظمَ حركة الكون والحياة، وحتى يعيشَ الإنسانُ حياةً عفيفةً طاهرةً سليمةً من الأقْذَار والأرجاسِ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ حرَّم الزنى، وحرَّم جميع مُقدِّماته ودواعيه.

أَلا فما أكثر المُغْرياتِ التي تحثُّ على الزنى، وتدعو إليه، وسوف أذكر بعضًا منها ـ على سبيل المثال ـ:

فمن ذلك إطلاق البصر فيما لا يحلُّ، فهو من أعظم الأسباب المُوصلة إلى الزنى، بل هو ـ كما يقول أهلُ العلم ـ بَرِيدُ الزِّنى ـ أي: رسولُه ـ؛ ولمَّا كان الأمر كذلك أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ بغضِّه، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

وحذَّر النبيُّ ـ ﷺ ـ من إطلاق النظر إلى المحرَّمات، واعتبره من الزِّنى، كما في «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).

رسـول الـلـه ـ ﷺ ـ: «إنَّ اللهَ كَتَبَ على ابْنِ آدَمَ حظَّهُ من الزنى، أدركَ ذلـك لا مَحالَةَ، فَزنى العَيْنِ النظرُ، وزنى اللسان المَنْطِقُ، والنَّفسُ تمَنَّى وتَـشتهي، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلك كُلَّهُ أو يُكذِّبُهُ».

ومن أسباب الزنى الاختلاط، فالاختلاط سبب لكثرة الفواحش والزِّنى، سواء كان الاختلاط في المدارس، أو الجامعات، أو المستشفيات، أو الطرقات، أو الأسواق، أو البيوت، أو الوظائف، وقد حرَّم الله ـ سبحانه وتعالى ـ الاختلاط، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وحذَّر نبيُّنا ـ ﷺ ـ من الاختلاط،

ففي «سنن أبي داود» بسندٍ حسَّنه الألبانيُّ في «الصحيحة» من حديث حمزةَ الأنصاريِّ عن أبيه أنه سمع رسول الله ـ ﷺ ـ يقول للنساء ـ وهو خارج من المسجد، فاختلط الرِّجال مع النساء في الطريق ـ: «استأخِرْنَ، فإنَّه ليس لكُنَّ أنْ تحققْنَ الطَّريق ـ أي: تركَبْنَ حقَّها، وهو وَسَطُها ـ عليكُن بحافاتِ الطريقِ». [1] فكانتِ المرأةُ تلتصقُ بالجِدارِ، حتَّى أنَّ ثوبَها لَيَتعلَّقُ بالجدارِ من لُصُوقِها به.

ومن ذلك سماع الأغاني، وهو من أسباب الوقوع في الزنى،

كما قال ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ: «إنَّ المرأة إذا استعصت على الرَّجل، اجتهد أنْ يُسمعَها صوتَ الغناءِ، فحينئذٍ تُعطي اللِّيانَ ـ أي: تُعطي نفسَها ـ، والعياذ بالله!».

والغناء محرَّم، واستحلاله من قِبَلِ من لا خَلاقَ لهم من علامة الساعة،

فقد أخرج البخاري في «صحيحه»[2] معلقًا ووصله أبو داود من حديث أبي

(١) رواه أبو داود (٥٢٧٢)، وانظر «الصحيحة» (٨٥٦).
(٢) «صحيح البخاري» (٥٥٩٠) ووصله أبو داود (٤٠٣٩).

مالك الأشعريِّ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «ليكُونَنَّ من أُمَّتي أقوامٌ، يستحلُّون الحِرَ، والحريرَ، والخَمْرَ، والمعازِفَ».

والحِرُ: هو الفَرْجُ، والمعازفُ: آلات العَزْف والمُوسيقى.

ومن أسباب الزنى مُشاهدة المُسَلْسَلات التي تتبرَّج فيها النساء، وكذلك المجلاَّت والصُّحف النسائية الخليعة، والصور الماجنة، ممَّا حرَّمه الإسلام، وكذلك القنوات الفضائية التي تدعو إلى الزنى، والانحرافِ عن الأخلاق الفاضلةِ، بل ذلك من أعظم دواعي الزنى، والواقع خيرُ شاهدٍ.

ومن أسبابِ الزنى ـ أيضًا ـ الخَلْوَةُ بالمرأةِ الأجنبية، وقد نهى رسول الله ـ ﷺ ـ عن ذلك،

كما في «الصحيحين»[1] من حديث ابن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**لا يَخْلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا مع ذي مَحْرَمٍ**».

وأخرج الإمامُ أحمدُ في «مُسْنده»[2] من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يَخْلُونَّ رجلٌ بامرأة؛ فإنَّ الشيطانَ ثالثُهما**».

وحذَّر النَّبيُّ ـ ﷺ ـ من الدخول على النساء، وحذَّر أشدَّ التحذير من قريب الزوج: كأخيه وابن عمِّه؛ لتمكنه من الدُّخول على المرأة من غير نكيرٍ،

ففي «الصحيحين»[3] من حديث عُقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ أن رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ قال: «**إيَّاكُمْ والدُّخولَ على النساء**». فقال رجلٌ من الأنصار: يا رسولَ اللهِ،

---

(١) البخاري مع «الفتح» (٩/ ٣٣٠)، ومسلم (١٣٤١).
(٢) «مسند أحمد» (١/ ١٨).
(٣) البخاريُّ (٥٢٣٢)، ومسلم (٥/ ١٧).

أَفَرأيتَ الحَمْوَ؟ . قال: «الحَمْوُ المَوْتُ». والمعنىٰ ـ كما قال بعضُ العلماء ـ: احذروه، كما تحذرون الموتَ.

ومن أسباب الوقوع في الزنى مجالسةُ قُرناءِ السُّوءِ الذين يرتكبون الزنىٰ، ويحبِّبون النساء إلىٰ مَنْ يُجالسونهم، ويبالغون في وصفهنَّ؛ فيجب الحَذَرُ والتحذيرُ منهم.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾ [النساء: ٢٧].

اللهُمَّ إنا نسأَلُك الهُدىٰ، والتُّقىٰ، والعَفَافَ، والغِنَىٰ.

الخطبة الأولى

حكم الغناء

إن الحمدَ لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناس، حديثي معكمُ اليومَ حولَ الغناء، والغناء أمره معلوم، فهو يُلهي عن طاعة الله، والقيامِ بالواجباتِ الشرعيَّةِ.

وهو محرَّم بالكتاب، والسنة، وإجماع علماء الأُمَّة، وقد سمَّاه اللهُ - سبحانه وتعالىٰ - بلَهْوِ الحديث في قوله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ

الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

وقد قال أهل العلم بالتفسير من الصحابة وغيرهم: إنَّ هذه الآية نزلت في الغناء ونَحْوِهِ.

فقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في كتابه «تحريم آلات الطَّرب»[1] عن تُرْجمانِ القرآن عبدِ اللهِ بن عباسٍ - رضي الله عنهما - أنه قال: «نزلت في الغناء وأشباهِهِ».

وأخرج الحاكم في «المستدرك» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في كتابه «تحريم آلات الطرب»[2] عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنَّه سئل عن هذه الآية المذكورة، فقال: «هو الغناء، والذي لا إله إلا هو» يُرَدِّدُها ثلاثَ مرَّاتٍ.

وأخرج الإمام البخاريُّ في «تاريخه» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في كتابه «تحريم آلات الطرب»[3] عن شُعيب بن يَسَارٍ قال: سألتُ عِكْرِمَةَ عن لَهْوِ الحديثِ، قال: «هو الغناء».

أيُّها الناسُ، قد تقرَّر لدىٰ الجميع علىٰ أنَّ المُرادَ بلَهْو الحديث هو الغناء.

قال الإمام الواحديُّ في «تفسيره»[4]: «أكثر المفسِّرين علىٰ أنَّ المُرادَ بلَهْوِ

(١) أخرجه البخاريُّ في «الأدب المفرد» (١٢٦٥)، وصحَّحه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (ص١٤٣).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٤١١)، وصحَّحه الألبانيُّ في «تحريم آلات الطرب» (ص١٤٣).

(٣) أخرجه البخاريُّ في «تاريخه» (٢/ ٢١٧)، وحسنه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (ص١٤٣).

(٤) «الوسيط» للإمام الواحديِّ (٣/ ٤٤١).

الحديث الغناءُ، قال أهلُ المعاني: ويدخل في هذا كُلُّ مَنِ اختار اللَّهْوَ، والغِناءَ، والمزاميرَ والمعازفَ على القرآنِ».

ومعنى الاشتراء في الآية الكريمة الاستبدال والاختيار، واللامُ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِيُضِلَّ﴾ لامُ العاقبةِ، كما قال الإمام الواحديُّ[١]، أي: ليصيرَ أَمْرُهُ إلى الضَّلالِ، كما قال الإمام ابن الجوزيِّ ـ رحمه الله ـ في «تفسيره»[٢].

أيها الناس، سبق أنْ ذكرتُ لكمُ الآيةَ الدالَّةَ على تحريم الغناء، ونقلتُ لكم كلامَ أهل التفسير من الصحابة، والتابعين، وغَيْرِهِمْ، وهأنذا أنقل لكمُ الأحاديث الواردة في ذلك، وهي كثيرة جدًّا، فقد جاوز عَدَدُها العشرةَ، وهي تدلُّ على أنَّ التحريمَ ثابتٌ عن رسول الله ﷺ يقينًا لا ريب فيه.

ففي «صحيح البخاري»[٣] معلقًا بصيغة الجزم ووصله أبو داود من حديث أبي عامرٍ ـ أو أبي مالكٍ ـ الأشْعريِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**ليكُونَنَّ مِنْ أُمَّتي أقوامٌ، يستحلُّون الحِرَ، والحريرَ، والخَمْرَ، والمعازفَ**».

فهذا الحديث ـ أيُّها الناسُ ـ من أقوى الأدلَّة التي استدلَّ بها أهلُ العلم على تحريم الملاهي بجميع أشكالها؛ فمعنى يستحلُّون من أقوى الأدلة على أنّ المذكورات الأربعة ليست حلالاً شَرْعًا، ومنها المعازف.

قال أهلُ العلم باللُّغة: استحلَّ الشيءَ: أي عدَّه حَلالاً.

قال الشيخ عليٌّ القاري ـ رحمه الله ـ: «والمعنى يعدُّون هذه المُحرَّماتِ حلالاتٍ بإيراد شُبُهاتٍ، وأدلةٍ واهياتٍ»[٤].

---

(١) المرجع السابق (٣/ ٤٤١).
(٢) «زاد المسير» (٦/ ٣١٧).
(٣) أخرجه البخاريُّ (٥٥٩٠) ووصله أبو داود في سننه (٤٠٣٩).
(٤) «المرقاة» (٥/ ١٠٦).

والمعازف كما عرفها الإمام الذهبيُّ ـ رحمه الله ـ قال: «المعازف: اسمٌ لكلِّ آلاتِ الملاهي التي يُعْزَفُ بها: كالمِزْمارِ، والشبابةِ، والصَّنُّوجِ»[١] .

وقال الإمام ابن القيِّم ـ يرحمه الله ـ: «هي آلات اللَّهْوِ كُلُّها، لا خلافَ بَيْنَ أهلِ اللُّغةِ في ذلك».

وأخرج البزَّار في «مسنده» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في كتابه «تحريم آلات الطرب»[٢] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صوتان مَلْعُونانِ في الدنيا والآخرةِ: مِزْمارٌ عند نعمةٍ، ورَنَّةٌ عند مُصيبةٍ**».

ومعنى الرَّنَّة: هو الصوتُ الحزين.

وأخرج الحاكمُ في «مستدركه» بسندٍ حسنٍ، حسنه الألبانيُّ في كتابه «تحريم آلات الطرب»[٣] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**إنِّي لم أنْهَ عَنِ البكاء، ولكنِّي نَهيتُ عَنْ صوتينِ أحْمَقَيْنِ فاجرين: صوت عندَ نعمة: لَهْو، ولعب، ومزاميرُ الشيطانِ، وصوت عندَ مصيبة: لَطْمُ وجُوه، وشقُّ جيُوب، ورنَّةُ شيطانٍ**».

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ[٤]: «هذا الحديث من أجود ما يُحتجُّ به على تحريم الغناء، كما في اللفظ المشهور عن جابر بن عبد الله: «**صوت عند نعمة: لَهْو ولَعِبٌ، ومزاميرُ الشيطان**» فنهى عن الصوت الذي يُفعلُ عند النِّعمة، كما نهى عن الصوت الذي يُفعلُ عند المُصيبة، والصوتُ الذي عندَ النعمةِ هو صوتُ الغِناءِ».

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ١٥٨)، و«تذكرة الحفاظ» (٢/ ١٣٣٧).
(٢) أخرجه البزار في «مسنده» (٧٩٥)، وحسنه الألباني في «تحريم آلات الطرب (ص٥١).
(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٤٠)، وحسنه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (ص٥٢).
(٤) «الاستقامة» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٢٩٢).

وأخرج الإمام أحمدُ في «مسنده»، وأبو داود في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الإمام أحمد شاكر في تعليقه على «المسند»، والإمام الألباني في «تحريم آلات الطرب»[(١)] من حديث عبد الله بن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: ««إنَّ اللهَ حرَّم عليَّ - أو حَرَّم - الخَمْرَ، والمَيْسِرَ، والكُوبةَ، وكُلُّ مسكرٍ حرامٌ».

قال الإمام الخطابي[(٢)] - رحمه الله -: «(والكُوبة) يفسر بـ(الطَّبْلِ)، ويقال: هو (النَّرْد)، ويدخلُ في معناه كُلُّ وترٍ، ومِزْهَرٍ، ونَحْو ذلك من الملاهي والغناء».

وقال الإمام أحمد شاكر - رحمه الله -: «وأجودُ من هذا وأحسنُ شمولاً قولُ الإمام أحمدَ: يعني (الكُوبة) كلَّ شيءٍ يكبُّ عليه»[(٣)].

وأخرج الإمام أحمدُ في «مسنده»، وأبو داود في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألباني لشواهده في كتابه «تحريم آلات الطرب» ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاصِ - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ: قال: «إنَّ الله حرَّمَ الخَمْرَ، والكُوبةَ، والغُبَيْرَاءَ، وكلُّ مُسكرٍ حرامٌ».

والغُبَيْراء: هو شرابٌ مُسْكِرٌ، يُتَّخَذُ من الذُّرةِ.

والكوبة: هو الطبل، وقد تقدَّم ذِكْرُهُ.

قال الخَلاَّلُ في كتابه «الأمر بالمعروف» عن الإمام أحمدَ بن حَنْبلٍ أنه قال: «وأكرهُ الطَّبْلَ - وهي الكوبة - نهىٰ عنه رسولُ الله - ﷺ -»[(٤)].

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (١/ ٢٧٤)، وأخرجه - أيضًا - أبو داود في «سننه» (٣٦٩٦)، وصححه الألباني في «تحريم آلات الطرب (ص٥٥).

(٢) «معالم السنن» للخطابي (٥/ ٢٦٨).

(٣) «المسند» (١٠/ ٢٧٤) بتعليق أحمد شاكر.

(٤) «الأمر بالمعروف» للخلال (ص٢٦).

وأخرج الإمام التِّرمذيُّ في كتاب «الفتن» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ ـ رحمه الله ـ في كتابه «تحريم آلات الطرب»[(١)] من حديث عِمْرانَ بن حُصَيْنٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يكونُ في أُمَّتي قَذْفٌ، ومَسْخٌ، وخَسْفٌ».

قيل: يا رسولَ الله، ومتىٰ ذاك؟ قال: «إذا ظَهَرَتِ المعازفُ، وكَثُرَتِ القِيانُ، وشُرِبَتِ الخُمورَ».

والقِيانُ: هُنَّ المُغَنِّياتُ جمع قَيْنَةٍ، وما أكْثَرَهُنَّ في زماننا، لا كثَّرهُنَّ اللهُ!.

أيُّها الناسُ، لقد صرَّحتِ الأحاديثُ المتقدِّمةُ علىٰ تحريم الغناء، وتحريمِ آلاتِ الطربِ بجميع أشكالِها وأنواعها، كما قال الإمامُ الألبانيُّ ـ رحمه الله ـ، وذلك لأمرين:

الأول ـ شمول لفظ «المعازف».

والآخر ـ أنها مثلها في المعنىٰ من حيث التطريب والإلهاء، ويُؤيِّدُ ذلك ما أخرجه البيهقيُّ بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «تحريم آلات الطرب»[(٢)] من حديث ابن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: «الدّفُّ حرامٌ، والمعازفُ حرامٌ، والكُوبةُ حرامٌ، والمِزْمارُ حرامٌ».

قال العلامة ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ: «ووَجْهُ الدلالة أنَّ (المعازفَ) هي آلاتُ اللَّهْوِ كُلُّها، لا خلافَ بَيْنَ أهْلِ اللُّغةِ في ذلك، ولو كانتْ حلالاً لما ذمَّهم علىٰ استحلالها، ولَمَا قَرَنَ استحلالَها باستحلالِ الخمرِ والحِرِ... وقد توعدَ مُسْتحلِّي (المعازفِ) فيه بأنه يخسفُ الله بهمُ الأرضَ، ويمسخُهُم قِرَدة وخنازيرَ، وإن كان

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢١٣)، وصححه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (ص٦٤).

(٢) أخرجه البيهقي (١٠/ ٢٢)، وصححه الألباني في كتابه «تحريم آلات الطرب» (ص٩٢).

الوعيدُ على جميع هذه الأفعال، فلكُلٍّ واحدٍ قِسْطٌ من الذَّمِّ والوعيدِ»[(١)] .

أيُّها الناسُ، إنَّ علماءَ الأَمصارِ ذهبوا إلى تحريم الأغاني،

فقد قال الإمام ابْنُ الجوزيِّ ـ رحمه الله ـ: «قال الطَّبَريُّ: فقد أجمع علماءُ الأمصارِ على كراهيَةِ الغناءِ، والمَنْعِ منه»[(٢)] .

ولَمَّا نَسَبَ ابْنُ المطهر الشِّيعيُّ إلى أهل السُّنَّة إباحةَ الملاهي والغِناءِ، كذَّبه شيخُ الإسلام ابن تيميَّة ـ في ردِّه عليه في «منهاج السُّنَّة»، فقال: «هذا من الكَذِب على الأئمَّة الأربعة؛ فإنهم متَّفقون على تحريم المعازف التي هي آلات اللَّهوِ: كالعُود، ونَحْوِه، ولو أتلفها مُتْلِفٌ عندَهم لم يَضْمَنْ صُورةَ التالفِ، بل يَحْرُمُ عندَهُمُ اتِّخاذُها»[(٣)] .

وأستغفر الله.

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٦٠، ٢٦١).

(٢) «تلبيس إبليس» (ص٢٤٥).

(٣) «منهاج السُّنَّة» لابن تيميَّة (٣/ ٤٣٩).

الخطبة الثانية

حكم الغناء

الحمد لله ربِّ العالمين، وأُصلِّي وأُسلِّم على رسولِهِ الأمينِ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

أَمَّـا بَعْدُ، أيُّهـا الناسُ، سبق أن ذكرتُ لكم حُكْمَ الغناء، وأنه حرامٌ بالكتاب، والسنة، وإجماع علماء الأمصار، ممن يُعتدُّ بعلمهم، والشاذُّ لا حكمَ له.

وقد تقدَّم إجماعُ علماء الأمصار على المنع من الغناء، وإجماعُ الأئمة الأربعة على تحريم المعازفِ بأنواعها وأشكالها، وإن استحدث الناسُ آلاتٍ حديثة، فيشملها لفظ المعازف، وقد تقدَّم قولُ الإمام الذهبيِّ - رحمه الله -: «المعازف: اسمٌ لكُلِّ آلاتِ الملاهي التي يُعْزَفُ بها».

وتقدَّم قولُ الإمام ابن القيِّم - رحمه الله - حَوْلَ تفسير المعازفِ: «هي آلاتُ اللَّهْوِ كُلُّها، لا خلافَ بَيْنَ أهلِ اللُّغةِ في ذلك».

أيُّها الناسُ، بَعْدَ أنْ عَلِمنا - يقينًا - تحريمَ الغناء بالكتاب والسُّنَّة، فما علينا إلاَّ امتثالُ أمر الله القائل في محكمِ كتابهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

أيُّهـا الناسُ، إنه يجب علينا جميعًا أن نذهب إلى بُيُوتنا، ونفتش عن أشرطة الأغاني، فنأخذها إلى أقرب تسجيلات إسلاميَّة، ونطلب من صاحب التسجيلات أنْ يقوم بمسحِ الأغاني، والتسجيل عليها قال اللهُ، وقال رسولُ الله - ﷺ -.

أيُّهـا الناسُ، إنَّه يجب علينا الحذرُ تمامَ الحَذَرِ من الأناشيدِ التي يُسَمِّيها الناسُ إسلاميةً، وعلينا أن ننظرَ إلىٰ ماذا قال العلماء حَوْلَها قبلَ الاستماع لها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ يرحمه الله ـ: «وقد عرف بالاضطرار من دين الإسلام أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ لم يَشْرَعْ لصالحيْ أمته، وعُبَّادهم، وزُهَّادهم أن يجتمعوا علىٰ استماع الأبيات المُلحَّنةِ مع ضَرْبٍ بالكفِّ، أو ضَرْبٍ بالقضيبِ، أو الدُّفِّ، كما لم يُبح لأَحدٍ أن يخرجَ عن متابعته، واتِّباعِ ما جاء في الكتابِ والحكمةِ، لا في باطن الأمرِ، ولا في ظاهرِهِ، ولا لعَامِّيٍّ ولا لخَاصِّيٍّ»(١).

وقال الإمام الألبانيُّ ـ رحمه الله ـ: «وأنه من أجل ذلك حرَّم العلماءُ الغناءَ الصُّوفيَّ، واشتدَّ إنكارُهم علىٰ مُسْتحِلِّيه، فإذا استحضر القارئ في باله هذه الأُصول القوية، تبيَّن له ـ بكُلِّ وُضوحٍ ـ أنَّه لا فَرْقَ من حيثُ الحُكْمِ بَيْنَ الغناءِ الصُّوفيِّ والأناشيدِ الدينيَّة، بل قد يكون في هذه آفةٌ أُخرىٰ، وهي أنَّها تُلَحَّنُ علىٰ أَلْحانِ الأغاني الماجنة، وتوقع علىٰ القوانين الموسيقية الشرقيَّة ـ أو الغربيَّة ـ التي تُطرِبُ السامعين، وتُرقِصُهم، وتُخرجهم عن طورهم، فيكون المقصودُ هو اللَّحْنَ والطَّرَبَ، وليس النشيد بالذاتِ، وهذه مخالفةٌ جديدةٌ، وهي التشبُّه بالكفَّار والمُجّان»(٢).

وسُئِلَ العلامةُ محمَّد بنُ صالح العُثَيمين ـ رحمه الله ـ عَنْ حُكْمِ الأناشيدِ المُسمَّاة بالإسلاميَّةِ، فقال: «أمَّا حكمُ الأناشيدِ هذه، فلا أرىٰ أنها تُستَعْمَلُ، ولا يُستَمَعُ إليها؛ لأنها:

أولاً ـ ستُلْهي الإنسان عن القرآنِ، والاتعاظِ به.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٢٦٥).

(٢) «تحريم آلات الطرب» (ص١٨١).

ثانيًا - أنه ذُكِرَ لي أنَّها حُوِّلَتْ إلىٰ تَلْحينٍ، حتَّىٰ أصبَحَتْ كالأغاني تمامًا.

ثالثًا - أنَّ الإنسان يَجِدُ فيها نَشْوةً، وطَرَبًا، وما يجدُ فيها عبادةً وإنابةً وخضوعًا، هذا الغالب عليها، ولهذا لا أرىٰ أن الإنسان يستمعُ إليها، ولا أراها محبوبةً، ولكن إذا حصل أن الإنسان عندهُ خَوَرٌ وضَعْفٌ في النَّفْسِ، وأراد أن يستمع إليها - أحيانًا - فلا حَرَجَ، بشرطِ ألاَّ تكونَ مصحوبةً بآلةِ لَهْوٍ»[(١)].

وسُئِل **العلامةُ صالح الفوزان** عن حكم الأناشيد الإسلامية، إذا كانت تتضمَّنُ الدُّفُوفَ، أو بدونِ الدُّفُوفِ، فأجاب:

«أولاً - تسميةُ الأناشيدِ إسلاميَّة، أنا لا أُوافقُ علىٰ تسميتها إسلاميَّةً؛ لأنه لا يُوجدُ أناشيدُ إسلاميَّة؛ لأنَّا إذا قلنا إسلاميّة، صار معناها: أنها من الدِّين، وأنها من الإسلام.

والذي يَعْتقدُ أنَّ الأناشيدَ من الدِّين هُمُ الصُّوفيَّة؛ لأن الصُّوفيَّة يجعلون من جملة متعبَّداتهم وطُقُوسهم الأناشيدَ، يزعمون أنهم يتقرَّبون بها إلىٰ الله، والترانيم فهذه الأناشيد تشبهها من هذا الوجه، وليس هنالك أناشيدُ إسلاميَّة، ولكن قد يقال: أناشيد عربية، يباح الأناشيد - مثلاً - في حالة السفر، وحالة البناء، والأعمال الشاقَّة، أمَّا هذه الأناشيد الحالية فلا تجوز؛ لأنها:

أولاً - جماعيَّة.

ثانيًا - أنها تكون بأصوات قد تكون فاتنةً، وأنهم جعلوا هذه الأناشيدَ - مثلاً - كأنها من الإسلام، وكأنها من الدين، وتُباع كما يُباع الكتابُ الدِّينيُّ، أو الشريطُ الدِّينيُّ، هذا لا يجوز في نظري.

---

(١) «البيانُ المُفيدُ في حُكم التمثيل والأناشيد» (ص١٢).

ولكن قد يكون في أناشيد عربيَّة مباحة بحدودٍ وشروطٍ معروفةٍ، مباحة إباحة فقط، لا أنها من الإسلام أو الدِّين، ولكن يُباح إنشادُها في مثل حالة السفر، وحالة البناء الشاقة بأن ينشدَ كُلُّ شخص لنفسه، وهو يتغنى بالشعر مثلاً، أمَّا أن نجتمع ونجعل أناشيد جماعيَّة، ونسمِّيها إسلاميَّةً، هذا ليس له أصل في الدِّين، وإنما هذا دخل علينا من الصوفية»[1] .

أيُّها الناسُ، لقد وضع العلامة عبدُ الله بنُ عبد الرحمن السَّلْيمانيُّ شروطًا قبل الاستماع للأناشيد، مستخلصًا ذلك من أقوال أهل العلم، وهذه الشروط هي زبدة كتابه «البيان المفيد في حكم التمثيل والأناشيد»[2] .

فمن هذه الشروط:

١ـ أن تُعْرَضَ على طالبِ علمٍ قبلَ سماعِهَا - أو إنشادها - فينظر فيها.

٢ـ ألاَّ تشتملَ على محرَّمٍ عُمومًا: كالدُّفوفِ، والطُّبول، والزمور.

٣ـ ألا يستمعها النساءُ من الرِّجال، ولا الرِّجالُ من النساء، فإنَّ ذلك محرَّم، ولا يجوز.

٤ـ ألا تكونَ بألحانٍ مُنَغَّمةٍ: كالغناءِ، ولا تكون بأصواتِ غِلْمانٍ، ومُرْدانٍ، حيثُ تُنْشَد بِتكَسُّرٍ وتمايلٍ.

٥ـ ألا تكون جماعيَّةً.

٦ـ ألا تُسمَّى إسلاميَّةً، ويُعتقد أنها من الدِّين أو من الإسلام، وألا تُتَّخذَ في الدَّعوة إلى الله بصفتها الحالية هذه.

---

(١) «المرجع السابق» (ص٤٧، ٤٨).

(٢) «البيان المفيد في حكم التمثيل والأناشيد» (ص١١٣، ١١٤).

ألا تُلْهِيَ وتَشْغَلَ الإنسانَ عن تلاوةِ القرآنِ الكريمِ، ومُدارستِهِ، وحِفْظِهِ، والاشتغالِ بالسنة النبويَّة، وألا تغلبَ عليه، وتكون جُلَّ همِّه ودَيْدَنَهُ ليلَ نهارَ؛ فإنه مَنْ كانتْ هذه صفاته عند إنشادها - أو استماعها - فقد عرَّض نفسَهُ للوعيد الشديد من النبيِّ ﷺ حيث يقول في الحديث الذي أخرجه البخاريُّ في «صحيحه»[1] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأنْ يَمْتَلِئَ جوفُ أَحَدِكُم قَيْحًا حتى يَرِيَهُ - أي يأكل جَوْفَهُ - خيرٌ له من أن يَمْتلئَ شِعْرًا**».

وقد فسَّر العلماء هذا الحديث: على أنه من يَشغَلُهُ الشِّعْرُ عن القرآن والسنة، ويكون جُلَّ همِّه. ويُسْتحسن أن تكونَ - فقط - في أوقاتِ السَّفَرِ، والجهادِ، والعملِ الشاقِّ، أو في العيدين، أو في الأعراس، وما أَشْبَهَ ذلك.

نسألُ اللهَ الكريمَ أنْ يَمُنَّ علينا بصَوْنِ أسماعِنا عَنِ الغناءِ، وكُلِّ ما يُلهِي عَنْ ذِكْرِهِ - جلَّ وعلا -.

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٤/ ١٤٦)، ومسلم (٧/ ٥٠).

الخطبة الأولى

حقيقة الظلم

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن الظلم، وما أدراك ما الظلم؟!.

الظلمُ: طبيعةٌ بشريَّة، وجِبِلَّةٌ متأصِّلةٌ في النفوس، كما قال ربُّنا ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢] فهذا هو الأصل في الناس: الظلم والجهل إلا مَن زكّاه اللهُ بالإيمان والتقوىٰ، والعلم والهدىٰ، والعدل والإنصاف..

والظلمُ من شِيَمِ النُّفوسِ، فإنْ تَجِدْ ذا عِفَّــــةٍ فلعلَّهُ لا يظلِــــمُ

وعرَّف العلماءُ الظلمَ بأنهُ: مُجاوزةُ الحدِّ، ووضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِهِ.

وهو أنواع شتَّى، نجملُها في ثلاثة أقسام:

الأول - ظلم العبدِ نفسَهُ بالإشراكِ بالله.

الثاني - ظلم العبدِ نفسَهُ بمعصية اللهِ.

الثالث - ظلم العبد لغيره من العباد.

والدليل على ذلك ماجاء في «مسند الطيالسي» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في صحيح الجامع[1] من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: **«الظّلْم ثلاثةٌ: فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره، وظلم لا يتركه، فأمَّا الظلم الذي لا يغفره الله فالشركُ، قال الله: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾، وأما الظُّلمُ الذي يغفره فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربِّهم، وأمَّا الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضًا، حتَّى يُدبر لبعضهم من بَعْضٍ»**.

أما القسم الأول - فإنه أقبحُ الظلم وأفحشُه، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وفي «الصحيحين»[2] من حديث عبد الله بن مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: لَمَّا نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شقَّ ذلكَ على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أيُّنا لا يظلمُ نَفْسَهُ؟! قال: **«لَيْسَ ذَلكَ، إنما هو الشِّرْكُ، ألم تسمعوا ما قال لُقمانُ لابنه وهو يَعِظُهُ: ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؟** [لقمان: ١٣]».

فالشِّرْكُ - أيُّها الناسُ - أعظمُ أنواع الظلم؛ ولهذا كان جزاءَ صاحبه أن يَخْلُدَ في النار يومَ القيامة، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده (٢١٠٢)، وحسنه الألباني لشواهده في صحيح الجامع (٣٩٦١).

(٢) البخاري (٣١)، ومسلم (١٢٤).

وكُلُّ ذَنْبٍ قد يغفره الله - سبحانه وتعالىٰ - إلا الشِّرْكَ، فإنه لا يغفر لصاحبه، قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ومن الشِّرْكِ الأكبرِ المُخْرِجِ من المِلَّة التقرُّبُ إلى الموتى وأصحاب القبور من الأولياء والصالحين وغيرهم، وذلك بدعائهم، والاستغاثة بهم، والذَّبح، والنَّذْر لهم، والطواف بقبورهم، والحلف بهم تعظيمًا لهم، واعتقاد النَّفْعِ والضَّرِّ فيهم، وأنَّ لهم تصرُّفًا في هذا الكون، وقُدرةً علىٰ الدَّفْعِ والرَّفْعِ، والضُّرِّ والنَّفْعِ، والعطاءِ والمَنْعِ.

والقسم الثاني - ظلمُ العَبْدِ نفسَهُ بمعصية الله، والخروج عن طاعته؛ لأنَّ حقَّ الله - تعالىٰ - علىٰ عبادِهِ أن يعبدوه، ويُوحِّدُوه، ويُطيعوه، ولا يَعْصُوه، ويشكروه، ولا يَكْفُروه.

فإذا خالفوا ذلك كانوا ظالمين(١)، قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١].

أيُّها الناسُ، إنَّ الله - سبحانه وتعالىٰ - غنيٌّ عن عباده، لا تنفعه طاعةُ المُطيعين، ولا تضرُّه معصيةُ العاصين، إنما ينفعون أنفسهم أو يضرُّونها، قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

فمن أشرك بالله أو عصاه، فإنه لا يظلم إلا نَفْسَهُ، ولا يضرُّ الله شيئًا، قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧].

---

(١) انظر «حقيقة الظلم» د/ عبد العزيز الفوزان (ص٣).

القسم الثالث - وهو ظلمُ العَبْدِ لغيرِه من العباد، وهو أشهرُ أنواع الظلم، وأكثرُها شُيوعًا، وقد أشار ابنُ القيِّم - رحمه الله - إلىٰ هذا التقسيم في كتابه «الوابل الصيِّب»[1].

فقال - رحمه الله -: «والظلمُ عِنْدَ اللهِ - عزَّ وجلَّ - يومَ القيامة له دواوينُ ثلاثةٌ: ديوان لا يغفرُ اللهُ منه شيئًا، وهو الشِّرْكُ به، فإنَّ الله لا يغفرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ. وديوان لا يتركُ اللهُ منه شيئًا، وهو ظُلْمُ العبادِ بعضِهِم بعضًا، فإنَّ الله - سبحانه وتعالىٰ - يَسْتوفِيه كُلَّه.

وديوان لا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ، وهو ظُلْمُ العَبْدِ نَفْسَهُ بَيْنَهُ وبَيْنَ رَبِّهِ - عزَّ وجلَّ -، فإنَّ هذا الدِّيوانَ أخفُّ الدَّواوينِ، وأسرعُها مَحْوًا، فإنه يُمْحَىٰ بالتَّوْبةِ والاستغفارِ، والحسنات الماحيةِ، والمصائبِ المكفِّرةِ، ونَحْوِ ذلك، بخلاف ديوانِ الشِّرْكِ، فإنَّه لا يُمْحَىٰ إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يُمْحَىٰ إلا بالخروج منها إلىٰ أربابِها، واستحلالِهِمْ منها، ولمَّا كان الشِّرْكُ أعظمَ الدَّواوينِ الثلاثةِ عند الله - عزَّ وجلَّ - حرَّم الجنَّة علىٰ أهله، فلا تَدْخُلُ الجنَّة نفسٌ مُشركةٌ».

أيُّها الناسُ، بَعْد أن عرفنا أقسامَ الظلم، لا بُدَّ من شرح القسم الثالث من أقسام الظلم بشيءٍ من التوسُّع، وهذا الظلم هو ظلمُ العَبْد لغيره من العباد؛ لأنه أغلظ من سابقه، وأعظم إثمًا، وأسوأ عاقبةً، ولا يُمكن الخروج منه، والتخلُّصُ من شُؤمِهِ وإثمه بمجرَّد الإقلاعِ والنَّدَمِ، بل لا بُدَّ مِن استحلال صاحبه، ورد حقِّه إليه، ومَنِ الذي يضمنُ لنفسِهِ - أيُّها الناس - أنْ يُحلَّهُ المظلومُ ويُبيحَهُ، إذا استحلَّه وأباحهُ؟!![2].

أيُّها الناس، إن الظلمَ لا يَنْحَصِرُ في صورٍ معدودة، بل كُلُّ تعدٍّ علىٰ مصالحِ

---

(١) «الوابل الصيب من الكلم الطيب» (ص٣٣).

(٢) انظر «حقيقة الظلم» (ص٤).

العبادِ وحُقُوقِهم فإنه يُعَدُّ ظُلْمًا لهم، وسواء كان ذلك بالقولِ أوِ الفِعْلِ.

ففي «الصحيحين»(١) من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «المسلمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ من لسانِه ويَدِه».

قال العلامة ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «فبيَّن في هذا الحديث علامة المسلم التي يُستدلُّ بها على حُسْنِ إسلامه: وهي سلامة المسلمين من لسانه ويده، كما ذكر مثله في علامة المُنافقِ»(٢).

وقال الإمام الخطَّابيُّ ـ رحمه الله ـ: «المراد: أفضلُ المسلمين من جمع إلى أداء حقوق اللهِ ـ سبحانه وتعالى ـ أداءَ حقوقِ المُسلمين»(٣).

وقال الحافظ ابن حجر: «وذكر المسلمين هنا خَرَجَ مَخْرَجَ الغالب؛ لأنَّ مُحافظة المسلم على كفِّ الأذى عن أخيه المسلم أشدُّ تأكيداً، وحقه عليه أعظمُ من حقِّ الكافرِ غير المحاربِ الذي لا يجوز الاعتداء عليه ـ أيضًا ـ، وخصَّ اللِّسان بالذِّكْرِ؛ لأنه المُعبِّرُ عمَّا في النفس، وهكذا اليد؛ لأنَّ أكثر الأفعال بها، وعبَّر باللسانِ دُونَ القولِ؛ ليدخلَ فيه مَنْ أخرج لسانَهُ على سبيلِ الاستهزاءِ»(٤) فانظرْ ـ يا عبدَ اللهِ ـ كيف اشتمل هذا الحديث على جميع أنواع الظلم بالقول والفعل؟!.

أيُّها الناسُ، إنَّ الظلم مَرْتَعُهُ وخيمٌ، وعاقبتُهُ أليمةٌ، توَعَّدَ الله أهلَهُ بالعذاب والنَّكالِ الشديد، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: ٣٧].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا

---

(١) رواه البخاريُّ (١٠)، ومسلم (٤١).
(٢)، (٣)، (٤) «فتح الباري» (١/ ٧٨).

يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: ٦٥].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وفي «الصحيحين»[١] من حديث أبي موسىٰ الأشعريِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن الله لَيُملي للظالم (أي: يُمْهِل)، حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْهُ» ثمَّ قرأ رسولُ الله ـ ﷺ ـ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ كانتْ له مَظْلمةٌ لأَحَد من عِرْضه ـ أو شيء ـ فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه اليومَ قبلَ ألا يكونَ دينارٌ ولا دِرْهَمٌ، إن كان لَهُ عملٌ صالحٌ، أُخِذَ منه بقَدْرِ مَظْلمته، وإن لم تكنْ له حسناتٌ، أُخذَ من سيِّئات صاحبِه، فحُمِلَ عليه».

وفي «صحيح مسلم»[٣] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أتدرونَ مَن المُفْلسُ؟» قالوا: المُفْلِسُ فينا من لا دِرْهَمَ له ولا مَتَاعَ. فقال: «إنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتي يومَ القيامـة بصلاة، وصيامٍ، وزكاة، ويأتي

---

(١) رواه البخاريُّ (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).
(٢) تقدَّم تخريجه.
(٣) رواه مسلم (٤٦٧٨).

وقَدْ شتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطى هذا من حسناته، وهذا مِنْ حسناته، فإنْ فَنِيَتْ حسناتُهُ قَبْلَ أن يُقْضَى ما عليه، أُخِذَ من خطاياهُمْ، فطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طرِحَ في النار».

وروىٰ البيهقيُّ بإسنادٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[(١)] من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الرجلَ لا تُرفَعُ له يومَ القيامة صحيفتُهُ، حتى يرى أنَّه ناجٍ، فما تَزالُ مَظالِمُ بني آدمَ تَتْبعُه، حتى ما يَبْقى له حَسَنَةٌ، ويُحْمَلُ عليه من سيِّئاتهِمْ».

أيُّها الناسُ، إذا كنَّا نريد المحافظة علىٰ حسناتنا، فعلينا أن نترك الظلم، وما أكثر ظلمَ الإنسان لنفسه، وظلمَهُ لغيره!.

فمن ظلم اللِّسان: الغِيْبَةُ والنَّميمةُ، والكذب والبهتان، والسبُّ والشتمُ، والتنابزُ بالألقاب، والسُّخْريةُ والاستهزاءُ، والإهانةُ والتحقيرُ، والقَذْفُ والاتهامُ بغير حقٍّ، ونشرُ قالةِ السوءِ عن الناسِ، وفَضْحُ أسرارهم، إلىٰ غير ذلك من أنواع الظلم بالقول من اللسان: كشهادة الزُّور، وغيرها.

ومن ظلم الفعل والجوارح: الضربُ والقتلُ بغير حقٍّ، والسَّرِقة، والرِّشْوَة، والغشُّ، وأكلُ أموالِ الناسِ بالباطل، ومنه كذلك الزِّنىٰ، واللِّواط، والتجسُّس، والتعنُّت، وتتبُّعُ العَوْراتِ، والتلصلص علىٰ محارمِ الناسِ[(٢)].

روىٰ المُنْذريُّ في كتابه «الترغيب والترهيب» بإسنادٍ حسنٍ، وقال الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»: صحيحٌ لغيره[(٣)] من حديث عبد الله بن مسعود ـ

---

(١) البيهقيُّ، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٢٤).

(٢) انظر «حقيقة الظلم» (ص٦).

(٣) أخرجه المنذريُّ، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٢١).

رضي الله عنه - عن النبيِّ - ﷺ - قال: «إنَّ الشيطانَ قد يَئِس أنْ تُعْبدَ الأصنام في أرض العرب، ولكنَّه سيرضى منكم بدون ذلك بالمُحقَّرات، وهي المُوبقاتُ يومَ القيامة، اتقوا الظلمَ ما استطعتُمْ؛ فإنَّ العبدَ يجيءُ بالحسنات يومَ القيامة، يرى أنَّها ستُنجيْه، فما زال عَبْدٌ يقومُ يقولُ: يا ربِّ، ظلمني عبدُكَ مَظْلمةً، فيقولُ: امْحُوا منْ حسناته. وما يزال كذلك حتى ما يبقى لَهُ حسنةٌ».

وأستغفرُ الله.

الخطبة الثانية

حقيقة الظلم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأُصلِّي وأُسلِّمُ على رسولِهِ الأمينِ.

أمَّا بَعْـدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ الظلمَ من كبائر الذنُوبِ، حرَّمه الله في كتابه، بل ورد ذكره في مائةٍ وتسعين آيةً من كتاب الله الكريم، ممَّا يدلُّ على خُطورته، وقد حرَّمه الله على نفسه، وجعله بين عباده مُحرَّمًا.

ففي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث أبي ذَرٍّ - رضي الله عنه - عن النبيِّ ﷺ فيما رَوَىٰ عَنِ الله - سبحانه وتعالىٰ - أنه قال: **«يا عبادي، إني حـرَّمْتُ الظُّلمَ على نَفْسِي، وجَعَلْتُهُ بينكم مُحرَّمًا؛ فلا تظالموا»**.

والرسول - ﷺ - حذَّر من الظلم أشدَّ التحذير، وذكر أنَّ الظلمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ.

ففي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسُولُ الله - ﷺ -: **«اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فإنَّ الظُّلمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ، واتقوا الشُّحَّ؛ فإنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كان قَبْلَكُم: حَمَلَهُمْ على أنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، واستحلُّوا محارِمَهُمْ»**.

وفي «صحيح مسلم»[(٣)] من حديث أبي هُرَيرةَ - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ اللهِ - ﷺ - قـال: **«المُسلمُ أخو المسلم: لا يظلمُهُ، ولا يَخْذُلُه، ولا يَحْقِرُهُ، التقوى ها هُنا،**

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٨).

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٤).

التقوى ههُنا - ويُشير إلى صَدْرِه ثلاثَ مرَّاتٍ - بحَسْبِ امْرِئٍ من الشرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاه المُسلمَ، كُلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ: دَمُهُ، وعِرْضُهُ، ومَالُهُ».

أيُّها الناسُ، اتَّقُوا دعوةَ المظلوم؛ فإنه ليس بيْنَها وبيْنَ اللهِ حجاب، وقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ في اتقاء دَعْوةِ المظلوم.

فقد أخرج الحاكمُ في «مُسْتدركِه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[1] من حديث عبد الله بن عُمَرَ - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا دعوةَ المظلوم؛ فإنَّها تصعَدُ إلى السماء كأنَّها شَرَارَةٌ**».

وروى الطَّبرانيُّ بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ - رحمه الله - في «صحيح الترغيب والترهيب»[2] من حديث خُزَيْمة بن ثابتٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا دعوةَ المظلوم، فإنَّها تُحملُ على الغَمامِ، يقولُ اللهُ: وعِزَّتي وجلالي، لأنْصُرَنَّكِ، ولو بَعْدَ حِينٍ**».

وفي «الصحيحين»[3] من حديث ابن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما -: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بَعَث مُعاذَ بنَ جبلٍ إلى اليَمَنِ، فقال: «**اتَّقِ دعوةَ المظلومِ، فإنَّهُ ليس بيْنَها وبيْنَ الله حجابٌ**».

أيُّها الناسُ، إنَّ من الناس مَنْ يَهابُ دعوةَ الصالحين، ويتساهل في دعوة غيرهم، وقد روى الإمام أحمدُ في «مسنده» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٢٩)، وأخرجه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (٢٢٢٨).
(٢) أخرجه الطبرانيُّ، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» للألبانيِّ برقم (٢٢٣٠).
(٣) رواه البخاريُّ (١٤٩٦)، ومسلم (١٩)، واللفظ له.

الترغيب والترهيب»[١] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «دعوة المظلوم مُستجابةٌ، وإن كان فاجراً، ففُجُورُهُ على نَفْسِه».

وفي «مسند أحمدَ» - أيضًا - بسندٍ حسنٍ، حسَّنهُ الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[٢] من حديث أنس بن مالكٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «اتَّقُوا دعوةَ المظلوم، وإنْ كان كافراً؛ فإنها ليس دُونَها حِجابٌ».

أي: ليس بَيْنَها وبَيْنَ الله سِتْرٌ، أو تأخير، فالجزاء يأتي عاجلاً من الله - سبحانه وتعالىٰ -.

أيُّها الناس، إنَّ عُقوبةَ الظلمِ لَتُعجَّلُ في الدُّنيا لصاحبه، مع ما يُدَّخرُ له في الآخرة من النَّكالِ الشديد، والعذابِ الأليمِ، وذهابِ الحسناتِ.

ففي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ حسنٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن التِّرمذيِّ»[٣] قال رسول الله - ﷺ -: «ما من ذَنْبٍ أَجْدَرُ أنْ يعجِّلَ اللهُ لصاحبه العُقوبةَ في الدُّنيا - مع ما يَدَّخِرُ له في الآخرة - من البَغْيِ، وقَطيعةِ الرَّحِمِ».

أيُّها الناسُ، إنَّ شَوَاهدَ تعجيلِ عُقوبةِ الظالمين في واقع الحياة، وفي بُطُونِ الكُتبِ أكبرُ من أنْ تحتويها خُطْبةٌ، بل أكبر من أن تحتويها أَسْفَارٌ.

ففي «الصحيحين»[٤] من حديث عُروةَ عَنْ أبيه - رضي الله عنهما - أنَّ أَرْوَىٰ بِنْتَ أُويسٍ ادَّعتْ علىٰ سعيد بن زيد أنَّه أخَذَ شيئًا من أَرْضِهَا، فخاصمتْهُ، إلىٰ مَرْوَانَ بنِ

---

(١) رواه أحمد (٨٧٨١)، والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ١٣٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٢٩)، و«صحيح الجامع» (٣٣٧٧).

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٥٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٣١).

(٣) رواه الترمذي (٢٥١١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٠٣٩).

(٤) رواه البخاريُّ (٢٤٥٢) بدونِ القصَّةِ، ومسلم (١٦١٠)، واللفظ له.

الحَكَمِ، فقال سعيدٌ: أنا كُنْتُ آخُذُ مِن أرضِها شيئًا بَعْدَ الذي سمعتُ من رسول الله ﷺ ؟! . قال: وما سمعت من رسول الله - ﷺ -؟ قال: سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقولُ: «مَنْ أَخَذَ شبْرًا من الأرض ظُلْمًا، طُوِّقَهُ إلى سبْعِ أَرَضينَ». فقال له مَرْوَانُ: لا أسألُك بيِّنةً بَعْدَ هذا. فقال: اللهمَّ إنْ كانتْ كاذبةً فَعَمِّ بَصَرَها، واقْتُلْهَا في أَرْضِهَا. فما ماتَتْ حتَّى ذَهَبَ بَصَرُها، ثُمَّ بَيْنا هي تمشي في أَرضِهَا، إذْ وقعتْ في حُفْرَةٍ فَماتتْ.

وذكر الذَّهبيُّ - رحمه الله - في كتابه «الكبائر»[1] الكتاب الذي فيه حكايات ليس صحيحًا عن الذهبي، ولكن المجرد من ذلك هو الصحيح فهذه القصة ليست في الكبائر الصحيح عن الذهبي. اهـ.: أنه لما حُبِسَ خالدُ بنُ برمك وولده، في نَكْبةِ البرامكة المعروفة، قال ولدُهُ: «يا أبتي، بَعْدَ العِزِّ صِرْنا في القَيْدِ والحَبْسِ»، فقال: «يا بُنيَّ، دعوةُ مظلومٍ سَرَتْ بليلٍ، غَفَلْنا عنها، ولم يَغْفُلِ اللهُ عنها».

وقد أجاد من قال:

لا تظْلمنَّ إذا ما كُنْتَ مُقْتدرًا ... فالظُّلْمُ آخِرُهُ يأتيكَ بالنَّدَمِ
نَامَتْ عُيُونُكَ، والمظلُومُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعو عليك، وعَيْنُ الله لم تَنَمِ[2]

نسألُ اللهَ أنْ يُجنِّبَنا الظُّلْمَ، ويَرْزُقنا العَدْلَ والإنصافَ في كُلِّ الأمور، إنَّه جوادٌ كريم.

---

(١) «كتاب الكبائر» (ص١٠٧).
(٢) «بصائر ذوي التمييز» (٣/ ٥٤٣).

الأخــــلاق

الخطبة الأولى
مكـارم الأخـلاق

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْـدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليوم عَن مكارمِ الأخلاقِ، لما لها من مكانةٍ عظيمةٍ، ومنزلةٍ عاليةٍ من الدِّين، بَلْ هي الدِّينُ كُلُّهُ بل إن ذلك هو أحد أركان البعثة النبوية كما قال عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثتُ لأتمم صالح ـ أو مكارم ـ الأخلاق».

أيُّها الناسُ، إنَّ اللهَ - سبحانه وتعالىٰ - يُحبُّ بعضَ العبادِ، وكذلك جبْريلُ، وأَهْلُ السماءِ، ويجعلُ اللهُ - سبحانه وتعالىٰ - لهم وُدًّا (أي: مَودَّة)، ويُوضَعُ لهمُ القَبُولُ في الأرضِ، وذلك بفضلِ اللهِ - سبحانه وتعالىٰ -، ثمَّ بمكارمِ الأخلاقِ.

وفضائلُ مكارمِ الأخلاقِ - أيُّها الناسُ - جلَّت عَنِ الحَصْرِ، وسَوْفَ أذكرُ طَرَفًا، منها[1]:

فمن فضائلها أنَّها امتثالٌ لأمرِ الله - سبحانه وتعالى -:

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

ومن أحسنِ ما جاء في تفسير هذه الآيةِ قَوْلُ عبد الله بن الزُّبير - كما في «صحيح البخاريِّ»[2]: «أَمَرَ اللهُ نبيَّهُ ﷺ أنْ يأخذَ العَفْوَ منْ أخلاقِ النَّاسِ».

ومن فضائلها أنَّها طاعة لرسولِ الله - ﷺ -.

ففي «مسند أحمدَ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[3] من حديث أبي ذرٍّ ومُعاذٍ - رضي الله عنهما - قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «وخالقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ».

ومن فضائلها أنَّها سببٌ لمحبَّةِ الله - سبحانه وتعالى - (لصاحبها):

فقد أخرج الحاكمُ في «مستدركه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[4] من حديثِ أُسامةَ بنِ شريكٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -:

---

(١) انظر «الأخلاق بين الطبع والتطبع» للمؤلف (ص١٣، ١٥).

(٢) رواه البخاريُّ (٤٦٦٣).

(٣) رواه أحمدُ في «مسنده» (٥/ ١٣٥)، وحسنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١/ ٩٧).

(٤) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٤/ ٣٩٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ١٧٩).

«أحبُّ عبادِ اللهِ إلى اللهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا».

ومن فضائلها أنَّها سببٌ لمحبَّةِ رسولِ الله ـ ﷺ ـ (لصاحبها):

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(١)] من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «إنَّ مِن أَحَبِّكُم إليَّ، وأَقْرَبِكُم منِّي مَجْلسًا يومَ القيامة ـ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا».

ومن فضائلِها أنَّها أعظمُ سببٍ لدُخُولِ الجنَّة:

ففي «سنن ابن ماجه» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجَهْ»[(٢)] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: سُئِلَ النبيُّ ـ ﷺ ـ: ما أكثرُ ما يُدْخِلُ الجنَّة؟ قال: «التَّقْوَى، وحُسْنُ الخُلُقِ». وسُئِلَ: ما أكثرُ ما يُدْخِلُ النَّارَ؟. قال: «الأَجْوَفَانِ: الفَمُ، والفَرْجُ».

ومن فضائلِها أنَّ كمالَ الدِّينِ ـ بَعْدَ التوحيدِ ـ في حُسْنِ الخُلُقِ:

ففي «سنن أبي داودَ» بسندٍ حسنٍ صحيحٍ ـ قاله الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[(٣)] ـ من حديثِ أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «أكملُ المؤمنين إيمانًا أحْسَنُهُمْ خُلُقًا».

ومن فضائلها أنَّها أثقلُ شيءٍ في المِيزانِ:

ففي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود»[(٤)] من حديث أبي الدَّرْدَاءِ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «ما

---

(١) رواه الترمذي (٢٠١٨)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١/ ٢٢٠١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه أبو داود (٤٦٨٢)، وانظر «صحيح الجامع» (٣٩١٦).

(٤) رواه أبو داود (٤٧٩٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٠١٤).

مِنْ شيءٍ أَثْقَلُ في ميزانِ العَبْدِ المؤمنِ يَوْمَ القيامةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ».

ومن فضائلها أنها من أعظم العبادة:

ففي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[(١)] من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالتْ: سمعتُ رسولَ اللهِ - ﷺ - يقول: «إنَّ المؤمنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه دَرَجَةَ الصائمِ القائمِ».

ومن فضائلها أنَّها سببٌ لحُصولِ الخيريَّة:

ففي «الصَّحيحين»[(٢)] من حديثِ عبد الله بن عَمْرٍو - رضي الله عنهما - قال: قال رسولُ اللهِ - ﷺ -: «إنَّ من خِيارِكم أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا».

ومن فضائلها أنَّها مِنْ خَيْرِ أعمالِ العباد:

فقد أخرج البخاريُّ في «الأدب المفرد» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «غاية المرامِ»[(٣)] من حديثِ أُسامةَ بن شريك - رضي الله عنه - قال: سُئِلَ رسولُ اللهِ - ﷺ -، فقيل له: يا رسولَ الله، ما خَيْرُ ما أُعْطِيَ الإنسانُ؟ قال: «خُلُقٌ حَسَنٌ».

وروى البزَّارُ في «كشف الأستار» بسند حسن، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(٤)] من حديث أبي ذرٍّ وأبي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنهما - قالا: قال رسولُ الله ﷺ «يا أبا ذرٍّ، ألاَ أدُلُّكَ على خَصْلَتَيْنِ، هما أَخَفُّ على الظَّهْرِ، وأَثْقَلُ في الميزانِ مِنْ غَيْرِهِمَا؟». قال: بَلَى، يا رسولَ اللهِ. قال: «عليك بحُسْنِ الخلُقِ، وطُولِ الصَّمْتِ،

---

(١) رواه أبو داودَ (٤٧٩٨)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود» (٤٠١٣).

(٢) رواه البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (٢٣٢١)

(٣) رواه البخاريُّ في «الأدب المفرد» (٢٩١)، وصححه الألبانيُّ في «غاية المرام» (٢٩٢).

(٤) رواه البزار في «كشف الأستار» (٤/ ٢٢٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ٤٠٤٨).

فوالذي نَفْسُ محمد بيده، ما عَملَ الخلائقُ بمثْلهمَا».

ومن فضائلها أنَّها سببٌ لتعمير الدِّيار، وزيادة الأعمار:

ففي «مسند أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[1] من حديثِ عائشة - رضي الله عنها - قالتْ: قال رسولُ الله - ﷺ -: «صِلَةُ الرَّحِمِ، وحُسْنُ الخُلُقِ، وحُسْنُ الجوارِ - يُعَمِّرْنَ الدِّيارَ، ويَزِدْنَ في الأعمارِ».

تلك - أيُّها الناسُ - بَعْضُ فضائلِ الأخلاقِ، فعلينا أنْ نتقرَّبَ إلى الله بهذه العبادةِ العظيمة، فهي يسيرةٌ على من يسَّرَها اللهُ عليه.

والأخلاقُ - أيُّها الناسُ - على قسمين:

القسم الأول - تكون طَبْعًا، يتفضَّلُ اللهُ - سبحانه وتعالى - على بَعْضِ خَلْقِه، فيجبُلُهُمْ عليها، ويطبعُهُمْ بها من غير كسبٍ منهم ولا جهدٍ.

القسم الثاني - اكتساب يكتسبها الإنسانُ بالممارسةِ والمجاهدةِ لنفسِه، حتَّى تصيرَ طَبْعًا.

والدَّليلُ على ذلك ما جاء في «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[2] من حديث ابن عبّاسٍ - رضي الله عنهما - قال: قال رسولُ الله - ﷺ - لأَشَجِّ عَبْدِ القَيْسِ: «إنَّ فيك لَخُلُقَيْنِ، يُحبُّهما اللهُ: الحِلْمُ، والأَنَاةُ». قال: يا رسولَ الله، أهُما خُلُقانِ، تَخَلَّقْتُ بهما، أَمْ جَبَلَني اللهُ عليهما؟. قال: «بَلْ جَبَلَك اللهُ عليهما». قال: الحَمْدُ للهِ الذي جَبَلَني على خُلُقَيْنِ يحبُّهمَا اللهُ ورسولُهُ.

قال العلامةُ محمَّدُ بنُ عُثَيمين - رحمه الله - في شرحه لهذا الحديث:

«فهذا دليلٌ على أنَّ الأخلاقَ الحميدة تكون طَبْعًا، وتكونُ تَطَبُّعًا، ولكن الطَّبع -

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦/ ١٥٩)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٢/ ٣٧٦٧).

(٢) رواه أبو داود (٥٢٢٥)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود» (٤٣٥٤).

بلا شكٍّ - أحسن من التَّطبُّع؛ لأنَّ الخُلُقَ الحسَنَ إذا كان طبيعيًّا صار سجيَّةً للإنسان وطبيعةً له، ولا يحتاجُ في ممارستِه إلىٰ تَكَلُّفٍ، ولا يحتاجُ في استدعائه إلىٰ عناء ومشقَّةٍ، ولكنْ هذا فَضْلُ الله، يُؤْتيه مَنْ يشاءُ، ، ومن حُرِمَ هذا - أي من حُرِمَ الخُلُقَ علىٰ سبيلِ الطَّبع - فإنه يُمكنُه أنْ ينالَهُ علىٰ سبيلِ التَّطبُّعِ، وذلك بالمَرَانةِ والمُمارسة»[١].

أيُّها الناسُ، إنه يَجبُ علينا مُجاهدةُ أنفسِنا، وحَمْلُها علىٰ مكارمِ الأخلاقِ، فنحملُها علىٰ الصَّبْرِ، ونُلْجِمُها بالحِلْمِ، ونُعوِّدُها علىٰ الجُودِ.

ومَنْ جَاهَدَ نفسَهُ في اللهِ بصدْقٍ، فإنه يَحْصُلُ له - مِنَ الهدايةِ، والمعونةِ، والتوفيقِ علىٰ تحصيلِ مطْلوبِه - أمورٌ إلهيَّةٌ خارجةٌ عنْ مدارِكِ اجتهادِه، ويُؤَيِّدُ ذلك قولُ الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وأخرج الطَّبرانيُّ في «الكبير» بسند حسن، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[٢] من حديث مُعاويةَ - رضي اللهُ عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «إنما العِلْمُ بالتعلُّمِ، وإنما الحِلْمُ بالتَّحَلُّمِ، ومَنْ يَتَحرَّ الخَيْرَ يُعْطَهُ، ومن يتَّقِ الشَّرَّ يوقَهُ».

أيُّها الناس، إنَّ لاكتسابِ مكارمِ الأخلاقِ أسبابًا، فمنها:

الإخلاصُ:

فالمُخْلصُ إنْ أَعْطَىٰ فعطاؤُهُ للهِ، وإنْ مَنَعَ فَمَنْعُهُ للهِ، وإن أَحَبَّ فحبُّهُ للهِ، وإنْ أَبْغَضَ فَبُغْضُهُ للهِ، وإنْ صَبَرَ فَصَبْرُهُ للهِ، وإنْ غَضِبَ فَغَضَبُهُ للهِ، وهكذا في شَأْنِه كُلِّه.

---

(١) «مكارم الأخلاق» لابن عثيمين (ص١٣).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٩٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٢٣٢٨).

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

ومِنْ أسبابِ اكتسابِ الأخلاقِ العِلْمُ:

فمن أرادَ الأخلاقَ، فليعتمدْ علىٰ كتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ لاشتمالهما علىٰ جميعِ الفضائلِ.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

ومِنْ أسبابِ اكتسابِ مكارمِ الأخلاقِ التأسِّي بالنَّبيِّ ـ ﷺ ـ:

فالنبيُّ ﷺ هو الأُسوةُ الحَسَنَةُ، الذي أَمَرَنا اللهُ بالتأسِّي به في أقوالِهِ، وأفعالِهِ، وأحوالِهِ.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال العلامةُ ابنُ حَزْمٍ ـ رحمه الله ـ: «من أرادَ خَيْرَ الدُّنيا والآخرةِ وحِكْمَةَ الدُّنيا، وعدلَ السِّيرة، والاحتواءَ علىٰ محاسنِ الأخلاقِ كُلِّها، واستحقاقَ الفضائلِ بأَسْرِها ـ فَلْيَقتد بمحمَّدٍ ﷺ، ولْيَسْتَعْمِلْ أخلاقَهُ وسيره ما أَمْكَنَهُ، أعانَنَا اللهُ علىٰ الاتِّساءِ به بمنِّه، آمين»[١].

ومِنْ أسبابِ اكتسابِ مكارمِ الأخلاقِ الدُّعاءُ:

والدُّعاءُ سببٌ عظيمٌ لنيلِ مكارمِ الأخلاقِ.

وقد كان النبيُّ ـ ﷺ ـ كثيرَ الضراعةِ إلىٰ ربِّه أنْ يَرْزُقَهُ حُسْنَ الخُلُقِ، فكان يقولُ في

---

(١) «الأخلاق والسير» (٩١).

دعاءِ الاستفتاحِ مِنْ صلاةِ الليلِ - كما في «صحيح مسلم»[١] من حديث عليٍّ بنِ أبي طالبٍ - رضي الله عنه -: **«اللهُمَّ اهْدني لأحْسن الأخلاقِ، لا يَهدِي لأَحْسَنِها إلا أنت، واصْرِفْ عنِّي سيِّئَها، لا يَصْرِفُ عنِّي سيِّئَها إلا أنت»**.

أَيُّها الناسُ، أقولُ ما تسمعون، وأسألُ اللهَ أنْ يُوَفِّقَنا جميعًا لمكارمِ الأخلاقِ، ويَسْتعمِلَنا في طاعتِهِ.

وأستغفرُ اللهَ.

---

(١) رواه مسلم (٧٧١).

الخطبة الثانية

مقتطفات من الشمائل المحمدية

الحَمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المرسلينَ، وعلى آلهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، لا شكَّ أنَّ نبيَّنا محمَّدًا ـ ﷺ ـ خيرُ البريَّةِ، وأزكى البشريَّةِ، وأجلُّها قَدْرًا، وأَحْسَنُها خُلُقًا.

اختارَهُ اللهُ على عِلْمٍ، وأكرمَهُ بالرِّسالةِ، وأَيَّدَهُ بالوَحْيِ.

جَبَلَهُ على حميدِ الخِلالِ، وفَطَرَهُ على كريمِ الخِصالِ، ثمَّ أَدَّبَهُ، فأَحْسَنَ تأْديبَهُ، فكان خُلُقُهُ القُرآن[1].

ففي «صحيح مسلم»[2] مِنْ حديثِ سَعْدِ بنِ هشامِ بنِ عامرٍ أنه سَأَلَ عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ فقال: «يا أمَّ المُؤمنين، أنْبِئيني عَنْ خُلُقِ رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ» قالتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ القُرآنَ؟» قلتُ: بلى. قالتْ: «فإنَّ خُلُقَ نَبيِّ اللهِ ـ ﷺ ـ كان القُرْآنَ».

قال النَّوويُّ ـ رحمه الله ـ في معنى الحديث: «مَعْنَاهُ: العَمَلُ به، والوُقُوفُ عندَ حُدُودِهِ، والتَّأَدُّبُ بآدابِهِ، والاعتبارُ بأمثالِهِ وقَصَصِهِ، وتَدَبُّرُهُ، وحُسْنُ تِلاوتِهِ».

وإنما أدَّبه القُرآنُ بِمثْلِ قولِهِ ـ تعالى ـ: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٩].

---

(١) انظر «سوء الخلق» لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص١٦٧).

(٢) رواه مسلم (٧٤٦).

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠].

وقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

وقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

وقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

وقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

وقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً﴾ [الحجرات: ١٢].

وأمثالُ هذه التأديباتِ في القرآنِ كثيرٌ، لا تكادُ تُحصَرُ.

وهو ـ ﷺ ـ المقصودُ الأوَّلُ بالتأديب والتهذيبِ، ثمَّ مِنْهُ يُشرِقُ النُّورُ على الخَلْقِ كافَّة، فإنَّه أُدِّبَ بالقُرآنِ، وأَدَّبَ الخَلْقَ به، ثمَّ لَمَّا كَمَّلَ اللهُ له خُلُقَهُ، أثنى عليه، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

فَسُبْحانَهُ ما أَعْظَمَ شَأْنَهُ، وأَتَمَّ امتنانَهُ، انظرْ إلىٰ عظيم فَضْلِهِ، وعَمِيمِ لُطْفِهِ، كيف أعطىٰ، ثمَّ أثنىٰ؟! (١).

أيُّها الناسُ، لقدِ اجتمعتْ في رسولِ الله ﷺ خِصالُ الخَيْرِ: مِنْ حَياءٍ، وحِلْمٍ، ورحمةٍ، وشفقةٍ، وشجاعةٍ، وشهامةٍ، وجُودٍ، وكرمٍ، وصِدْقٍ، وبِرٍّ، وأمانةٍ، وتواضُعٍ، ولينِ جانبٍ، وكرمِ معشَرٍ، وإكرامِ يتيمٍ، وحُسْنِ سريرةٍ، وعفَّةٍ، وطهارةٍ، ومُرُوءَةٍ، وسائرِ خِصالِ الخَيْرِ.

وقد أقسم اللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علىٰ أنَّ نبيَّهُ علىٰ خُلُقٍ عظيمٍ، فقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۞ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۞ وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۞ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ١-٤].

وأثنىٰ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علىٰ نبيِّه ـ ﷺ ـ غايةَ الثَّناء بقولِه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وبيَّنَ اللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ شَفَقَةَ هذا النَّبيِّ الكريم ـ ﷺ ـ علىٰ أُمَّتِه بقولِه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في شَأْنِ هذا النَّبيِّ الكريم ـ ﷺ ـ وأُمَّتِه: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وحثَّ اللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ المؤمنين علىٰ التَّأسِّي به ـ ﷺ ـ، فقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فعلينا ـ أيُّها الناسُ ـ بالتأسِّي برسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ وطاعتِهِ، وإدامةِ النَّظرِ في سِيرتِه؛

---

(١) انظر «إحياء عُلُوم الدين» (٢/ ٣٥٧، ٣٥٨).

لنقتطفَ منها مكارمَ الأخلاقِ، ففي ذلك عزُّ الدُّنيا، وشَرَفُ الآخرةِ.

قال ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ: «بحَسْبِ مُتابعةِ الرَّسُولِ ﷺ تكونُ العزَّةُ والكفايةُ والنُّصْرةُ، كما أنَّ بحَسْبِ مُتابعتِه تكونُ الهدايةُ والفَلاحُ والنَّجاةُ، فاللهُ ـ سبحانه ـ علَّق سعادةَ الدَّارَيْنِ بمتابعتِه، وجَعَلَ شقاوةَ الدَّارَيْنِ في مُخالفتِه، فلأتباعِه الهدىٰ والأمْنُ، والفلاحُ والعِزَّةُ، والكفايةُ والنُّصْرةُ، والولايةُ والتأييدُ، وطِيبُ العَيْشِ في الدُّنيا والآخرة، ولمخَالفيه الذِّلَّةُ والصَّغارُ، والخَوْفُ والضلالُ، والخِذْلانُ والشَّقاءُ في الدُّنيا والآخرةِ»[1].

اللَّهُمَّ اهْدِنا لأَحْسَنِ الأخلاقِ، لا يَهْدِي لأحسنِها إلا أنتَ، واصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَها، لا يَصْرِفُ عنَّا سيِّئَها إلا أنت. اللهُمَّ جَنِّبْنَا مُنْكَرات الأخلاقِ، والأعمالِ، والأهْواءِ، والأدواءِ، اللهُمَّ زَيِّنَّا بزينةِ الإيمانِ، واجعلْنا هُداةً مُهْتَدينَ.

(١) «زاد المعاد» (١/ ٣٩).

الخطبة الأولى

بر الوالدين

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عن «بر الوالدَيْنِ»، وبرُّ الوالدين مِنْ كمالِ الإيمانِ، وأفضلِ العباداتِ، وأجلِّ الطاعَاتِ، وفضائلُهُ لا تكاد تُحْصَرُ.

فمن فضائلِ برِّ الوالدَيْنِ منْ كتابِ اللهِ ما يأتي:

أنَّ اللهَ ـ سبحانه وتعالى ـ جَعَلَ برَّ الوالدين قرينَ التوحيدِ في أكثر مِنْ آيةٍ، فمنها:

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

ففي هذه الآياتِ جَعَلَ اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ حُرْمَةَ العُقُوقِ كحُرمةِ الإشراكِ سواءً بسواءٍ، فهو ـ سبحانه وتعالى ـ حرَّم الشِّرْكَ، وأمَرَ بالإحسانِ، ومُقْتَضَى ذلك أنْ يَأْمُرَ بالتوحيدِ، ويُحَرِّمَ العُقُوقَ، فكان الشِّرْكُ مُلازمًا للعُقُوقِ، والتوحيدُ قرينَ الإحسانِ.

ومن فضائلِ برِّ الوالدين أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ قَرَنَ شُكْرهُما بشُكْرِهِ، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤].

ومن فضائلِ برِّ الوالدين أنَّ الرَّسُولَ ـ ﷺ ـ أخْبَرَ أنَّ بِرَّ الوالِدَيْنِ أَفْضَلَ الأعمالِ بَعْدَ الصلاةِ، التي هي أعظمُ دعائِمِ الإسلام.

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديثِ عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: سألتُ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ: أيُّ العَمَلِ أحبُّ إلى اللهِ؟ قال: «الصَّلاةُ على وَقْتِها». قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قال: «برُّ الوالدين» قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قال: «الجهادُ في سبيلِ الله».

---

(١) رواه البخاريُّ (٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥).

ومن فضائلِ برِّ الوالديْنِ أنَّ الرَّسُولَ ـ ﷺ ـ أخبر أنَّ برَّ الوالدين سببٌ لدُخُولِ الجنَّةِ، ففي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**رَغِمَ أنْفُهُ** (أي: لَصِقَ بالرَّغامِ، وهو التُّرابُ، والعبارة كناية عن الذُّلِّ والصَّغار)، **ثمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ!**». قيل: مَن يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**مَنْ أَدْرَكَ والدَيْهِ عنْد الكِبَرِ ـ أحَدهما أو كلَيْهما ـ ثمَّ لم يَدْخُلِ الجنَّةَ**».

ومعنى الحديث: أنَّ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أو أحَدَهُما فلمْ يَبَرَّهُما، فمات، دخلَ النَّارَ.

وأخرج الإمام إسماعيلُ بنُ إسحاق في رسالته «فضل الصلاة على النبيِّ». بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ[(٢)] في تعليقه على الرِّسالةِ مِنْ حديثِ أَنَسِ بنِ مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: ارتقى النبيُّ ـ ﷺ ـ المِنْبَرَ دَرَجةً، فقال: «آمينَ». ثمَّ ارتقى الثانيةَ، فقال: «آمينَ». ثمَّ ارْتَقَى الثالثةَ، فقال: «آمينَ». ثمَّ استوى فَجَلَس، فقال أصحابُهُ: عَلامَ أمَّنْتَ، يا رسولَ اللهِ؟.

قال: «**أتاني جِبْريلُ، فقال: رَغِمَ أَنْفُ امرئٍ، ذُكِرْتَ عندَهُ، فلمْ يُصلِّ عليك. فقلتُ: آمينَ. فقال: رَغِمَ أَنْفُ امرئٍ أَدْرَكَ أَبَوَيْه، فلم يَدْخُلِ الجنَّةَ. فقلتُ: آمينَ. فقال: رَغِمَ أَنْفُ امرئٍ، أَدْرَكَ رَمَضَانَ، فلمْ يُغْفَرْ لَهُ. فقلتُ: آمينَ**».

وأخرج الإمامُ أحمدُ في «مسندِهِ»، والحاكمُ في «مستدرِكِهِ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(٣)] من حديث عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالتْ:

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥١).

(٢) رواه البزار (٣١٦٨)، وابن شاهين (٥، ٧، ٨)، وإسماعيلُ القاضي في «فضل الصلاة على النبي» (ص ٣٠، ٣٣)، وصححه الألباني في تعليقه على رسالةِ «فضل الصلاة على النبي» لإسماعيل القاضي ـ رحم الله الجميع ـ.

(٣) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٣/ ٢٢٩)، وصححه ووافقه الذهبيُّ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٧١).

قال رسولُ الله - ﷺ -: «دخلتُ الجنَّةَ، فسمعتُ فيها قراءةً، فقلتُ: مَنْ هذا؟ قالوا: حارثةُ بنُ النُّعمانِ، كذالكُمُ البرُّ، كَذالكُمُ البرُّ!» وكان أبرَّ الناسِ بأُمِّهِ.

ومن فضائلِ برِّ الوالدَيْن أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - أخبر أنَّ برَّ الوالدَيْنِ جِهادٌ، بل أفضلُ من الجهادِ، وأخبر أنَّ الجنَّةَ تَحْتَ أقدامِ الأُمَّهاتِ.

ففي «الصحيحين»[1] من حديث عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ - رضي الله عنهما - قال: جاء رجلٌ إلىٰ نبيِّ اللهِ - ﷺ - فاستأذَنَهُ في الجهاد، فقال: «أحَيٌّ والداكَ؟» قال: نَعَمْ. قال: «ففيهما فجاهِدْ».

وفي رواية لمسلم قال: أقْبَلَ رجلٌ إلىٰ رسولِ اللهِ - ﷺ -، فقال: أُبايعُكَ علىٰ الهِجْرَةِ والجِهادِ، أبتغي الأَجْرَ مِنَ اللهِ، قال: «فَهَلْ مِنْ والدَيْكَ أحَدٌ حَيٌّ؟» قال: نَعَمْ، بلْ كِلاهما. قال: «فتبتغي الأَجْرَ مِنَ اللهِ؟» قال: نَعَمْ. قال: «فارجِعْ إلى والدَيْكَ، فأحْسِنْ صُحْبَتَهُما».

وأخرج أبو داودَ بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[2] منْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو - رضي الله عنهما - قال: جاءَ رجلٌ إلىٰ رسولِ اللهِ - ﷺ - فقال: جئتُ أُبايِعُكَ علىٰ الهِجْرةِ، وتركْتُ أَبَوَيَّ يَبْكيانِ، فقال: «ارجِعْ إليهما؛ فَأَضْحِكْهُما كما أَبْكيتَهُما».

وأخرج أبو داودَ بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[3] مِنْ حديثِ أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي اللهُ عنه - قال: هاجَرَ إلىٰ رسولِ اللهِ - ﷺ - رجلٌ مِنْ أَهْلِ اليمنِ، فقال له رسولُ اللهِ - ﷺ -: «هجرتَ الشِّرْكَ،

---

(١) رواه البخاريُّ (٥٩٧٢)، ومسلم (٢٥٤٩).

(٢) رواه أبو داود (٢٥٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٨١).

(٣) رواه أبو داود، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: صحيح لغيره (٢٤٨٢).

ولكنَّهُ الجهَادُ، هَلْ باليمنِ أبَوَاكَ؟» قال: نَعَمْ. قال: «أَذِنَا لَكَ؟» قال: لا، فقال رسُولُ اللهِ - ﷺ -: «ارجعْ إلى أَبويْكَ، فإنْ فَعَلاَ، وإلاَّ فَبِرَّهُمَا».

وأخرج النَّسائيُّ، وابنُ ماجَهْ بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح ابن ماجَهْ»(١) من حديثِ مُعاويةَ بن جاهمةَ السُّلَميِّ - رضي الله عنه - أنَّ جاهمة جاءَ إلى النبيِّ - ﷺ - فقال: يا رسولَ اللهِ أَرَدْتُ أنْ أَغْزُوَ، وقدْ جِئْتُ أستشيرُكَ. فقال: «هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟».

قال: نَعَمْ. قال: «فَالْزَمْها؛ فإنَّ الجنَّةَ عنْدَ رِجْلِها».

أيها الناسُ، تقدَّم فَضْلُ الوالدَيْنِ كلَيْهما، فأُحبُّ أن أُنبِّهَ إلى أنَّ الأُمَّ أحقُّ الناسِ بحُسْنِ الصُّحْبةِ لأدلَّةٍ، منها:

ففي «الصحيحين»(٢) من حديثِ أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسولَ الله، مَنْ أحقُّ النَّاسِ بحُسْنِ صَحَابتي؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثُمَّ مَن؟. قال: «أُمُّكَ». قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «ثُمَّ أَبُوكَ».

قال النَّوويُّ - رحمه الله -: «وفيه الحثُّ على برِّ الأقاربِ، وأنَّ الأُمَّ أحقُّهم بذلك، ثُمَّ بَعْدَها الأَبُ، ثُمَّ الأَقْرَبُ فالأقربُ، قال العلماء: وسببُ تقديمِ الأُمِّ كَثْرةُ تَعَبِها عليه، وشفقتها وخدمتها، ومُعاناة المشاقِّ في حَمْله، ثُمَّ وَضْعه، ثُمَّ إرضاعِهِ، ثُمَّ تربيتِهِ، وخِدْمتِهِ، وتَمْريضِهِ، وَغيرِ ذلك.

ونقل الحارثُ المحاسبي إجماعَ العُلماءِ على أنَّ الأُمَّ تَفضلُ في البِرِّ على الأبِ»(٣).

---

(١) النسائي (٦/ ١١)، وابن ماجه (٢٧٨١)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٢٤١).

(٢) رواه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٥/ ٤١٠).

(٣) «شرح صحيح مسلم» (٥/ ٤١٠).

وأخرج ابن ماجَهْ في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجه»[١] من حديث المِقْدامِ بنِ مَعْدِ يْكَرِبَ - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بأُمَّهاتِكم (ثلاثًا) وإنَّ اللهَ يُوصيكُمْ بآبائكم، إنَّ اللهَ يُوصيكُمْ بالأقربِ فالأقْربِ».

والوالدُ - أيضًا - له حقٌّ عظيمٌ، لا يقلُّ أهمِّيَّةً عن حقِّ الأُمِّ. فقد أخرج الإمامُ التِّرْمذيُّ بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[٢] من حديثِ أبي الدَّرْداءِ - رضي الله عنه - أنَّ رجلاً أتاهُ فقال: إنَّ لي امرأةً، وإنَّ أُمِّي تَأْمُرُني بطلاقِها. قال أبو الدَّرْدَاء: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «الوالدُ أَوْسَطُ أبوابِ الجنَّة، فإنْ شئْتَ فأضِع ذلك البابَ، أو احْفَظْهُ».

قال بعضُ أهلِ العلمِ: يعني أنَّ برَّ الوالدَيْنِ يُدخِلُ الشَّخْصَ مِنْ أَوْسَطِ أبوابِ الجنَّةِ.

وأخرج الإمامُ مسلمٌ[٣] مِنْ حديثِ أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لا يَجْزِي ولَدٌ والدًا، إلا أنْ يجِده مَمْلُوكًا، فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ».

قال الإمام النَّوويُّ: «أي: لا يُكافِئُه بإحسانِه وقضاءِ حَقِّه إلا أنْ يُعْتِقَهُ».

وأخرج الإمام التِّرمذيُّ في «سننه»، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح التِّرمذيِّ»[٤] مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بنِ عَمرٍو - رضي الله عنهما - عَنِ النَّبيِّ - ﷺ - قال: «رِضَا الرَّبِّ في رِضَا الوالدِ، وسَخَطُ الرَّبِّ في سَخَطِ الوالدِ».

---

(١) أخرجه ابن ماجَهْ (٣٦٦١)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٩٥٤).
(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (١٩٠٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٤٥).
(٣) أخرجه مسلم (١٥١٠).
(٤) رواه الترمذي (١٨٩٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (١٥٤٩).

أَيُّها الناسُ، تلك بَعْضُ فضائلِ بِرِّ الوالدَيْنِ، وفيما يأتي خُطُورةُ عُقُوقِ الوالدَيْنِ؛ كي نحذرَ منها.

أَيُّها الناسُ، اعلموا أنَّ عُقُوقَ الوالدَيْنِ مِنْ أكبرِ الكبائرِ لأدلَّة، منها:

ففي «الصحيحين»[(١)] مِنْ حديثِ أبي بَكْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «ألا أُنَبِّئُكُمْ بأكبرِ الكبائرِ (ثلاثًا)؟». قُلْنا: بَلَىٰ، يا رسولَ الله. قال: «الإشراكُ بالله، وعُقُوقِ الوالدَيْنِ» وكان مُتَّكِئًا، فجلس فقال: «ألاَ وقولُ الزُّور، وشَهادةُ الزُّور، ألاَ وقَوْلُ الزُّورِ، وشَهادةُ الزُّورِ». فما زال يُكَرِّرُها، حتَّىٰ قُلْنا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

وفي «الصحيحين»[(٢)] ـ أيضًا ـ مِنْ حديثِ أَنَسٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: ذَكَرَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ الكبائرَ ـ أو سُئِلَ عَنِ الكبائرِ ـ فقال: «الشِّرْكُ بالله، وقَتْلُ النَّفْسِ، وعُقُوقُ الوالدَيْنِ». فقال: «ألا أُنَبِّئكُم بأكبرِ الكبائرِ؟» قال: «قَوْلُ الزُّورِ ـ أو شَهَادةُ الزُّورِ». قال شُعبةُ: وأكبرُ ظنِّي أنَّه قال: «شَهَادةُ الزُّورِ».

قال بَعضُ أهْلِ العلْمِ: «فجاء العُقُوقُ ـ في ترتيبِ الجرائمِ ـ بَعْدَ الشِّرْكِ باللهِ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، فكما أنَّ برَّ الوالدَيْنِ جاءَ بعد الأمْرِ بالتوحيدِ ـ في أعمالِ البرِّ ـ فكذلك في المُقابلِ جاء النَّهيُ عَنِ العُقُوقِ، وبيانُ خَطَرِهِ بَعْدَ النهي عَنِ الشِّرْكِ».

وفي «الصحيحين»[(٣)] مِنْ حديثِ المُغيرةَ بنِ شُعْبةَ عَنِ النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «إنَّ اللهَ حَرَّم عليكم: عُقُوقَ الأُمَّهاتِ، ومَنعًا وهاتِ، ووَأْدَ البَنَاتِ، وكَرِهَ لكم: قِيلَ وقَالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وإضاعةَ المالِ».

---

(١) رواه البخاريُّ (٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧).

(٢) رواه البخاريُّ (٥٩٧٧)، ومسلم (٨٨).

(٣) رواه البخاريُّ (٥٩٧٥)، ومسلم (٥٩٣).

وفي «صحيح البخاريِّ»[١] مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العاصِ - رضي الله عنهما - عَنِ النبيِّ - ﷺ - قال: «الكبائرُ: الإشراكُ بالله، وعُقُوقُ الوالديْنِ، وقَتْلُ النَّفْسِ، واليَمينُ الغَمُوسُ».

وأستغفر الله.

(١) رواه البخاريُّ (٦٦٧٥).

الخطبة الثانية

آدابُ التعامُل مع الوالدين

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، وأُصلِّي وأُسلِّمُ على أشرفِ الأنبياءِ والمُرْسلين، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدِّينِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّم الحديثُ معكمْ حَوْلَ فَضْلِ برِّ الوالدَيْنِ، مع ذِكْر أنَّ برَّ الوالديْنِ جاء في القرآنِ الكريمِ بَعْدَ الأمْرِ بالتوحيدِ، وذكرتُ عُقُوقَ الوالدينِ، وأنَّ عُقُوَق الوالدَيْنِ جاء بَعْدَ النَّهْي عَنِ الشِّرْكِ باللهِ.

والآنَ - أيُّها الناسُ - حديثي معكمْ حَوْلَ أدبِ التعامُلِ مَعَ الوالدَيْنِ.

فمن الأَدَب - أيُّها الناسُ - ألاَّ يُحِدَّ الرَّجُلُ النَظَرَ إلى أَبَوَيْهِ، ولا يَرْفَعَ صوتَهُ عليهما، ولا يسبقهُما بحديثٍ، ولا يجلسَ أمامَهُما وهُما قِيامٌ.

ففي صحيح البخاريِّ[1] من حديثِ المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ ومَرْوَانَ، فذكرا الحديثَ، وفيه: «وإذا تكلَّم - يعني رسولَ اللهِ - ﷺ - خَفَضُوا - أي الصحابةُ - أصواتَهُمْ عندَهُ، وما يُحدُّون إليه النَّظرَ تعظيماً له».

وهذا ابنُ عُمَرَ - رضي الله عنهما - لا يتكلَّم لوجودِ مَن هم أكبرُ سنًّا منه، ففي «الصحيحين»[2] من حديث ابنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قال: كنَّا عندَ النَّبيِّ - ﷺ -، فأُتِيَ بجُمَّارٍ، فقال: «إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرةً، مثلُها كَمَثَلِ المُسْلِم» فأردْتُ أنْ أقولَ: هي النّخْلَةُ، فإذا أنا أصغرُ القومِ؛ فَسَكَتُّ، قال النَّبيُّ - ﷺ -: «هي النَّخْلَةُ».

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٧٣١).

(٢) رواه البخاريُّ (٧٢)، ومسلم (٢٨١١).

وذكر الذَّهبيُّ في السِّيَر[1] عن هشام بنِ حسَّانَ قال: حدَّثَتْني حَفْصَةُ بنْتُ سيرينَ قالتْ: «كانتْ والدةُ محمَّدِ بن سيرين حجازيَّةً، وكان يُعْجِبُها الصِّبْغُ، وكان محمَّد إذا اشترىٰ لها ثوبًا، اشترىٰ أَلْيَنَ ما يَجِدُ، فإذا كان عِيدٌ صَبَغَ لها ثيابًا، وما رأيتُهُ رفع صَوْتَهُ عليها، كان إذا كلَّمها كالمُصْغِي».

ومن الأدب مع الوالدين الطاعةُ بالمعروف، فتجبُ طاعتُهما، واجتنابُ معصيتهما، وأنْ تُقدَّمَ طاعتُهما علىٰ طاعةِ كُلِّ أحدٍ، ما لم يأمُرا بمعصيةِ اللهِ ورسولِهِ ـ ﷺ ـ إلا الزَّوْجة، فإنَّها تُقَدِّمُ طاعةَ زوجها علىٰ طاعةِ والدَيْها.

ففي «مسند أحمدَ» بإسنادٍ صحيحٍ[2] منْ حديثِ حَنْظَلَةَ بنِ خُوَيْلدٍ العنبريِّ قال: بَيْنَما أنا عندَ مُعاويةَ إذ جاءَهُ رَجُلانِ، يختصمانِ في رأْسِ عَمَّارٍ، يقول كُلُّ واحدٍ منهما: أنا قَتَلْتُهُ، فقال عبدُ الله بْنُ عَمْرٍو: لِيَطِبْ به أحدُكما نَفْسًا لصاحبه؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقولُ: «**تَقْتُلُهُ الفئَةُ الباغيةُ**» قال مُعاويةُ: فما بالُك مَعَنا؟! قال: إنَّ أبي شَكَاني إلىٰ رسولِ الله ـ ﷺ ـ فقال: «**أَطِعْ أباكَ ما دام حيًّا، ولا تَعْصِه**»، فأنا معكم، ولستُ أُقاتلُ. فعبدُ الله بنُ عَمْرٍو ـ رضي الله عنهما ـ أطاع أباهُ في المعروفِ، لكنَّهُ لم يُقاتلِ المُسلمين، ولم يرفَعْ سَيْفَهُ عليهم.

وفي «الصحيحين»[3] من حديث عليِّ بن أبي طالبٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**لا طاعةَ في معصيةِ الله، إنَّما الطاعةُ في المعروفِ**».

ومن الأدبِ مَعَ الوالدَينِ خَفْضُ الجَنَاحِ:

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾ [الإسراء: ٢٤].

(١) «سير أعلام النُّبلاءِ» (٤/ ٦١٩).
(٢) رواه أحمدُ في «مسنده» (٢/ ١٦٤).
(٣) تقدَّم تخريجه.

أخرج البخاريُّ في «الأدب المفرد» بإسنادٍ صحيحٍ(١) عن عُروةَ بنِ الزُّبيرِ قال: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ قال: «لا تمتنعْ مِن شيءٍ أحبَّاهُ».

ومن الأدبِ مع الوالديْنِ الفَرحُ بأوامرِهما، وتَرْكُ التَّضجُّرِ والتَّأَفُّفِ منهما.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٤].

ومن الأدب معهما المُصاحبةُ بالمعروف، حتَّىٰ ولو كانا كافرين، قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] قال أبو اللَّيْث السَّمَرْقَنْديُّ: «المُصاحبةُ بالمعروفِ أنْ يُطْعِمَهُما إذا جاعا، ويكْسوهُما إذا عَريا، ومِنْ حُقُوقِهما خِدْمتُهما إذا احتاجا - أو أحدُهُمَا - إلىٰ خِدْمةٍ، وإجابةُ دعوتهما، وامتثالُ أمْرِهمَا - ما لم يكن معصيةً - والتكلُّمُ معهُما باللِّينِ وألا يَدْعُوهُما باسْمِهما، وأن يَمْشي خَلْفَهُما، وأنْ يدْعوَ اللهَ لهُما بالمغفرة»(٢).

ففي «الصحيحين»(٣) مِنْ حديثِ أسماءَ - رضي الله عنها - قالتْ: قَدِمَتْ عليَّ أُمِّي - وهي مُشْركةٌ - في عهد قريش إذْ عاهدهُمْ، فاسْتفتَيْتُ رسول الله - ﷺ -، فقلت: يا رسول الله: قَدِمَتْ عليَّ أُمِّي وهي راغبةٌ (أي: راغبة فيما عندي، تسألُني البرَّ والإحسانَ إليها)، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قال: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّك».

ومن الأدبِ مع الوالديْنِ الاستغفارُ لهما، وطَلَبُ الرَّحْمةِ لهما في حياتِهما، وبَعْدَ مماتِهما.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

---

(١) «الأدب المفرد» (٩).
(٢) «تنبيه الغافلين» (١/ ١٣٧)، و«غذاء الألباب» (١/ ٣٨٩).
(٣) رواه البخاريُّ (٥٩٧٨)، ومسلم (١٠٠٣).

فعلينا - أيُّها الناسُ - أنْ نستغفر لوالدينا ؛ فإنَّ العَبدَ إذا مات ، نَفَعَهُ استغفارُ وَلَدِه له .

أخرج ابن ماجَهْ في «سننه» ، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح ابن ماجَهْ»[(١)] من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال : قال رسولُ الله - ﷺ -: «إنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ للعَبْدِ الصَّالحِ في الجنَّة، فيقولُ: يا ربِّ، أنَّى لي هذه؟! فيقولُ: باستغفارِ وَلَدِكَ لَكَ» .

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] منْ حديثِ أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال : قال النبيُّ - ﷺ - «إذا ماتَ ابنُ آدَمَ، انقطعَ عمَلُهُ إلا مِنْ ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو لَهُ» .

ومن الأدب مع الوالدَينِ أداءُ الدَّيْنِ عنهما، والتَّصدُّق عنهما ، والصَّوم عنهما - إذا ماتا وعليهما صيام - والإحسانُ إلى مَنْ كان بينَهُ وبينَهُما مودَّةٌ .

ففي «صحيح البخاريِّ»[(٣)] من حديثِ ابنِ عباسٍ - رضي الله عنهما - أنَّ امرأةً مِنْ جُهَينَةَ ، جاءتْ إلى النبيِّ - ﷺ - فقالتْ : إنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أن تَحُجَّ ، فلم تَحُجَّ حتَّى ماتتْ ، أفَأَحجُّ عنْها؟ قال : «نَعَمْ، حُجِّي عنها، أرَأَيْتِ لو كان على أُمِّك دَيْنٌ أكُنْتِ قاضيتَهُ؟، اقْضُوا اللهَ، فاللهُ أحَقُّ بالوَفَاء» .

وفي «الصحيحين»[(٤)] منْ حديثِ عائشةَ - رضي الله عنها - أنَّ رجلاً قال للنَّبيِّ ﷺ : إنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُها ، وأُراها (أي : أظنُّها) لو تكلَّمتْ تصدَّقَتْ ،

---

(١) أخرجه ابن ماجَهْ (٣٦٦٠)، وحسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٩٥٣) .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) رواه البخاريُّ (١٨٥٢) .

(٤) رواه البخاري (٢٧٦٠)، ومسلم مع النووي (٤/ ١٦٦) .

أَفَأتصدَّقُ عنها؟ قال: «نَعَمْ، تصدَّقْ عنها».

وأخرج البخاريُّ في «صحيحه»[١] مِنْ حديثِ ابنِ عباسٍ - رضي الله عنهما - أنَّ رجلاً قال لرسولِ الله - ﷺ -: إنَّ أُمَّهُ تُوفِّيَتْ، أَيَنْفَعُها إنْ تصدَّقتُ عنها؟ قال: «نَعَمْ» قال: فإنَّ لي مِخْرَافًا، فأنا أُشْهِدُكَ أنِّي قَدْ تَصدَّقْتُ به عنها.

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالتْ: قال رسول الله - ﷺ -: «من مات وعليه صيامٌ صامَ عنه وَلِيُّهُ».

وفي «صحيح مسلم»[٣] مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما -: أنَّ رجلاً مِنَ الأعرابِ لَقِيَهُ بطريقِ مكَّةَ، فسلَّمَ عليه عَبْدُ اللهِ، وحَمَلَهُ على حِمارٍ، كان يَرْكَبُه، وأعْطَاهُ عِمامةً، كانتْ على رأسه، فقال ابْنُ دينارٍ: فقلنا له: أصْلَحَكَ اللهُ، إنهُمْ أعرابٌ، وإنَّهُمْ يَرْضَوْنَ باليسير! . فقال عبدُ اللهِ: إنَّ أبَا هذا كان وُدًّا لعُمَرَ بنِ الخطَّابِ (ومعنى وُدًّا أي: صديقًا مِنْ أهلِ مودَّتِه)، وإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ - ﷺ - يقولُ: «إنَّ أَبَرَّ البِرِّ صِلَةُ الوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيه».

ربَّنا اغفرْ لنا ولوالدينا، وارحمْنا، إنك أنت الغفورُ الرحيمُ.

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٧٧٠).

(٢) رواه البخاريُّ (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧).

(٣) رواه مسلم (٢٥٥٢).

الخطبة الأولى

الصبر الجميل

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عَنِ الصَّبْرِ الجَميلِ.

والصَّبْرُ الجميلُ ـ أيُّها الناسُ ـ سيِّدُ الأخلاقِ، والطريقُ إلى الإمامة في الدِّينِ، والفَوْزِ العظيم.

وقد ذكره اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه الكريم في بِضْعةٍ وتسعين مَوْطنًا بأنواعٍ

عديدةٍ، تدلُّ علىٰ وُجُوبهِ، فمنها ـ أي: ما يدلُّ علىٰ وجوب الصَّبرِ ـ:

أولاً ـ الأمــر به، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

ثانيًا ـ النَّهْيُ عَنْ ضِدِّه، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ثالثًا ـ الأمرُ بالاستعانة به، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

رابعًا ـ الثناء على أهله، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

خامسًا ـ إيجابُهُ ـ سبحانه وتعالى ـ محبَّتَهُ لهم، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

سادسًا ـ إيجابُهُ معيَّتَهُ لهم، وهي معيَّةٌ خاصَّة، تتضمَّنُ حِفْظَهم ونَصْرَهُم وتأييدَهُمْ، وهي غَيْرُ المعيَّةِ العامَّةِ ـ وهي معيَّةُ العِلْمِ والإحاطةِ ـ، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

قال بعضُ السَّلَفِ: «ذَهَبَ الصابرون بخير الدُّنيا والآخرةِ؛ لأنَّهُم نَالُوا مِنَ اللهِ معيَّةَ الله»(١).

سابعًا ـ إيجابُهُ ـ سبحانه وتعالى ـ الجزاءَ لهم بغير حسابٍ، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠].

---

(١) «عدة الصابرين» لابن القيم (ص١٣٤).

قال الأوزاعيُّ ـ رحمه الله ـ: «ليس يُوزَنُ لهم ولا يُكالُ، إنما يُغْرَفُ لهم غَرْفًا»(١) .

ثامنًا ـ إيجابُ الجزاء لهم بأحسن أعمالهمْ، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦] .

تاسعًا ـ إخبارُهُ ـ سبحانه وتعالى ـ بأنَّ الصبرَ خيرٌ لأصحابه، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النساء: ٢٥] .

عاشراً ـ إطلاقُ البُشْرى لأهلِ الصَّبْر، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] .

الحاديَ عَشَرَ ـ الإخبارُ منه ـ سبحانه وتعالى ـ: بأنَّ أَهْلَ الصَّبرِ هُمْ أهلُ العزائمِ، قال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورىٰ: ٤٣] .

أي: ممَّا يُعْزَمُ مِنَ الأُمورِ التي هي أجلُّها وأشرفُها .

الثانيَ عَشَرَ ـ الإخبارُ بأنه لا يَنالُ جزاءَ الأعمال الصالحة إلا أَهْلُ الصَّبْر، قال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠]. وقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥] .

الثالثَ عَشَرَ ـ الإخبارُ أنَّ الفَوْزَ بالمطلوب المحبوب، والنَّجاةَ مِنَ المَكْروهِ المرْهوب، ودُخُولَ الجنَّة إنَّما نَالُوه بالصَّبْر، قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٨٠) .

عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

الرابعَ عَشَرَ - أنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - جَمَعَ للصابرين ثلاثةَ أُمُور، لم يَجْمعْها لغيرِهم، وهي: الصلاةُ منْهُ عليهم، ورحمتُه لهم، وهدايتُه إيَّاهُم، قال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

الخامسَ عشَرَ - أنَّ الصَّبرَ يُورِثُ صاحبَهُ دَرَجَةَ الإمامةِ في الدِّين.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ - رحمه الله -: «بالصَّبْرِ واليقين تُنالُ الإمامةُ في الدِّين». ثمَّ تلا قوله - تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤][1].

وأمَّا الصَّبرُ في السنَّةِ - أيُّها الناسُ - فأكثرُ مِنْ أنْ يُحْصَرَ، وسوف نقتصرُ على ما يأتي:

فقدْ أخبر النبيُّ - ﷺ - بأنَّ الصَّبْرَ خير ما أُعْطِيَهُ العَبْدُ.

ففي «الصحيحين»[2] من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «**ما أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطاءً خيْرًا وأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**».

وأخبر - ﷺ - أنَّ الصَّبْرَ ضياءٌ.

ففي «صحيح مسلم»[3] من حديث أبي مالكٍ الأشْعَريِّ - رضي الله عنه - قال:

---

(١) انظر «مدارج السالكين» (٢/ ١٥٣)، «عدة الصابرين» (ص٨٤)، «البصائر» للفيروز أبادي (٣/ ٣٧٥)، «الصبر الجميل» لسليم الهلاليِّ (ص٩، ١٠).

(٢) رواه البخاريُّ (٦٤٧٠)، ومسلم (١٠٥٣)، واللفظ له.

(٣) رواه مسلم (٢٢٣).

قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «والصَّبْرُ ضِياءٌ».

قال النَّوويُّ ـ رحمه الله ـ: «المُرادُ أنَّ الصَّبْرَ مَحْمودٌ، ولا يَزَالُ صاحبُهُ مُسْتضيئًا مُهْتديًا، مُسْتمرًّا علىٰ الصَّوابِ»[1].

والأدلَّةُ ـ أيُّها الناسُ ـ في هذا المعنىٰ كثيرةٌ، وكُلُّها تدل علىٰ وُجُوبِ الصَّبْرِ.

قال شيخ الإسلام ابنُ تيميَّةَ ـ رحمه الله ـ: «الصَّبْرُ علىٰ المصائبِ واجبٌ باتِّفاقِ أئمَّةِ الدِّينِ».

وقال العلامةُ ابْنُ القيِّم ـ رحمه الله ـ: «هو واجبٌ بإجماعِ الأُمَّةِ، وهو نِصْفُ الإيمان، فإنَّ الإيمانَ نِصْفانِ: نِصْفٌ صَبْرٌ، ونِصْفٌ شُكْرٌ».

والصبْرُ المَشْرُوعُ ـ أيُّها الناسُ ـ له ثلاثةُ شُرُوطٍ:

الشَّرْطُ الأوَّلُ ـ الإخلاصُ:

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «أي: عَنِ المحارمِ والمآثمِ فَفَطَمُوا أنْفُسَهُمْ عنها لله ـ عزَّ وجلَّ ـ ابتغاءَ مَرْضاتِه، وجزيلِ ثوابِهِ»[2].

وقال العلامةُ ابنُ سَعْديٍّ ـ رحمه الله ـ في تفسيرها:

«﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ علىٰ المأموراتِ بالامتثالِ، وعَنِ المَنْهيَّاتِ بالانْكفافِ عنها،

---

(١) «شرح مسلم» (٣/ ١٠٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٠٦).

والبُعْدِ منها، وعلىٰ أقْدارِ اللهِ المُؤْلِمَةِ بِعَدمِ تَسَخُّطِهَا.

ولكنْ يُشترطُ أنْ يكونَ ذلك الصَّبْرُ ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا لغيرِ ذلك مِنَ المقاصدِ والأغراضِ الفاسدةِ فإنَّ هذا الصَّبْرَ النافعُ الذي يَحْبس بِهِ العَبْدُ نَفسَهُ طلبًا لمَرْضاةِ ربِّه، ورجاءً للقُرْبِ منه، والحَظْوَةِ بثَوابِهِ، وهو الصَّبْرُ الذي من خصائصِ أَهْلِ الإيمانِ، وأمَّا الصَّبْرُ المُشْتَرِكُ الذي غايتُهُ التَّجلُّدُ، ومُنْتَهاهُ الفَخْرُ - فهذا يَصْدُرُ مِنَ البَرِّ والفاجِرِ، والمؤْمِنِ والكافِرِ، فليس هو المَمْدُوحَ علىٰ الحقيقةِ»[(١)].

الشَّرْطُ الثاني - عَدَمُ شَكْوى الله إلى العباد:

شَكْوَىٰ اللهِ إلىٰ العبادِ تُنافي الصَّبْرَ، وتُخرِجُهُ إلىٰ التَّسَخُّطِ والجزَعِ،

فقدْ أخرج الحاكمُ في «مستدركه»، والبيهقيُّ في «سننه» بسندٍ صحيحٍ[(٢)]، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ - فيما يَرْويهِ عنْ ربِّه: «**قال اللهُ - سُبْحانَهُ وتعالى -: إذا ابتليْتُ عَبْدِيَ المُؤْمِنَ، فلَم يشْكُني إلى عُوَّادِه** (أي: زُوَّارِه) - **أطْلَقْتُهُ مِنْ أساري، ثمَّ أَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِه، ودَمًا خيرًا مِنْ دَمِه، ثمَّ يَسْتَأْنفُ العَمَلَ**».

فعلينا - أيُّها الناس - أنْ نجعلَ شَكْوانا إلىٰ الله - سبحانه وتعالىٰ -، فهو أرحمُ بنا مِنْ أَنْفُسِنا، ومِنَ الناسِ أجمعين، وهو الذي لا يُعْجِزُهُ شيءٌ في الأرض، ولا في السماءِ، وهو الذي أنزل بنا البلاءَ، وهو القادرُ علىٰ رَفْعِهِ وإزالتِهِ.

قال ابنُ القيِّم - رحمه الله -: «والشَّكْوىٰ إلىٰ الله - عز وجل - لا تُنافِي الصَّبْرَ؛ فإنَّ يَعْقُوبَ - عليه السلام - وَعدَ بالصَّبْرِ الجميلِ - والنبيُّ إذا وَعدَ لا يُخْلِفُ - ثمَّ قال:

---

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص٤١٧).

(٢) أخرجه الحاكمُ (١/ ٣٤٩)، والبيهقيُّ (٣/ ٣٧٥)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٤٣٠١).

﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، وكذلك أيوبُ - عليه السلام - أخبر اللهُ عنه أنَّه وَجَدَهُ صابرًا مع قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وإنَّما يُنافي الصَّبْرَ شَكْوَىٰ الله، لا الشَّكْوىٰ إلىٰ الله كما رأىٰ بَعْضُهم رجلاً يَشْكُو إلىٰ آخَر فاقةً وضرورةً فقال: يا هذا، تَشْكُو مَنْ يَرْحَمُك إلىٰ مَنْ لا يَرْحَمُكَ! . ثمَّ أَنْشَدَ:

وإذا عَـرَتْكَ بَلِيَّـةٌ فـاصبـرْ لهـا ... صَبْـرَ الكـريم، فـإنَّـهُ بكَ أعْلَمُ
وإذا شَكَـوْتَ إلـى ابْـنِ آدَمَ إنَّمـا ... تَشْكُو الرَّحِـيمَ إلى الذي لا يَـرْحَمُ[١]

أيُّهـا الناسُ، إنَّه متىٰ أخْبَرَ المريضُ بمَرَضِه - أو المُبْتَلَىٰ بما نَزَلَ به - لا علىٰ سَبيلِ الشَّكْوىٰ، وإنما إجابةً لسُؤالِ مَنْ سَأَلَهُ عَنْ حالِه، أو إخبارَ الطَّبيبِ، أو مَنْ يَرْجُو أنْ يَدُلَّهُ علىٰ الدواءِ، أو إخبار المظلومِ - لمن ينتصرُ به - بحاله - فهذا جائزٌ ولا يُنافي الصبْر.

لما في «الصحيحين»[٢] من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: دخلتُ علىٰ رسولِ الله - ﷺ - وهو يُوعَكُ، فَمَسَسْتُهُ بيدي، فقلتُ: يا رسولَ الله، إنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شديدًا، فقال رسولُ الله - ﷺ -: **«أَجَلْ، إنِّي أُوْعَكُ كما يُوعَكُ رَجُلانِ منْكمُ»**. قال: فقلتُ: ذلك أنَّ لك أجْرَيْنِ؟ . فقال رسول الله - ﷺ -: **«أَجَلْ»**. ثمَّ قال رسولُ اللـه - ﷺ -: **«ما مِنْ مُسلمٍ يُصيبُهُ أذَى - مِنْ مَرَضٍ فـما سِواهُ - إلا حَطَّ اللهُ به سيِّئاتِه، كما تَحُطُّ الشَّجَرةُ وَرَقَها»**.

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١٦١).
(٢) رواه البخاريُّ (٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).

قال ابْنُ القيِّـم ـ رحمه الله ـ: «إذا حَمِدَ المريضُ اللهَ، ثمَّ أَخْبَرَ بِعلَّتِهِ، لم يكنْ شَكْوَىٰ منه، وإنْ أَخْبَرَ بها تَبرُّمًا وتسخُّطًا، كان شَكْوًىٰ منه»[(١)] .

وقال ابن حَجَـر ـ رحمه الله ـ: «أمَّا إخبارُ المريضِ صديقَهُ ـ أو طبيبَهُ ـ عَنْ حالِهِ فلا بأسَ به اتِّفاقًا»[(٢)] .

وقال ابن مُـفْلح ـ رحمـه الله ـ: «ويُخبِرُ بما يجدُهُ بلا شكوىٰ، وكان أحمدُ ـ رحمه الله ـ يَحْمَدُ اللهَ أوَّلاً ؛ لخبرِ ابنِ مَسْعودٍ ـ رضي الله عنه ـ: «إذا كان الشُّكْرُ قَبْلَ الشَّكْوَىٰ، فليس بشاكٍ»[(٣)] .

الشَّرطُ الثالث من شروطِ الصَّبْرِ ـ أنْ يكونَ في ساعةِ المُصيبة:

فـالصَّبْرُ المحمودُ المأجورُ عليه صاحبه ـ أيُّها الناسُ ـ هو ما كان في أَوانِهِ (أي في ساعةِ المُصيبةِ)، أمَّا إذا فات الأوانُ، فلا فائدة منه .

لما في «سنن ابن ماجَهْ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجَهْ»[(٤)] من حديث أبي أُمامةَ ـ رضي الله عنه ـ عَن النَّبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «**يقولُ الله ـ سُبْحانَهُ وتعالى ـ: ابْنَ آدَمَ، إنْ صَبَرْتَ واحْتَسَبْتَ** (أي: رَجَوْتَ ثوابَ صَبْرِكَ) **عندَ الصَّدْمةِ الأوْلى ـ لم أَرْضَ لَكَ ثوابًا دُونَ الجنَّةِ**» .

قال الخطَّابي ـ رحمه الله ـ: «المعنىٰ: أنَّ الصَّبْرَ الذي يُحْمَدُ عليه صاحبُهُ ما كان عندَ مُفاجأَةِ المُصيبةِ، بخلافِ ما بَعْدَ ذلك ؛ فإنَّهُ مَعَ الأيَّامِ يَسْلُو»[(٥)] .

---

(١) «عدة الصابرين» (١٠٧) .
(٢) «فتح الباري» (١٠/ ١٢٤) .
(٣) «الفروع» (٢/ ١٧٦) .
(٤) رواه ابن ماجَهْ (١٥٩٧)، وحسَّنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٢٩٨) .
(٥) «فتح الباري» (٣/ ١٥٠) .

وفي «الصحيحين»[١] من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: مَرَّ النَّبيُّ - ﷺ - بامرأةٍ تبكي عِنْدَ قَبْرٍ، فقال: «اتَّقي اللهَ واصْبري».

قالتْ: إليك عني؛ فإنَّك لم تُصَبْ بمُصيبتي. ولم تَعْرفْهُ.

فقيل لها: إنَّهُ النَّبيُّ - ﷺ -، فأَتَتْ بابَ النَّبيِّ - ﷺ -، فلم تجِدْ عندَهُ بوَّابِينَ، فقالتْ: لم أَعْرِفْكَ.

فقال: «إنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمةِ الأُولى».

وأستغفرُ اللهَ.

(١) رواه البخاري (١٢٨٣) ومسلم (٩٢٦).

الخطبة الثانية

الأسباب المعينة على الصبر

الحَمْدُ لله ربِّ العالمينِ، والصلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المُرسلينَ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّم الحديثُ حَوْلَ الصَّبْرِ وشروطِهِ، والآن حديثي معكمْ حَوْلَ الأسبابِ المُعينةِ على الصَّبْرِ.

أيُّها الناسُ، لا شكَّ أنَّ الأسبابَ المُعينةَ على الصَّبْرِ كثيرةٌ، وسوف أَذْكُر طَرَفًا منها،

فمنها استشعارُ الأَجْرِ العظيم على الصَّبْرِ والاسترجاع:

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

وفي «صحيح مسلم»[1] مِنْ حديثِ أُمِّ سَلَمَةَ ـ رضي الله عنها ـ قالتْ: «سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَا مِن عَبْدٍ تُصيبُهُ مُصيبةٌ، فيقولُ: إنَّا لله، وإنَّا إليه راجعون، اللَّهُمَّ أْجُرْني في مُصيبتي، وأَخلفْ لي خَيْرًا منها ـ إلا أَجَرَهُ اللهُ ـ تعالى ـ في مُصيبته، وأَخْلَفَ له خيْرًا منها». قالتْ: فلَمَّا تُوُفِّي أبو سَلَمَةَ، قُلْتُ كما أَمَرَني رسولُ الله ـ ﷺ ـ، فأَخْلَفَ اللهُ ـ تعالى ـ لي خيراً مِنْهُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ».

---

(١) رواه مسلم (٩١٨).

ومن الأسبابِ المُعينة على الصَّبْرِ التأسِّي بأهلِ المصائبِ:

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث عبد اللهِ بن مَسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ قالَ: قَسَمَ النبيُّ ـ ﷺ ـ قَسْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إنَّ هَذه لَقِسْمَةٌ، ما أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ الله، فأَتَيْتُ النَّبيَّ ـ ﷺ ـ فأَخْبَرْتُهُ، فَغَضِبَ، حَتَّىٰ رَأيتُ الغَضَبَ في وَجْهِهِ، ثُمَّ قال: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكثرَ مِنْ هَذَا، فَصَبَرَ».

ومن الأسبابِ المُعينة على الصَّبرِ أنْ نعلمَ أنَّ البلاءَ قَدْ يَرْفَعُنا في دَرَجاتِ الجنَّة: أخرج السّيوطيُّ في «جامعه» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(٢)] من حديثِ أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ الرَّجُلَ ليكونُ له المنزلةُ عندَ الله فما يَبْلُغُها بعَمَلٍ، فلا يَزَالُ اللهُ يَبْتَلِيه بما يَكرَهُ، حتَّى يُبَلِّغَهُ إيَّاها».

ومن الأسبابِ المُعينةِ على الصَّبْرِ أنْ نَعْلَمَ أنَّ الجَزَعَ لا يَرُدُّ المُصيبةَ، بل يُضَاعِفُها: ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(٣)] منْ حديثِ جابرِ بنِ عَبْدِ الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَوَدُّ أَهْلُ العَافيةِ يومَ القيامةِ ـ حين يُعْطَى أَهْلُ البلاءِ الثَّوَابَ ـ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كانتْ قُرِضَتْ في الدُّنيا بالمقَاريضِ».

ومن الأسبابِ المُعينةِ على الصَّبْرِ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ مَرَارَةَ الدُّنيا هي بعَيْنِها حَلاوةٌ في الآخرة: ففي «صحيح مسلم»[(٤)] من حديث أَنَسِ بنِ مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ «يُؤْتى بأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أهلِ النَّارِ يومَ القيامة، فَيُصْبَغُ

(١) رواه البخاري (٣٤٠٥)، واللفظ له، ومسلم (١٠٦٢).
(٢) رواه السيوطي في «جامعه» (٧٣٠)، وحسنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١٦٢٥).
(٣) رواه الترمذي (٢٤٠٢)، وحسنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٨١٧٧).
(٤) رواه مسلم (٢٨٠٧).

في النَّار صَبْغَةً، ثُمَّ يقَالُ: يابْنَ آدَمَ، هَلْ رأيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟، هَلْ مَرَّ بكَ نعيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا - والله - يا ربِّ، ويُؤْتَى بأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا في الدُّنْيَا منْ أَهْلِ الجنَّة، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجنَّة، فَيُقَالُ لَهُ: يابن آدَمَ، هَلْ رأيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟، هَلْ مَرَّ بكَ شدَّةٌ قَطُّ؟ فيقولُ: لا - والله - ما مَرَّ بي بُؤْسٌ قَطُّ، ولا رَأَيْتُ شدَّةً قَطُّ».

ومن الأسباب المُعينة على الصَّبْرِ أنْ نَعْلَمَ أنَّ اللهَ - سبحانَهُ وتعالى - قَد يُعَوِّضُنا على صبْرِنا واحتسابنا:

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ وأبي هُريرةَ - رضي الله عنهما - قالا: قال رسولُ الله - ﷺ -: «ما يُصيبُ المُسلمَ منْ نَصَبٍ - (أي: تَعَبٍ)، ولا وَصَبٍ (أي: مَرَضٍ)، ولا هَمٍّ، ولا حَزَنٍ، ولا أَذًى، ولا غَمٍّ - حتى الشَّوْكَةِ يُشاكُها - إلا كَفَّرَ اللهُ بها منْ خَطَايَاهُ».

وروىٰ التِّرْمذيُّ في «سننه»، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سُنَنِ التِّرمذيِّ»[(٢)] من حديثِ سَعْدِ بنِ أبي وقَّاصٍ - رضي الله عنه - قال: قلتُ: يا رسولَ الله، أيُّ الناسِ أَشَدُّ بلاءً؟. قال: «الأنبياءُ، ثمَّ الأَمْثَلُ فالأَمْثَلُ، يُبْتَلى العَبْدُ على حَسَبِ دينه، فإنْ كان في دينه صُلْبًا، اشتدَّ بلاؤُهُ، وإنْ كان في دينه رقَّةٌ، ابْتُلِيَ على حَسَبِ دينه، فما يَبْرَحُ البلاءُ بالعَبْدِ، حتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشي على الأرضِ وما عليه خطيئةٌ».

ومن الأسبابِ المُعينة على الصَّبْرِ أنْ نعلمَ أنَّ ما أصابنا لم يكنْ ليُخْطئَنا:

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

وفي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٢٢)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٩٥٦).

التِّـرْمـذيّ»(١) من حديث عبد الله بن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قال: كنتُ خَلْفَ النبيِّ - ﷺ - يومًا، فقال: «**يا غُلامُ، إنِّي أُعَلِّمُكَ كلمات: احفظ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظ اللهَ تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إذا سَألتَ فاسْألِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاسْتَعِنْ بالله، واعلمْ أنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَت عَلى أنْ يَنْفَعُوكَ بشيء، لم يَنْفَعُوكَ إلا بشيء، قدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وإن اجْتَمَعُوا على أنْ يَضُرُّوكَ بشيء، لمْ يَضُرُّوك إلا بشيءٍ قدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَت الأَقْلامُ، وجَفَّت الصُّحُفُ**».

أعوذُ باللهِ من الشيطان الرَّجيمِ: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ [لقمان: ١٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القُرْآنِ العظيمِ.

---

(١) تقدم تخريجه.

الخطبة الأولى
من أحكام السلام

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، حديثي معكمُ اليومَ عَنْ أحكامِ السَّلامِ والحديثُ عَنِ السَّلامِ ذُو شُجُونٍ، فهو أمَانُ اللهِ في الأرضِ، وتحيَّةُ المُؤمنين في الجنَّةِ، وتحية أهل الإسلام في الدنيا، وهو ـ مع ذلك ـ طريق إلى المودَّة والمحبَّة والتعارفِ بَيْنَ المسلمين.

ومِمَّا جاء في فَضْلِ إفشاء السلام والبَدْء به من الأدلة ما يأتي:

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «هذه آدابٌ شرعيَّةٌ، أدَّبَ اللهُ بها عبادَهُ المؤمنين، وذلك في الاستئذانِ أَمَرَهُمْ ألاَّ يدخلوا بُيُوتًا غَيْرَ بيوتِهِم حتى يستأنِسُوا ـ أي يستأذِنُوا ـ قَبْلَ الدُّخولِ، ويُسلِّموا بَعْدَهُ»[١].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: ٦١].

قال الشيخُ السَّعْديُّ ـ رحمه الله ـ: «﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ نَكِرةٌ في سِياقِ الشَّرْطِ، يشملُ بيتَ الإنسانِ، وبيتَ غَيْرِهِ، سواء كانَ في البيتِ ساكنٌ أم لا، فإذا دَخَلها الإنسانُ ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ أي: فَلْيُسَلِّمْ بعضُكم على بَعْضٍ؛ لأنَّ المسلمين كأنَّهم شَخْصٌ واحدٌ مِنْ تَوَادُهِمْ وتراحُمِهم وتعاطُفِهِمْ»[٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «أي إذا سَلَّمَ عليكم المُسلِّم، فردُّوا عليه أفْضَلَ مِمَّا سَلَّم، أو ردُّوا عليه بمثل ما سَلَّمَ به، فالزِّيادةُ مَنْدوبةٌ، والمُماثلةُ مَفْروضةٌ»[٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣١٣).
(٢) «تفسير السعدي» (ص٥٧٥).
(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٢٦).

عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ [النساء: ٩٤].

وأخرج البخاريُّ في «صحيحه»(١) من حديث ابن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما -: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾ قال ابْنُ عبَّاسٍ: كان رَجُلٌ في غُنَيْمَةٍ له، فَلَحِقَهُ المسلمون، فقال: السلامُ عليكم، فقتَلُوه، وأخذُوا غُنيمتَهُ، فأنزلَ اللهُ في ذلك إلىٰ قولِهِ: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: تلك الغُنَيْمةُ، قال: قَرَأَ ابْنُ عبَّاسٍ: ﴿السَّلَمَ﴾.

وفي «الصحيحين»(٢) من حديث عَبْدِ اللهِ بنِ عَمرو بنِ العاصِ - رضي الله عنهما - أنَّ رجلاً سأل رسولَ الله - ﷺ -: أيُّ الإسلام خَيْرٌ. قال: «تُطْعِمُ الطَّعامَ، وتَقْرأُ السَّلامَ على مَنْ عَرَفْتَ، ومَنْ لم تَعْرِف».

وفي «الصحيحين»(٣) مِنْ حديثِ البَراءِ بنِ عازبٍ - رضي الله عنه - قال: «أَمَرَنا رسولُ اللهِ - ﷺ - بسبعٍ: بعيادةِ المريضِ، واتِّباعِ الجنائز، وتشميتِ العاطس، ونَصْرِ الضَّعيفِ، وعَوْنِ المظْلُومِ، وإفْشَاءِ السلامِ، وإبرارِ المُقْسِمِ».

وفي «صحيح مسلم»(٤) مِنْ حديثِ أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تَدْخُلون الجنَّةَ حتَّى تُؤْمنوا، ولا تُؤْمِنُوا حتَّى تحابُّوا، أوَلاَ أدُلُّكُمْ على شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تحابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ».

وأخرج الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ والتِّرْمذيُّ، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح التِّرْمذيِّ»(٥) مِنْ حديثِ عِمْرانَ بنِ حُصَينٍ - رضي الله عنهما - قال: جاء رجلٌ إلىٰ

---

(١) البخاريُّ (٤٥٩١).

(٢) البخاريُّ (٦٢٣٦)، ومسلم (٣٩).

(٣) رواه البخاري (٦٢٣٥)، واللفظ له، ومسلم (٢/ ٢٠١) مع شرح النووي.

(٤) رواه مسلم (٥٤).

(٥) رواه أحمد (٤/ ٤٤٠)، وأبو داودَ (٥١٩٥)، والترمذي (٢٦٨٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٦٨٩).

النَّبيِّ -ﷺ- فقال: السَّلامُ عليكم. فردَّ عليه السلامَ ثمَّ جَلَسَ، فقال النبيُّ -ﷺ-: «عَشْرٌ». ثمَّ جاء آخَر فقال: السَّلامُ عليكم، ورحمةُ الله. فردَّ عليه، فجلَسَ، فقالَ: «عشْرون». ثُمَّ جاء آخرُ فقال: السَّلامُ عليكم، ورحمةُ اللهِ، وبركاتُه. فَرَدَّ عليه، فَجَلَسَ فقال: «ثَلاثونَ».

وأخرج البخاريُّ في «الأدبِ المُفْرِدِ»، وحسَّنه الألبانيُّ في «الإرواء» و«الصحيحة»[1] مِنْ حديثِ البراءِ بنِ عازبٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ اللهِ -ﷺ-: «أَفْشُوا السَّلامَ تَسْلَمُوا».

وأخرج ابن ماجَهْ في «سننه»، والبخاريُّ في «الأدب المفرد»، وابن خُزَيمةَ في «صحيحه»، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة»[2] من حديث عائشةَ -رضي الله عنها- أنَّ النبيَّ -ﷺ- قال: «ما حَسَدَتْكُمُ اليَهُودُ على شيءٍ ما حَسَدَتْكُمْ على السَّلامِ والتَّأمين».

«وفي الصحيحين»[3] مِنْ حديث أبي هُريرةَ -رضي الله عنه- عن النَّبيِّ -ﷺ- قال: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ على صُورته، طُولُه ستُّون ذراعًا، فلمَّا خَلَقَهُ قال: اذْهَبْ فسلِّمْ على أُولئكَ -نَفَرٍ منَ الملائكة جُلُوسٍ- فاستمعْ ما يُحَيُّونَكَ، فإنَّها تحيَّتُكَ، وتحيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فقال: السَّلامُ عليكم. فقالوا: السَّلامُ عليك، ورحمةُ الله. فَزَادُوهُ: ورحمةُ الله، فكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجنَّةَ على صُورةِ آدَمَ، فلم يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حتَّى الآن».

وأخرجَ التِّرمذيُّ في «سننه»، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[4] من

(١) «الأدب المفرد» (٩٧٩)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (٧٧٧)، و«الصحيحة» (١٤٩٣).
(٢) ابن ماجَهْ (٨٥٦)، و«الأدب المفرد» (٢٢٨)، وابن خُزيمة في «صحيحه» (٥٧٤)، وصححه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٦٩٢).
(٣) رواه البخاريُّ (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١).
(٤) الترمذيُّ (٢٤٨٥)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٧٨٦٥).

حديث أبي يُوسُفَ عبدِ الله بنِ سلاَّمٍ - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقولُ: «يأيُّها الناس، أَفْشُوا السَّلامَ، وأَطْعِمُوا الطَّعامَ، وصِلُوا الأرْحامَ، وصَلُّوا بالليلِ والناسُ نيامٌ - تدْخُلوا الجنَّة بسلامٍ».

وأخرج البخاريُّ في «الأدب المفرد»، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة»[(١)] من حديث ابن مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: قال النبيُّ - ﷺ -: «إنَّ السَّلامَ اسمٌ مِنْ أسْماء الله - تعالى -، وضَعَهُ اللهُ في الأرضِ، فأَفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ».

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد»، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(٢)] من حديث أبي هُريرةَ - رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «إنَّ أبْخَلَ الناسِ مَنْ بَخِلَ بالسَّلامِ، وأَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعاءِ».

أيُّها الناسُ، تقدَّم الحديثُ عَنْ بَعْضِ فضائلِ السَّلامِ، وفيما يأتي آداب السَّلامِ.

فمن آداب السلام - أيُّها الناسُ - تسليمُ القليلِ على الكثيرِ:

ففي «صحيح البخاري»[(٣)] مِنْ حديثِ أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبيِّ - ﷺ - قال: «يُسَلِّمُ الصَّغيرُ على الكبير، والمارُّ على القاعد، والقليلُ على الكثير».

قال الحافظ ابن حَجَرٍ - رحمه الله -: «قولُهُ: بابُ: تسليمِ القليلِ على الكثيرِ هو أمْرٌ نسبيٌّ، يشملُ الواحدَ بالنِّسبةِ للاثنين فصاعِداً، والاثنين بالنسبة للثلاثةِ فَصَاعِداً، وما فَوْقَ ذلك»[(٤)].

---

(١) رواه البخاريُّ في «الأدب المفرد» (٩٨٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٩٧)، و«الصحيحة» (١٨٩٤).

(٢) «الأدب المفرد» (١٠٤٣)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١٥١٩).

(٣) رواه البخاريُّ (٦٢٣١).

(٤) «فتح الباري» (١١/ ١٦).

ومن آدابِ السلامِ تسليمُ الماشي على القاعد:

روىٰ البخاريُّ ومسلمٌ في «صحيحيهما»(١) منْ حديثِ أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يُسلِّم الراكبُ على الماشي، والماشي على القاعد، والقليلُ على الكثيرِ» والحكمةُ في ذلك: أنَّ الراكبَ مَظنَّةُ الزَّهْوِ والكبرِ، فاستُحِبَّ له أنْ يَبْدَأَ الماشي بالسَّلامِ كَسْرًا لشَهْوةِ العُجْبِ، وإظهارًا للتواضع(٢).

ومن آدابِ السَّلامِ تسليمُ الصَّغيرِ على الكبير:

ففي «صحيح البخاري»(٣) من حديثِ أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «يُسَلِّمُ الصَّغيرُ على الكبير، والمارُّ على القاعد، والقليلُ على الكثير».

قال ابنُ بطَّالٍ عَنِ المُهَلَّب: «تسليمُ الصَّغيرِ لأَجْلِ حَقِّ الكبيرِ؛ لأنَّه أُمِرَ بتوقيره، والتواضُعِ لَهُ، وتسليمُ القليلِ لأَجْلِ حقِّ الكثير؛ لأنَّ حقَّهُم أعظمُ، وتسليمُ المارِّ لشبهِهِ بالدَّاخِلِ علىٰ أَهْلِ المَنْزِلِ، وتسليمُ الراكبِ؛ لئلا يتكبَّر برُكُوبِهِ، فيَرْجع إلىٰ التواضُع»(٤)

وقال النَّوويُّ ـ رحمه الله ـ: «قال أصحابُنا ـ وغيرُهم من العلماء ـ: هذا المذكور هو السُّنَّةُ، فلو خالَفُوا، فَسَلَّمَ الماشي علىٰ الراكب ـ أو الجالسُ عليهما ـ لم يُكْرَهْ»(٥).

ومن آدابِ السَّلامِ ـ أيُّها الناسُ ـ إلْقاءُ السَّلامِ على مَنْ نَعْرِفُ، ومَنْ لا نَعْرِفْ: ففي «الصحيحين»(٦) من حديثِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رجلاً سأل رسولَ الله ـ ﷺ ـ: أيُّ الإسلامِ خيرٌ؟ قال: «تُطْعِمُ الطَّعامَ، وتَقْرأُ السَّلامَ على مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لم تَعْرِفْ».

---

(١) البخاريُّ (٦٢٣٢)، ومسلم (٢١٦٠).
(٢) «فتح الباري (١١/ ١٧).
(٣) البخاريُّ (٦٢٣٤).
(٤) «الفتح» (١١/ ١٨).
(٥) «الأذكار» للنووي (٢/ ٦٤٢).
(٦) تقدم تخريجه.

قال الحافظ: «أي من يَعْرِفُهُ المسلمُ، ومَنْ لا يَعْرِفُهُ، أي: لا يَخُصُّ بالسَّلامِ مَنْ يَعْرِفُهُ دُونَ مَنْ لا يَعْرِفُهُ»[(١)].

وقال في شرح قوله: «ومَنْ لَمْ تَعْرِفْ»: «أيْ: لا تَخُصَّ به أَحَدًا تَكَبُّرًا أو تصنُّعًا، بل تعظيمًا لشعار الإسلام، ومُراعاةً لأُخُوَّةِ المُسلمِ»[(٢)].

وقال النَّوويُّ ـ رحمه الله ـ: «معنىٰ قوله: «علىٰ مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لمْ تَعْرِفْ»: تُسلِّم علىٰ مَنْ لَقِيتَهُ، ولا تَخُصَّ ذلك بمَنْ تَعْرِفُ، وفي ذلك إخلاصُ العِلْمِ، واستعمالُ التواضُعِ، وإفْشَاءُ السَّلامِ الذي هو شعارُ هذه الأُمَّةِ»[(٣)].

ومن الآدابِ التسليمُ على الصِّبيانِ:

ففي «الصحيحين»[(٤)] من حديث أَنَسِ بنِ مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ أنَّه مرَّ علىٰ صِبْيانٍ، فسلم عليهم، وقال: «كان النبيُّ ـ ﷺ ـ يَفْعَلُهُ».

قال الحافظُ: قال ابْنُ بَطَّالٍ: «في السَّلامِ علىٰ الصِّبيانِ تَدْريبُهُمْ علىٰ آدابِ الشَّريعةِ، وفيه طَرْحُ رداءِ الكِبْرِ، وسُلوكُ التواضُعِ ولينِ الجانبِ»[(٥)].

ومن آدابِ السَّلامِ السَّلامُ عندَ القِيامِ مِنَ المجلسِ:

أخرج أبو داودَ، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(٦)] من حديث أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا انتهى أحدُكُمْ إلى المجلسِ فَلْيُسلِّم، فإنْ بَدَا لَهُ أنْ يَجْلِسَ فلْيَجْلِسْ، ثُمَّ إذا قام فَلْيُسلِّمْ؛ فليسَتِ الأُولى بأَحَق مِنَ الآخِرةِ»**.

قال صاحبُ «عوْنِ المعبودِ»: «إذا انتهىٰ» أي: جاء ووصل. **«فليست الأولى»** أي:

---

(١) «الفتح» (١١/ ٢٣).
(٢) «الفتح» (١١/ ٧٣).
(٣) «شرح مسلم» للنووي (٢/ ٢٠١).
(٤) البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨).
(٥) «الفتح» (١١/ ٣٥).
(٦) رواه أبو داودَ (٥٢٠٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٠٠).

التسليمةُ الأولىٰ. «بأحقَّ» أي: أَوْلىٰ وأَلْيَق. «مِنَ الآخرةِ» بل كِلْتَاهُما حقٌّ وسُنَّةٌ»[١].

ومن الآداب بعث السلام إلى إخوانك:

فإن ذلك يستدعي دوام المودة والألفة والمحبة. فقد أخرج أبو داود، والتِّرْمذيُّ، وحسنه الألباني في «صحيح الكلم الطيب»[٢] عن غالب قال: إنَّا لجلوس بباب الحسنِ، إذ جاء رجلٌ، فقال: حدَّثني أبي عن جدِّي، قال: بعثني أبي إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فقال: ائته، فأقرئهُ السلامَ. قال: فأتيتُه فقلت: إن أبي يُقرئُكَ السلام. فقال: «وعليكَ وعلى أبيك السلامُ».

ومن الآدابِ أنْ نبدأَ بالسَّلام قَبْلَ الكلام:

فقد أخرج الهيثمي في «مجمع الزوائد»، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامعِ»، و«الصحيحة»[٣] مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ أَنَّ النَّبيَّ ـ ﷺ ـ قال: «مَنْ بَدَأَ بالكلامِ قَبْل السَّلامِ، فلا تُجيبُوهُ».

ومن الآدابِ أنْ يكونَ السَّلامُ بلفظٍ مُسمعٍ للمُسلَّم عليه، فإنْ لم يسمعْهُ، لم يكنِ المُسلّمُ آتيًا بالسُّنَّة:

فقد أخرج البخاريُّ في «الأدبِ المفردِ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الأدب المفرد»[٤] من حديثِ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: «إذا سلَّمتَ فأَسْمعْ، فإنَّها تحيَّةٌ مِنْ عِنْدِ الله مُباركةٌ طَيِّبةٌ».

وأستغفر الله.

---

(١) «عون المعبود» (١٤/ ١١٦).
(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٣١) بسندٍ حسن.
(٣) أخرج الهيثميُّ في «المجمع» (٨/ ٣٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٢٢)، و«الصحيحة» (٨١٦).
(٤) أخرجه البخاريُّ في «الأدب المفرد» (١٠٠٥)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الأدب المفرد» (ص٣٦٢).

الخطبة الثانية

من أخطاء الناس في السلام

الحَمدُ للهِ ربِّ العالمين، وأُصلِّي وأُسلِّمُ علىٰ رسولِهِ الأمينِ، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، تقدَّمَ الحديثُ معكمْ عَنْ فَضْلِ السَّلامِ وآدابِهِ، والآنَ حديثي معكمْ عَنْ بَعْضِ أخطاءِ النَّاسِ في السَّلامِ.

فمن أخطاءِ الناسِ في السَّلامِ الزِّيادةُ بَعْدَ وبَرَكَاتُهُ، ابتداءً وردًّا، والمشروعُ في السَّلام الكاملِ - أيُّها الناسُ - هو قولُ: السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

قال القُرْطُبيُّ - رحمه الله - في تفسير قولِهِ - تعالىٰ -: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾ [النساء: ٨٦]: «رد الأحسن أنْ يَزِيدَ فيقولُ: عليك السلامُ ورحمةُ الله لِمن قال: سلامٌ عليك. فإنْ قال: سلامٌ عليك، ورحمةُ اللهِ. زِدْتَ في ردِّكَ: وبركاته. وهذا هو النِّهايةُ، فلا مزيدَ عليه، قال - تعالىٰ - مُخْبِرًا عن البيت الكريم: ﴿**رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ**﴾ [هود: ٧٣]»[(١)].

وأخرج البيهقيُّ بإسنادٍ صحيحٍ[(٢)] عَنْ عَطَاءٍ قال: «بَيْنَا أنا عندَ ابنِ عبَّاسٍ، وعندَهُ ابنُهُ، فجاءه سائلٌ، فسلَّم عليه، فقال: السلامُ عليكم ورحمةُ الله، وبركاتُهُ، ومغْفِرَتُهُ، ورِضْوانُهُ، وعدد من ذا، فقال ابنُ عبَّاسٍ: ما هذا السَّلامُ؟ وغَضِبَ حتَّىٰ

---

(١) «تفسير القرطبي» (٥/ ٢٩٩).

(٢) أخرجه البيهقيُّ (٨٨٧٨).

احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، فقال له ابنُهُ عليٌّ: يا أَبَتَاهُ إِنَّهُ سائلٌ مِنَ السُّؤالِ. فقال: إنَّ اللهَ حَدَّ للسَّلامِ حـدًّا، ونهىٰ عمَّا وراءَ ذلك، ثمَّ قَرَأَ: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

ومن أخطاءِ الناسِ في السَّلامِ انتظارُ الماشي للرَّاكبِ حتى يكونَ هو البادئُ بالسَّلام، وكذلك الكبيرُ للصغيرِ، والكثيرُ للقليلِ، وهكذا القاعدُ للقائم، ويطولُ الانتظارُ، وقدْ لا يَحْصُلُ إفشاءُ السَّلامِ، فتفوتُ السُّنَّةُ، والحقيقةُ أنَّ ذلك مِنَ الأدَبِ، وإذا خالفَ أحَدٌ هذا الأدَبَ، فسلَّم الماشي علىٰ الرَّاكبِ، والكبيرُ علىٰ الصَّغيرِ، والكثيرُ علىٰ القليلِ - فلهم أَجْرُ إفشاءِ السَّلام - إنْ شاءَ اللهُ -.

قال النَّوويُّ - رحمه الله -: «وهذا الذي جاء به الحديث كُلُّهُ للاستحبابِ، فلو عكسوا جاز، وكان خِلافَ الأفضلِ»[(١)].

ومن أخطاءِ الناسِ في السَّلامِ تَرْكُ إفشاءِ السَّلام، فكم مِنَ الناسِ يمرُّون بإخوانِهمْ في الإسلامِ، فيبخلون عليهم بالسَّلام! ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ [محمد: ٣٨].

ومن أخطاءِ الناس في السَّلامِ تَرْكُ السَّلامِ على الصِّبْيانِ، فقدْ هَجَرَ النَّاسُ هذهِ السُّنَّةَ إلا قليلاً منهم، فحريٌّ بالمؤمنِ إحياؤُها اقتداءً بالنبي - ﷺ - وصحابته الكرام، وتنقيةً لنفسِهِ من داءِ الكبرِ، وتعويدًا للصِّغارِ علىٰ السُّنَّةِ والفضيلةِ.

ففي «الصحيحين»[(٢)] من حديثِ أنسٍ - رضي الله عنه - أَنَّهُ مرَّ علىٰ صِبْيانٍ، فسلَّم عليهم، وقال: «كان النبيُّ - ﷺ - يَفْعَلُهُ».

---

(١) «شرح مسلم» للنووي (١٤/ ١٤١).

(٢) تقدم تخريجه.

ومنْ أخطاء الناسِ في السَّلامِ تَرْكُ السَّلامِ عندَ قُرْبِ اللِّقاءِ، فقد يتكرَّرُ اللِّقاءُ بَيْنَ الناسِ في الوظائفِ والمدارسِ، فيُسلِّمون عندَ أوَّلِ لقاءٍ، ويكتفي كثيرٌ منهم بهذا السَّلامِ، وهذا العَمَلُ مُخالفٌ للسُّنَّةِ النَّبويَّةِ.

فقد بوَّبَ النَّوويُّ - رحمه الله - في «رياض الصالحين» (بابَ: استحبابِ إعادةِ السَّلامِ عَلَىٰ مَنْ تكرَّر لقاؤُهُ علىٰ قُربٍ، بأنْ دَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ، ثمَّ دَخَلَ في الحالِ، أو حَالَ بَيْنَهُما شَجَرةٌ ونحوِها) ثُمَّ ذكر هذا الحديث والذي بَعْدَهُ، وهما ما جاء في «الصحيحين»(١) من حديثِ أبي هُريرة - رضي الله عنه - في حديث المُسيءِ صلاتَهُ أنَّهُ جاء فصلَّىٰ، ثمَّ جاء إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فسلَّم عليه، فردَّ عليه السَّلامَ، فقال: «ارْجِعْ فصلِّ؛ فإنَّك لم تُصَلِّ». فَرَجَعَ فصلَّىٰ، ثُمَّ جاء فَسلَّمَ علىٰ النبيِّ - ﷺ -، حتَّىٰ فَعَلَ ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ.

وأخرج أبو داودَ بإسنادٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في تحقيق «رياض الصالحين»(٢) منْ حديثِ أبي هُريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «**إذا لَقيَ أَحَدُكُمْ أَخَاه فَلْيُسَلِّمْ عليه، فإنْ حالتْ بَيْنَهُما شَجَرَةٌ، أو جدارٌ أو حَجَرٌ، ثُمَّ لَقِيَهُ، فَلْيُسَلِّمْ عليه**».

ومن أخطاء الناسِ في السَّلامِ تركُ السَّلامِ عندَ الاستئذانِ، والسُّنَّةُ في الاستئذانِ أنْ يُسَلِّمَ المُستأذِنُ علىٰ أهْلِ الدَّارِ، فيقفُ يمينَ البابِ - أو شِمالَهُ - ثمَّ يقولُ - بَعْدَ الدَّقِّ -: السَّلامُ عليكم. يَفْعَلُ ذلك ثلاثًا، فإنْ أُذِنَ له دَخَلَ، وإلا رَجَعَ.

ففي «سنن أبي داودَ» بسندٍ جيِّدٍ قاله ابن حَجَرٍ(٣) من حديثِ رِبْعِيِّ بن خِراشٍ قال: حَدَّثَنَا رجُلٌ مِنْ بَنِي عامرٍ أنَّه استأذن علىٰ النبيِّ - ﷺ - وَهُوَ في بيتٍ، فقال:

---

(١) البخاري (٢/ ٢٢٩)، ومسلم (٣٩٧).
(٢) رواه أبو داود (٥٢٠٠)، وصححه الألباني في «تحقيق رياض الصالحين» (ص٢٢٨).
(٣) أخرجه أبو داود (٥١٧٧)، وقال ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٣): إسنادُهُ جيِّدٌ.

أألجُ؟ فقال النبيُّ ـ ﷺ ـ لخادمه: «اخرُجْ إلى هذا، فعلِّمْهُ الاستئذان، فقلْ له: قُلِ السَّلامُ عليكم، أأدْخُلُ؟» فسمعَهُ الرَّجُلُ، فقال: السَّلامُ عليكمْ، أأدْخُلُ؟. فأذِنَ له النَّبيُّ - ﷺ ـ، فَدَخَلَ.

ومن أخطاءِ الناسِ في السَّلامِ تركُ السَّلامِ على الأَهْلِ عندَ دُخُولِ المَنْزِل.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

وأخرج التِّرمذيُّ في «سننه»، وحسَّنه الألبانيُّ في «المشكاة»[١] مِنْ حديثِ أَنَسِ ابنِ مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «يا بُنيَّ، إذا دَخَلْتَ على أَهْلِكَ فسلِّمْ؛ يَكُنْ بَرَكَةً عليك، وعلى أَهْلِ بيْتِكَ».

ومن أخطاءِ الناسِ في السَّلامِ ابتداءُ الكافرِ بالسَّلامِ، لقد ابتُلينا في هذا العَصْرِ بكَثْرةِ وُفُودِ الكُفَّارِ إلىٰ دِيارِنا، حتَّىٰ بلغ الحدُّ ببعضِ المسلمين إلىٰ التَّسْوِيةِ بَيْنَ المُؤمنين والكافرين في التحيَّة، وقد نهىٰ النبيُّ ـ ﷺ ـ عَنِ ابتداءِ الكافر بالسلام.

ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديثِ أبي هُريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا تبدءوا اليَهُودَ ولا النَّصارى بالسَّلام، فإذا لَقِيتُمْ أحدَهم في طريقٍ، فاضطَرُّوهُ إلى أَضْيَقِه».

لكن متىٰ سَلَّمَ علينا أَهْلُ الكتابِ، يكون الردُّ بقولِنا: وعليكمْ.

ففي «الصحيحين»[٣] من حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «إذا سلَّمَ عليكم أَهْلُ الكتابِ، فقولوا: وعليكُم».

نسألُ اللهَ أنْ يُصْلِحَ أحوالَ المسلمين، وأنْ يَهْدِيَنا جميعًا سواءَ السبيلِ.

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٩٨)، وقال الألباني في «المشكاة» (٤٦٥٢): حسن بطرقه.

(٢) رواه مسلم (٢١٦٧).

(٣) البخاري (٦٢٥٨)، ومسلم (٢١٦٣).

الخطبة الأولى

الأمر بحفظ اللسان إلا من الخير

إن الحمدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - ﷺ -، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ الله - سبحانه وتعالىٰ - منح الإنسان نِعمًا لا تُعَدُّ ولا تُحصىٰ، ومن أعظمها - بعد نعمة الهدىٰ والإيمان - نعمةُ اللسان.

ومجاهدة اللسان أشدُّ من جهاد الأعداءِ؛ فالإنسان يَهُون عليه الاحترازُ من الزنىٰ، ويَصْعُبُ عليه الاحترازُ من حركاتِ لسانِهِ، فكم قُطِعتْ من أرحامٍ، وتَفرَّقت

قلوب، بل وكم انْتُهِكَتْ من أعراض بسبب اللِّسان!

فعلينا - عبادَ الله - أن نحفظَ ألسنتنا عن جميع الكلام، إلا كلامًا تظهر المصلحةُ فيه، فالسلامة لا يَعْدِلُها شيءٌ، كما قال ذلك الإمام النوويُّ - رحمه الله -.

أيُّها النـاسُ، كم من الأدلة الدالَّة على حفظ اللسان في كتاب الله، وسنة رسول الله - ﷺ -، وإن كانتْ مشهورةً معلومةً، لكن الذِّكْرى تنفعُ المؤمنين، تنفعُ من كان له قلب، تنفع من ألقى السَّمع وهو شهيدٌ.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٣].

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كان يُؤْمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فلْيقُلْ خيرًا أو ليَصمُتْ**».

قال الإمام النوويُّ - رحمه الله - عند شرحه لهذا الحديث كما في «رياض الصالحين»[(٢)]: «وهذا صريح في أنه ينبغي ألا يتكلم، إلا إذا كان الكلام خيرًا،

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (٧٤).

(٢) «رياض الصالحين» (ص٥٢).

وهو الذي ظهرتْ مصلحتُهُ، ومتى شكَّ في ظُهورِ المَصْلَحةِ فلا يتكلَّمُ».

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي موسى الأشْعَريِّ - رضي الله عنه - قال: قُلْتُ: يا رسولَ الله، أيُّ المُسلمين أَفْضَلُ؟ قال: «مَنْ سَلِمَ المُسلمون منْ لسانه ويَدِه».

وأخرج التِّرمذيُّ في «سننه» بسندٍ حسنٍ صحيح - قاله الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»[(٢)] - من حديث سُفيان بن عبدِ الله - رضي الله عنه - قال: قلتُ: يا رسولَ الله حدِّثْني بأمرٍ أعتصمُ به قال: «قُل: ربِّيَ اللهُ، ثُمَّ استقمْ». قلتُ: يا رسولَ الله، ما أخوفُ ما تخافُ عليَّ؟. فأَخَذَ بلسانِ نَفْسِهِ، ثمَّ قال: «هذا».

وأخرج الترمذيُّ - أيضًا - في «سننه»، وقال: حديث حسَنٌ صحيحٌ، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[(٣)] من حديثِ مُعاذ بن جبلٍ قال: كنتُ مع النبيِّ ﷺ في سَفَرٍ، فأصبحتُ يومًا قريبًا منه، ونحن نَسيرُ، فقلتُ: يا رسولَ الله، أَخْبِرْني بعملٍ يُدْخِلُني الجنَّة، ويُباعِدُني مِنَ النَّارِ. قال: «لقدْ سألتَ عَنْ عظيمٍ، وإنه ليسيرٌ على مَنْ يَسَّره الله - تعالى - عليه». فعدَّ رسولُ الله - ﷺ - أبوابًا من الخير، قال بَعْدَها: «ألا أُخْبِرُك بملاك ذلك كُلِّه؟». فقلتُ له: بلى، يا رسولَ الله، قال: «كُفَّ عليك هذا» وأشار إلى لسانه. فقلتُ: يا نبيَّ الله، وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلَّمُ به؟! قال: «ثَكلتْكَ أُمُّك، وهَلْ يَكُبُّ الناسَ في النَّارِ على وُجُوهِهِمْ - أو قال: على مَناخِرِهِم - إلا حَصَائدُ ألسنتِهِمْ؟!».

وزادَ الطَّبرانيُّ - كما في[(٤)] -: «إنَّك لَنْ تَزَالَ سالمًا ما سكتَّ، فإذا تكلَّمتَ كُتِبَ عليك أو لك».

---

(١) رواه البخاري (١١)، ومسلم (٤٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٠)، وحسن إسناده الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٢).

(٣) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وصححه الألباني في «صحيحن الترغيب والترهيب» (٢٨٦٦).

(٤) «صحيح الترغيب والترهيب» و«فتح الباري» (١١/ ٣٠٩).

وفي «صحيح البخاري»(١) من حديث سَهْلِ بن سَعْدٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لي مَا بَيْنَ لَحْيَيْه، وما بَيْنَ رِجْلَيْه ـ أَضْمَن له الجَنَّةَ».

فقوله: «ما بَيْنَ لَحْيَيْه»: أي لسانه، واللَّحْيَانِ: هُما العَظْمانِ اللَّذَانِ يَنْبُتُ عليهما الأسنانُ. و «ما بَيْنَ رجليه»: أي الفَرْج.

وفي «الصحيحين»(٢) من حديث أبي هُريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقولُ: «إنَّ العَبْدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ ما يتبيَّنُ فيها، يَزِلُّ بها في النَّارِ أَبْعَدَ ممَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِب».

وفي «صحيح البخاريِّ»(٣) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ﷺ قال: «إن العبدَ ليتكلمُ بالكلمة منْ رضوانِ الله، لا يُلْقِي لها بالاً، يرْفَعُ اللهُ بها درجات، وإنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ منْ سَخَطِ الله، لا يُلقِي لها بالاً يهْوِي بها في جهنَّمَ».

قال ابن حَجَرٍ ـ رحمه اللهُ ـ: «لا يلقي لها بالاً، أي: لا يتأَمَّلُها بخاطره، ولا يتفكَّر في عاقبتها، ولا يظنُّ أنها تُؤَثِّرُ شيئًا»(٤).

فيا عبدَ الله، قَبْلَ أنْ تخرجَ الكلمةُ من فِيكَ، أعطِ نَفْسَكَ فُرْصَةً للتفكير، هل ما ستقوله يُرضي اللهَ، أم يُغضبه؟ هل تكونُ عاقبتُهُ خيراً أم شرًّا؟ يا عبد الله، الكلمة إذا لم تخرج من فيك فأنت مالكها، ومتى خرجت فأنت أسيرُها.

ففي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن التِّرمذيِّ»(٥)

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧٤).

(٢) رواه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

(٣) رواه البخاري (٦٤٧٨).

(٤) «فتح الباري» (١١/ ٣١١).

(٥) رواه الترمذي (٢/ ٣٥٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٩٩٦).

من حديث بلال بن الحارث - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الرَّجُلَ يتكلَّمُ بالكلمة منْ رضوان الله - تعالى - ما كان يَظُنُّ أنْ تَبْلُغَ ما بَلَغَتْ، يكتبُ اللهُ له بها رضْوَانَهُ إلى يوم يَلْقَاهُ، وإنَّ الرَّجُلَ ليتكلَّمُ بالكلمة من سخط الله، ما كان يَظُنُّ أنْ تَبْلُغَ ما بلغت، يكتبُ اللهُ له بها سَخَطَهُ إلى يوم يَلْقاهُ».

وأخرج الترمذي في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن الترمذي»[1] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الرجلَ ليتكلَّمُ بالكلمة، لا يَرَى بها بَأْسًا، يَهوي بها سبعين خريفًا في النارِ».

انظرْ - يا عبدَ الله - الرجل منَّا قَدْ يُشارُ لهُ بالدِّين والزُّهْد والعبادة، وهو يتكلَّمُ بالكلمة، لا يُلقي لها بالاً، ولا يرىٰ بها بأسًا، تهوي به في النار سبعين سنة!.

وأخرج التِّرمذيُّ - أيضًا - في «سننه»، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة»[2] من حديث عُقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: قلتُ: يا رسولَ الله، ما النَّجاةُ؟ قال: «أَمْلِكْ عليك لسانَكَ، ولْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وابْكِ على خَطيئتك».

وفي «سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة»[3] من حديث عبد الله بن عَمْرو بن العاص - رضي الله عنهما - أنَّ رسولَ الله - ﷺ - قال: «مَنْ صَمَتَ نَجَا».

فالنجاة النجاة - يا عبدَ الله - بحفظ اللِّسان، ولُزُوم الصَّمْت إلا من الخير، فإنك لن تَنْدَمَ علىٰ الصَّمْت، بل سوفَ تندمُ علىٰ الكلام، بل الصَّمْتُ يُكسبُكَ وَقارًا وبَهاءً وكمالاً، ويزيدُكَ جمالاً إلىٰ جمالك، وقد كان نبيُّنا ﷺ طويلَ الصَّمْت، كما في

(١) رواه الترمذي (٢٤٣٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٨٨٤).
(٢) رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٩٠).
(٣) رواه الترمذي (٢٦٣١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٣٦).

«مُسْند أحمدَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة»[(١)] من حديث جابر بن سَمُرةَ - رضي الله عنه . قال: «كان رسولُ الله ﷺ طويلَ الصَّمْتِ، قليلَ الضَّحِكِ».

أيُّها الناسُ، إنَّ الرجلَ بلسانِه، ولن تستقيم جوارحُهُ حتى يستقيمَ لسانُهُ.

فقد أخرج التِّرمذيُّ في «سننه» بسندٍ حسنٍ، صححه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[(٢)] من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ: - «إذا أصبح ابْنُ آدمَ، فإنَّ الأعضاءَ كُلَّها تُكَفِّرُ اللِّسان، فتقولُ: اتَّقِ اللهَ فينا؛ فإنَّما نحنُ بكَ، فإن استَقَمْتَ استَقَمْنَا، وإن اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا».

وأخرج الإمام أحمدُ في مسنده بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب»[(٣)] من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ: - «لا يستقيمُ إيمانُ عبد، حتى يستقيمَ قلبُهُ، ولا يستقيمُ قلبُهُ، حتَّى يستَقيمَ لسانهُ، ولا يدخُلُ الجنَّةَ رجلٌ لا يَأْمَنُ جاره بوائقَهُ».

عبادَ الله، ما أَحْوَجَنا إلى حفظ ألسنتنا، وتَرْكِ ما لا يَعْنينا أمرُهُ، ولا سيَّما عند حدوث الفتن، فقد أخرج ابنُ ماجَهْ في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجه»[(٤)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «منْ حُسْنِ إسلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنيه». ومعنى ما لا يَعْنيه: أي ما لا يُفيدُهُ من الأقوال والأفعال.

أيُّها الناسُ، استعيذوا بالله من شرِّ اللسان.

---

(١) رواه أحمد، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٨٢٦).
(٢) رواه الترمذي (٢٤٠٧)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٧١) (١٩١٢).
(٣) رواه أحمد، وحسن إسناده الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٥).
(٤) رواه ابن ماجه (٣٩٧٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٢١١).

فقد أخرج التِّرمذيُّ في «سننه» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سُنن التِّرمذيِّ»(١) من حديث شَكَلِ بنِ حُمَيدٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: أتيتُ النَّبيَّ ـ ﷺ ـ فقلتُ: يا رسولَ الله، علِّمْني تعوُّذًا أتعوَّذُ به. قال: فأخذ بكفِّي فقال:

«قُلْ: اللهُمَّ إني أعوذُ بك من شَرِ سَمْعي، ومِنْ شَرِّ بَصَري، ومن شرِّ لساني، ومِنْ شَرِّ قَلْبي، ومن شرِّ مَنِيِّي».

وأستغفرُ اللهَ.

---

(١) أخرجه النسائي (٣/١١٠٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٥٠٣١).

الخطبة الثانية

الأمر بحفظ اللسان إلا من الخير

الحمْد لله وَحْدَهُ، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونتوبُ إليه، ونُثْني عليه الخَيْرَ كُلَّه، نرجوه ولا نرجو أحدًا سِواهُ، ونشكرُهُ على نعمِهِ العظيمة، وآلائِهِ الجسيمة، والصلاة والسلام على عبدِهِ ورسوله ﷺ، وعلى آله وصَحبه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، سبق أنْ تحدَّثنا معكم حولَ خُطورة اللِّسان، والآنَ نتحدَّثُ معكم حولَ أعظمِ آفَةٍ من آفات اللسان ألا وهي الغِيْبَةُ، والغِيْبَةُ هي: «ذِكْرُ العَيْبِ بظَهْرِ الغَيْبِ».

ففي «صحيح مسلم»(١) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**أتدرونَ ما الغيبةُ؟**» قالوا: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ. قال: «**ذكْرُكَ أخاك بما يكْرَهُ**». قيل: أفَرَأَيْتَ إن كان في أخي ما أقولُ؟ قال: «**إن كان فيه ما تقولُ فقد اغتبتهُ، وإن لم يكن فيه فقدْ بَهَتَّهُ**»: أي افتريتَ عليه الكذبَ.

والغِيبةُ - عبادَ اللهِ - من كبائر الذنوب، قال الإمام ابن حَجَرٍ الهَيْتميُّ - رحمه الله -: «الذي دلت عليه الدلائلُ الكثيرة الصحيحةُ الظاهرةُ أنَّها كبيرة، لكنها تختلف عِظمًا وضِدَّهُ بحسب اختلافِ مفسدتِها»(٢).

وهي - أي الغِيبةُ - محرَّمة بإجماع المسلمين، وقد تظاهر على تحريمها الدلائلُ

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٠٠).

(٢) «الزواجر» (٣٧١).

الصريحةُ من الكتاب، والسُّنة، وإجماع الأمة، كما قال الإمام النوويُّ - رحمه الله -[(١)] .

ومن الأدلَّة الدَّالَّة على تحريم الغيبة - على سبيل المثال - قولُ الله - سبحانه وتعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] .

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: **«المسلمُ أخو المسلمِ: لا يَظْلِمُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، التَّقْوى ها هُنا - ويشير إلى صَدْرِهِ ثلاثَ مرَّاتٍ - بِحَسْبِ امرئٍ من الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاه المسلمَ، كُلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ: دمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ»** .

وفي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[(٣)] من حديث أبي بَرْزَةَ الأسلَميِّ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: **«يا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلسانِه، ولم يَدْخُلِ الإيمانُ قَلْبَهُ، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبعوا عوراتِهم؛ فإنه من اتبع عوراتِهم، يتَّبع اللهُ عَوْرَتَهُ، ومن يتَّبع اللهُ عَوْرَتَه يَفْضَحه في بيتِه»** .

أيُّها الناس، الحديث عن الغِيبَةِ ذو شُجُونٍ، فهو بَحْرٌ لا ساحلَ له، والمؤمنُ يَكْفيه دليلٌ واحدٌ صحيحٌ صريحٌ يفهمُهُ، ويَعْمَلُ بِهِ.

أيُّها الناسُ، قد سمعتم حكم الغِيبة، لكن ماذا يجبُ علينا إذا سمعنا غيبة أخينا المسلم؟ إنه يجب علينا إذا سَمِعْنا غيبةَ أخينا المسلم أن نردَّها، ونُنكر على قائلها بأن

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٤٧٣).
(٢) رواه مسلم (٤/ ١٩٨٤).
(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٧٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٤٩).

هذا لا يجوز، فإن لم يقبلِ المغتابُ النصيحة، وجب علينا أن نُفارقَ ذلك المجلس، فإن فعلنا ذلك فقد أدَّينا ما علينا من حقِّ أخينا، فإن سكَتْنا فقد شاركْنا المُغتابَ في الإثم، وكنَّا أَهْلاً لخِذْلانِ اللهِ لنا، والعياذ بالله!.

ففي «سنن أبي داودَ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألباني[1] من حديث جابر بن عبد الله وأبي طَلْحَةَ - رضي الله عنهم - قالا: قال رسول الله ﷺ: «ما من امرئٍ يَخْذُلُ امرأً مُسلمًا في موضعٍ تُنْتَهَكُ فيه حُرْمَتُهُ، ويُنتقصُ فيه مِنْ عِرْضِه - إلا خَذَلَهُ اللهُ في موطنٍ يُحبُّ فيه نُصْرتَهُ، وما من امرئٍ يَنْصُرُ مسلمًا في موضعٍ يُنْتَقَصُ فيه من عِرضِه، ويُنْتَهَكُ فيه من حُرْمَتِه - إلا نَصَرَهُ اللهُ في موطنٍ يُحبُّ نُصْرَتَهُ».

وفي «مسند الإمام أحمد»، و«سنن التِّرمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[2] من حديث أبي الدَّرْداء - رضي الله عنه - عن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ ردَّ عَنْ عِرْضِ أخيه بالغيب، ردَّ اللهُ عَنْ وَجْهِه النَّارَ يَوْمَ القيامة».

وأخرج الإمامُ أحمدُ - أيضًا - في «مُسنده» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[3] من حديث أسماءَ بنتِ يَزيد الأنصاريَّة - رضي الله عنها - عَنِ النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أخيه بالغَيْبة، كان حقًّا على الله أنْ يُعتقَهُ من النَّار».

وفي «الصحيحين»[4] من حديث عِتْبانَ بنِ مالكٍ الأنصاريِّ - رضي الله عنه - في

(١) رواه أبو داود - واللفظ له - (٤٨٨٤)، وأحمد (٤/ ٣٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ٥٦٩٠).

(٢) رواه الترمذي (١٩٣١)، وأحمد (٦/ ٤٥٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ٦٢٦٢).

(٣) رواه أحمد (٦/ ٤٦١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ٦٢٤٠).

(٤) رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

حَديثه الطويل المشهور قال: قام النبيُّ -ﷺ- يُصلِّي، فقالوا: أيْنَ مالكُ بنُ الدُّخَيْشِن - أو ابْنُ الدُّخْشن -؟

فقال بعضُهم: ذلك منافقٌ لا يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ.

فقال النبيُّ -ﷺ-: «**لا تَقُلْ ذلك؛ ألا تَراهُ قَدْ قال: لا إله إلا اللهُ يريدُ بذلك وَجْهَ الله؟!**».

قال: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ. قال: فإنَّا نرىٰ وَجْهَهُ ونصيحتَهُ للمنافقين قال: فقال رسولُ الله -ﷺ-: «**فإنَّ اللهَ قد حَرَّم على النارِ مَنْ قال: لا إله إلا اللهُ يبتغي بذلك وَجْهَ الله**».

وفي «الصحيحين»(١) - أيضًا - عن كَعْبِ بنِ مالكٍ في حديثِهِ الطويل في قصَّةِ توبته قال: قال النبيُّ ﷺ - وهو جالس في القوم في تبُوكَ: «**ما فَعل كَعْبُ بنُ مالك؟**».

فقال رجلٌ من بني سَلَمَةَ: يا رسولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ والنَّظَرُ في عِطْفَيْهِ.

فقال له معاذُ بن جَبَلٍ - رضي الله عنه -: بئْسَ ما قُلْتَ!، والله - يا رسولَ الله - ما عَلِمْنا عليه إلا خيراً.

فسكت رسولُ اللهِ -ﷺ-.

جنَّبنا اللهُ وإيَّاكم مزالَّ اللِّسانِ، ووقانا وإيَّاكم عَذَابَ النِّيرانِ.

---

(١) البخاري (٤٤٨٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، واللفظ له.

خطبة عيد الفطر المبارك

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ، فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ(١).

---

(١) خطبة العيد كسائر الخطب، تفتتح بالحمد والثناء على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، قال ابن القيِّم في «زاد المعاد» (١/ ٤٤٧): «وكان ﷺ يفتتح خطبه كلها بالحمد لله، ولم يحفظ عنه في حديثٍ واحدٍ أنه كان يفتتح خُطبتَي العيدين بالتكبير». اهـ. ولم يثبت التكبير قبل الخطبتين لا في حديثٍ مرفوعٍ، ولا موقوفٍ، وعمدة بعض الفقهاء الذين قالوا بذلك حديثان ضعيفان، ضعفهما الألبانيُّ في «إرواء العليل» الأول برقم (٦٤٧)، والثاني برقم (٦٤٨).

ولم يصحَّ في السنة أن للعيد خطبتين، يُفصل بينهما بجلسةٍ، والوارد في ذلك حديث=

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، احْمدُوا اللهَ - سبحانه وتعالىٰ - واشْكُروه علىٰ ما أَنْعَم به عليكم مِن إتمامِ صيامِ شَهْرِ رَمَضَانَ وقِيامِه، واسألوا اللهَ مِنْ فَضْلِه أنْ يتقبَّلَ منكم صيامَ رَمَضَانَ، ويتجاوزَ عمَّا حَصَلَ مِنَ التفريطِ والإهمالِ، فهو - سبحانه وتعالىٰ - غفَّارُ الذُّنوبِ، وقابلُ التَّوْبِ، أرحمُ الرَّاحمينِ، وأكرمُ الأكرمين.

أيُّها الناسُ، اعْرفُوا نعْمةَ اللهِ عليكم بهذا العيدِ السَّعيدِ، اليومِ الذي توَّجَ اللهُ به شَهْرَ الصِّيامِ، فالعيدُ هو مَوسِمُ الفَرَحِ والسُّرورِ، وأفراحُ المؤمنين وسُرورُهم في الدُّنيا إنَّما هو بمولاهم، إذا فازوا بإكمالِ طاعتِه، وحازُوا ثوابَ أعمالِهم بوثوقِهم بوَعْدِه لهم عليها بفَضْلِه ومغفرتِه.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [يونس: ٥٨].

قال بَعْضُ العارفين: ما فَرِحَ أَحَدٌ بغيرِ اللهِ إلا لغَفْلَتِهِ عنِ اللهِ، فالغافلُ يَفْرَحُ بلَهْوِهِ وهَوَاهُ، والعاقلُ يَفْرَحُ بمَوْلاهُ.

أيُّها الناسُ، إنه يُستحبُّ التبكيرُ لصلاةِ العيدِ لقول اللهِ - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ**﴾ [المائدة: ٤٨]. والعيدُ مِنْ أعظمِ الخيراتِ.

ويُستحبُّ للرجال الاغتسالُ، والزِّينة، والتطيُّب، ولُبْسُ أَحْسَنِ الثِّيابِ للعيدِ.

ففي «الصحيحين»[1] مِنْ حديثِ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قال: «أَخَذَ عُمَرُ جُبَّةً مِنْ إسْتَبْرَقٍ، تُباعُ في السّوقِ، فأَخَذها، فأتىٰ رسولَ اللهِ ﷺ، فقال: يا

= ضعيف، رواه البزار في «مسنده» برقم (٥٣) عن سعد - رضي الله عنه -: أن النبي ﷺ كان يخطب خطبتين، يفصل بينهما بجلسة». وقد قال البخاري في سنده: «منكر الحديث» فتبقىٰ خطبة العيد واحدة علىٰ الأصل، انظر «أحكام العيدين» لعلي حسن الحلبي (ص٥٦).

(١) رواه البخاري (٩٤٨)، ومسلم (٢٠٦٨).

رسولَ الله، ابْتَعْ هذه، تجمَّلْ بها للعيْدِ والوُفُودِ».

فالشاهدُ منْ قَـوْلِ عُمَرَ «تجمَّلْ بها للعيدِ»، مِنْهُ عُلِمَ أنَّ التَجمُّلَ يَوْمَ العيدِ كانَ عادةً مُتقررةً بَيْنَهُمْ، لم يُنْكِرْها النبيُّ -ﷺ-، فَعُلِمَ بقاؤها، كما قال الإمامُ النَّسائيُّ -رحمه الله-. وعلينا أنْ نلبسَ اللِّباسَ الذي هو مِنْ لِباسِ أَهْلِ العِلْمِ والصَّلاحِ، ونبتعدَ عَنْ لِباسِ أَهْلِ المُجُونِ والفسادِ.

فأهلُ العِلْمِ والصَّلاحِ يلبسون الإزارَ والسَّراويلَ، وهذا معروفٌ لديْهم مِنْ لَدُنِ النَّبي -ﷺ- حتىٰ يوم الناس هذا، وكان أحبّ الثِّيابِ لرسولِ الله -ﷺ- القميصُ، كما روىٰ **ذلك** التِّرمذيُّ بسندٍ حسنٍ[1] من حديث أُمِّ سَلَمَةَ -رضي الله عنها-.

والغالبُ علىٰ أهلِ الصَّلاحِ أنَّهم يلبسون البِيضَ مِنَ الثِّيابِ.

ففي «سنن ابن ماجة» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجه»[2] من حديثِ ابنِ عبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُ ثيابِكمُ البَيَاضُ؛ فالْبَسُوها، وكَفِّنُوا فيها مَوْتاكُم**».

وأخرج ابْنُ ماجَهْ بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجَهْ»[3] مِنْ حديثِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ -رضي اللهُ عنه- قال: قال رسولُ الله -ﷺ-: «**الْبَسُوا ثيابَ البَياضِ؛ فإنَّها أطْهَرُ وأَطْيَبُ**».

---

(١) الترمذي (١٧٦٢).

(٢) رواه ابن ماجَهْ في «سننه» (٣٥٦٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجَهْ» (٢٨٦٩).

(٣) رواه ابن ماجَهْ في «سننه» (٣٥٦٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجَهْ» (٢٨٧٠).

فقـولُهُ: «فإنَّهـا أطْهَرُ وأطْيَبُ»؛ لأنَّه يَلُوحُ فيها أدْنَىٰ وَسَخٍ فَيُزالُ، بخلافِ سائرِ الألْوانِ.

قال الطِّيبيُّ: «لأنَّ البِيْضَ أكثرُ تأثيرًا مِنَ الثِّيابِ المُلَوَّنةِ، فتكونُ أكثرَ غسلاً؛ فتكونُ أَطْهَرَ. و«أَطْيَبُ»: أي أحْسَنُ طَبْعًا وشَرْعًا»(١).

فهذا - أيُّها الناسُ - لِباسُ أهلِ العِلْمِ والصَّلاحِ، فعلَيْنا أنْ نَحْذَرَ ونُحَذِّرَ مِنْ لِباسِ الكُفَّارِ.

ففي «صحيح مسلم»(٢) مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو - رضي الله عنه - قال: رأىٰ النبيُّ - ﷺ - عليَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ، فقال: «**إنَّ هذه مِنْ ثياب الكُفَّار؛ فلا تَلْبَسْهَا**» وهذا الحديثُ عامٌّ في كُلِّ ما كان مِنْ خَصَائصِ الكُفَّارِ وعاداتِهم، ومِنْ خَصائصِ الكفَّارِ وعادتِهمُ اليومَ البِنْطالُ، والكرفتَّةُ، وتتبُّعُ المُوضَةَ.

ومِنَ الظواهرِ الخطيرةِ - أيُّها الناسُ - ما انتشر بَيْنَ الشَّبابِ والفتياتِ، فنجدُ الرَّجُلَ يتزيَّنُ بحَلْقِ لِحيتِه.

وهذا مخالفٌ لأَمْرِ النبيِّ - ﷺ - القائل - كما في «الصحيحين»(٣) مِنْ حديثِ ابن عمر - رضي الله عنهما -: «**أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وأَعْفُوا اللِّحَى**».

ونجدُ الفتياتِ يتشبَّهْنَ بالرجالِ في كثيرٍ من الأُمورِ: كقَصِّ شعرِ الرَّأْسِ، وارتداءِ اللِّباسِ الضَّيِّقِ الذي يَصِفُ مفاتنَ الجِسْمِ، ولُبْسِ البِنْطالِ الذي يُحدِّدُ أجزاءَ البَدَنِ التي يُحيطُ بها، مع ما في لُبْسِه مِنْ تشبُّهٍ بالرِّجالِ؛ لأنه من لباسِهِمْ.

ففي «صحيح البخاريِّ»(٤) مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عبّاسٍ - رضي الله عنهما -

---

(١) «تحفة الأحوذيِّ» (٨/ ٧٦)، (٨/ ٢٠٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣١٤).
(٢) رواه مسلم (٢٠٧٧).
(٣) رواه البخاريُّ (٥٨٩٣)، ومسلم (٢٥٩).
(٤) رواه البخاري (٥٨٨٥).

قال: «لَعَنَ رسولُ اللهِ - ﷺ - المُتشبِّهينَ مِنَ الرِّجالِ بالنِّساءِ، والمُتَشَبِّهاتِ مِنَ النِّساءِ بالرِّجالِ».

أيُّهـا الناسُ، لقد كان شَهْرُ رَمَضَانَ ميدانًا يتنافسُ فيه المتنافسون، ويتسابق فيه المتسابقون، حتَّىٰ إذا انتهىٰ مَوْسِمُ الصِّيامِ فَتَرَتْ عَزَائِمُهم، وأَخْلَدَتْ نُفُوسُهُم للرَّاحةِ.

قيل لبِشْرٍ - رحمه الله -: إنَّ قَوْمًا يتعبَّدون ويجتهدون في رَمَضَانَ. فقال: «بِئْسَ القومُ؛ لا يعرفون اللهَ حقًّا إلا في شَهْرِ رَمَضَانَ، إنَّ الصَّالح الذي يتعبَّدُ ويَجْتَهِدُ السَّنَةَ كُلَّها».

وسُئِلَ الشِّبليُّ - رحمه الله -: أيُّما أفضلُ رَجَبٌ أو شَعْبانُ؟ فقال: «كُنْ ربانيًا، ولا تكنْ شعبانيًا، كانَ النَّبيُّ ﷺ عَمَلُهُ دِيمَةً».

ففي «الصحيحين»[(١)] مِنْ حديثِ عَلْقَمَةَ قال: سألتُ أُمَّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -، قال: قلتُ: يا أُمَّ المؤمنين، كيف كان عَمَلُ رسول الله - ﷺ -؟، هَلْ كان يَخُصُّ شيئًا من الأيَّامِ؟ قالتْ: لا، كان عَمَلُهُ دِيمَةً. وأيُّكُمْ يستطيعُ ما كان رسولُ اللهِ - ﷺ - يستطيعُ؟!».

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] مِنْ حديثِ عائشةَ - رضي الله عنها - أنَّ رسولَ اللهِ - ﷺ - سُئِلَ: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلىٰ اللهِ؟ قال: «**أدْوَمُهُ، وإنْ قَلَّ**».

فعلينا - أيُّها الناسُ - بالمحافظةِ علىٰ الأعمالِ الصَّالحةِ، ومنها الصلاةُ في أوقاتِها حيثُ يُنادَىٰ لها.

فإنَّ مِنْ صفاتِ عبادِ الرَّحمنِ المُداومةَ علىٰ الأعمالِ الصَّالحةِ، قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾ [المعارج: ٢٣].

---

(١) رواه البخاري (١٩٨٧)، ومسلم (٧٨٧).

(٢) رواه مسلم (٧٨٢).

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩].

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ أراد منكم أنْ يَصِلَهُ اللهُ في الدُّنيا والآخرةِ، ويَمُدَّهُ بالرَّحمةِ، ويُيَسِّرَ له الأُمورَ، ويُفَرِّجَ عنه الكُرُباتِ - فعليه أَنْ يَصِلَ رَحِمَهُ.

ففي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»(١) مِنْ حديثِ عَبْدِ الرَّحمنِ بْنِ عَوْفٍ - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ - ﷺ - يقولُ: «**قال الله - تعالى -: أنا الرَّحْمنُ، وهي الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لها اسْمًا مِن اسْمي، مَنْ وَصَلَها وَصَلْتُهُ، ومَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ**» أي: قَطَعْتُهُ.

وصِلَةُ الرَّحِمِ - أيُّها الناسُ - مِنْ أعظمِ أسبابِ دُخُولِ الجَنَّةِ.

ففي «الصَّحيحين»(٢) من حديثِ أبي أيُّوبَ الأنصاريِّ - رضي الله عنه - قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ - ﷺ - فقال: دُلَّني على عَمَلٍ أعْمَلُهُ، يُدْنيني مِنَ الجنَّةِ، ويُباعِدُني مِنَ النَّارِ. قال: «**تَعْبُدُ اللهَ لا تُشْرِكُ به شيئًا، وتُقيمُ الصَّلاةَ، وتُؤْتي الزَّكاةَ، وتَصِلُ ذا رَحِمك**»، فلمَّا أدْبَرَ، قال رسولُ اللهِ - ﷺ -: «**إنْ تَمَسَّكَ بما أُمِرَ به، دَخَلَ الجَنَّةَ**».

والصَّدقةُ على ذي الرَّحمِ أعظمُ أَجْرًا مِنَ الصَّدقةِ على المِسْكينِ.

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»(٣) مِنْ حديثِ سَلْمانَ بْنِ عامرٍ - رضي الله عنه - عنِ النَّبيِّ - ﷺ - قال: «**إنَّ الصَّدَقَةَ على المسكينِ صَدَقَةٌ، وعلى ذي الرَّحِمِ اثْنَتَان: صَدَقَةٌ، وصِلَةٌ**».

وفي «الصحيحين»(٤) من حديثِ زَيْنَبَ امرأةِ عَبْدِ اللهِ قالتْ: سألتُ رسولَ اللهِ -

---

(١) رواه أبو داود في «سننه» (١٦٩٤).

(٢) رواه البخاري (١٣٩٦)، ومسلم (١٣)، واللفظ له.

(٣) رواه الترمذي (٦٥٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٥٨).

(٤) رواه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠).

ﷺ -: أَيُجزِئُ عنِّي مِنَ الصَّدقةِ النَّفَقَةُ علىٰ زَوْجِي، وأيتامٍ في حجْري؟ فقال رسولُ الله -ﷺ- «نَعَمْ، ولها أَجْرانِ: أَجْرُ القرابةِ، وأَجْرُ الصَّدَقةِ».

وقطيعةُ الرَّحِمِ -أيُّها الناسُ- مِنْ كبائرِ الذُّنوبِ. ففي «الصحيحين»[1] مِنْ حديثِ جُبَيرِ بْنِ مُطْعِمٍ -رضي الله عنه- أنَّ رسولَ اللهِ -ﷺ- قال: «**لا يدخلُ الجنَّةَ قاطعُ رَحِمٍ**».

إنَّ قطيعةَ الرَّحِمِ من أعجلِ المعصيةِ عقوبةً.

ففي «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[2] من حديثِ أبي بَكْرَةَ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ -تعالى- لصاحِبِهِ العُقوبَةَ في الدُّنيا -مَعَ ما يَدَّخِرُ له في الآخرةِ- مِثْلُ البَغْيِ، وقطيعةِ الرَّحِمِ**».

فعلينا أنْ نَصِلَ أرْحامَنا بحدودِ ما نستطيعُ: مِنَ الإحسانِ إليهم، وبَذْلِ الجاهِ، أو النَّفْعِ البَدَنيِّ، أو النَّفْعِ الماليِّ، بحَسَبِ ما تطلبُهُ قُوَّةُ القرابةِ، فإنْ لم يتيَسَّرْ لنا ذلك، نصلُهم بالكلمةِ الطَّيِّبةِ: مِنْ بَسْطِ الوَجْهِ، ولِينِ الجانبِ، وكَفِّ الأذىٰ، وخَفْضِ الجَنَاحِ، وبَذْلِ السَّلامِ.

إنَّ السَّلامَ أقلُّ ما تَحْصُلُ به الصِّلَةُ.

فقد أخرج وَكِيعٌ في «الزُّهْدِ» بسندٍ صحيحٍ[3]، صحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة» مِنْ حديثِ سُوَيْدِ بنِ عامرٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ اللهِ -: «**بُلُّوا أرحامَكم، ولو بالسَّلامِ**».

---

(١) رواه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

(٢) رواه أبو داود (٤٩٠٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٠٤).

(٣) أخرجه وكيع في «الزهد» (٢/ ٧٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٧٧).

ومعنىٰ بُلُّوا: أي نَدُّوها بِصِلَتِها.

ومنَ الكِبْر وسوء الأخلاق أنْ نعاملَ قرابتنا بالمِثْلِ، إنْ وَصَلُونا وَصَلْناهم، وإنْ قَطَعُونا قَطَعْناهُمْ، والذي يفعلُ ذلك ليس بواصلٍ علىٰ الحقيقةِ، بل هو مُكافِئٌ للمعروفِ بِمِثْلِه.

والرَّجُلُ الصَّالحُ هو مَنْ يَصِلُ قَرابَتَهُ ابتغاءَ وَجْهِ اللهِ ولا يُبالي سواءٌ أَوصَلوهُ أمْ لا.

ففي صحيح البخاريِّ[1] مِنْ حديثِ ابن عَمْرٍو - رضي الله عنهما - عنِ النبيِّ - ﷺ - قال: «**ليس الواصِلُ بالمُكافِئِ، ولكنِ الواصلُ الذي إذا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَها**».

وحثَّنا النبيُّ - ﷺ - علىٰ أداءِ حقِّ الرَّحمِ، وإنْ عاملُونا بالجَفْوةِ والغِلْظَةِ والشَّرِّ، في حينِ أنَّهُ يُطَمْئِنُنا علىٰ مُستقبلنا، ويُزيحُ عَنْ قُلُوبنا اليَأسَ.

ففي «صحيح مسلم»[2] مِنْ حديثِ أبي هُريرة - رضي الله عنه - أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله، إن لي قرابةً، أصِلُهُمْ ويَقْطَعُونني، وأحْسِنُ إليهم ويُسيئُونَ إليَّ، وأَحْلُمُ عنهم ويَجْهَلُون عليّ. فقال: «**لَئِنْ كُنْتَ كما قُلْتَ، فكأنَّما تُسِفُّهُم المَلَّ (أي: تُطْعِمُهُم التُّرْبةَ المُحْماةَ)، ولا يزالُ معَكَ مِنَ اللهِ ظهيرٌ عليهم، ما دُمْتَ على ذلك**».

أيُّها الناسُ، السَّلامُ أمَانُ اللهِ في الأرضِ، وتحيَّةُ أَهْلِ الإسلامِ في الدُّنيا، وتحيَّةُ المؤمنينَ في الجنَّةِ.

فهو اسْمٌ من أسماءِ الله - تعالىٰ - الحُسْنَىٰ.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

---

(١) رواه البخاري (٥٩٩١).

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٨).

وفي «صحيح البخاري»[(١)] مِنْ حديثِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ في حديثِ التشهُّد: «**إنَّ اللهَ هُو السَّلامُ**».

والسَّلامُ مَعْنَاهُ: التَّعْويذُ باللهِ، والتحصينُ به، وتقديرُهُ: اللهُ عليك حفيظٌ وكفيلٌ، كما يُقالُ: الله معك (أي: بالحفظِ والمَعُونةِ واللُّطْفِ).

وقيل: مَعْنَاهُ السَّلامةُ (أي: سلامةُ الله مُلازمةٌ لك).

روىٰ الطبرانيُّ في «الكبير»، والبزارُ في «مسندِهِ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة»[(٢)] مِنْ حديثِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قال: «**السَّلامُ اسْمٌ مِنْ أسماءِ الله، وَضَعَهُ اللهُ في الأرضِ، فأَفْشُوه بَيْنَكُمْ، فإنَّ الرَّجُلَ المُسلمَ إذا مَرَّ بقومٍ، فسلَّمَ عليهم، كان له عليهم فَضْلُ دَرَجَةٍ بتذكيرِهِ إيَّاهُمُ السَّلامَ، فإنْ لم يردُّوا عليه، ردَّ عليه مَنْ هُوَ خَيْرٌ منهمْ وأَطْيَبُ**».

فعلينا بإفشاءِ السَّلامِ؛ فإنه مِنْ أعظمِ وسائلِ المودَّة والمحبَّةِ بَيْنَ المُؤمنين، مع ما في إفشاءِ السَّلامِ مِنَ الأجرِ العظيمِ، والثوابِ الجزيلِ.

ففي «صحيح مسلم»[(٣)] مِنْ حديثِ أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تدخلوا الجنَّةَ حتَّى تُؤْمنوا، ولا تُؤمنوا حتَّى تحابُّوا، أوَلا أدلُّكُمْ على شيءٍ إذا فعلتُمُوهُ تحابَبْتُم؟ أفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ**».

أيُّها الناسُ، المُصافحةُ سُنَّةٌ، ومنَ الأعمالِ الصَّالحاتِ، التي تُكَفِّرُ الذُّنوبَ.

---

(١) رواه البخاري (٨٣١).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٣٩١)، والبزار في «مسنده» (١٩٩٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٩٤).

(٣) تقدم تخريجه.

ففي «سنن التِّرْمذيِّ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[١] مِنْ حديثِ البَراءِ بنِ عازبٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ اللهِ - ﷺ -: «ما مِنْ مسلمين يَلْتقيانِ، فَيتصافحانِ، إلاَّ غفرَ لهما قَبْلَ أنْ يَتفرَّقا».

وممَّا يدلُّ علىٰ أنَّها سُنَّةٌ ما جاء في «صحيح البُخاريِّ»[٢] مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: «عَلَّمَني النبيُّ - ﷺ - التشهُّدَ، وكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ».

ولننظرْ - أيُّها الناسُ - إلىٰ آدابِ المُصافحة، كما علَّمنا ذلك نبيُّنا - ﷺ -

ففي «سننِ التِّرْمذيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[٣] مِنْ حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ - رضي الله عنه - قال: قال رجل: يا رسولَ اللهِ، أَحَدُنا يَلْقىٰ صَدِيْقَهُ، أَيَنْحني له؟ قال: «لا». قال: فَيَلْزَمُهُ ويُقَبِّلُهُ؟ قال: «لا». قال: فيُصافِحُهُ؟ قال: «نَعَمْ، إنْ شَاءَ».

فهذا هو الأدبُ الذي أدَّبنا به نبيُّنا - ﷺ -، عَضُّوا عليه بالنَّواجذِ، ولا تغترُّوا بما يفعلُهُ بَعْضُ الناسِ مِنَ الإفراطِ في القُبَلِ علىٰ الخَدِّ، والأيْدي، وأحيانًا علىٰ الأَرْجُلِ، فكُلُّ هذا خلافُ ما عليه السَّلَفُ المُقْتدىٰ بهم.

ومن الناسِ مَنْ يُصافحُ النِّساءَ، فإذا ما عُوتِبَ في ذلك، قال: هذهِ أُمِّي - إنْ كانت عَجُوزًا - أو أُختي - إن كانت شابةً -![٤].

ومصافحةُ النِّساءِ غَيْرَ المحارمِ مُحرَّمةٌ،

فقد أخرج الطَّبرانيُّ في «الكبير»، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»

---

(١) رواه أبو داود (٥٢١٢)، والترمذي (٢٧٢٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٧٧)، و«الصحيحة» (٥٢٥).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٢٦٥).

(٣) رواه الترمذي (٢٧٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٨٨).

(٤) انظر «طريقنا للقلوب» للمؤلف (ص٣٠، ٣١).

و«الصحيحة»(١) مِنْ حديثِ مَعْقِلِ بنِ يَسَارٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لأنْ يُطْعَنَ في رأسِ أَحَدِكُم بِمِخْيَطٍ مِنْ حديدٍ ـ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امرأةً، لا تَحِلُّ لَهُ».

أَيُّها الناسُ، مَنْ هنَّأ أخاه في العِيدينِ بقولِهِ: تَقَبَّلَ اللهُ منَّا ومِنْكُمْ ـ ويَرُدُّ عليه أخوه بِمِثْلِ ذلك ـ فَلَهُ قُدْوةٌ ببعضِ الصحابةِ، فمَنْ دُونَهُمْ.

وقد سُئل الإمامُ مالكٌ ـ رحمه الله ـ: أَيُكْرَهُ للرَّجُلِ أنْ يقولَ لأخيه ـ إذا انصرف منَ العيدِ ـ: تقبَّلَ اللهُ منَّا ومنكَ، وغَفَرَ لنا ولَكَ، ويَرُدُّ عليه أخوه مِثْلَ ذلك؟ قال: «لا يُكْرَهُ»(٢).

وعن عليِّ بنِ ثابتٍ قال: سألتُ مالكًا عَنْ قَولِ النَّاسِ في العِيدِ: تقبَّلَ اللهُ منَّا ومنك. فقال: «ما زال الأَمْرُ عندَنا كذلك»(٣).

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ ـ رحمه الله ـ: «التَّهْنئةُ يَوْمَ العيدِ يقولُ بعضُهم لبعضٍ ـ إذا لَقِيَهُ بَعْدَ صلاةِ العيدِ: تقبَّلَ اللهُ منَّا ومنْكُمْ، وأَحَالَهُ اللهُ عليك، ونَحْو ذلك ـ فهذا قد رُوِيَ عَنْ طائفة منَ الصَّحابةِ أنهم كانوا يفعلُونَهُ»(٤).

وسبحانَك اللهُمَّ وبحَمْدِكَ، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرُك وأتوبُ إليك.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢١١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٠٤٥).

(٢) «المنتقى» (١/ ٣٢٢).

(٣) «الحاوي» للسيوطي (١/ ٨٢).

(٤) «الفتاوى» (٤٢/ ٢٥٣).

خطبة عيد الأضحى المبارك

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ[1].

أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ العيدَ مُناسبةٌ سعيدةٌ، تُرَفْرِفُ معها القُلُوبُ في حدائقِ البَهْجة والسُّرورِ، فهو رَمْزُ الفَرَحِ والسُّرورِ، ويَحْلُو فيه ما لا يَحْلُو في غيرِهِ مِنْ بَسْطِ

---

(١) تقدم الحديث في حاشية خطبة عيد الفطر أن خطبة العيد تفتتح بالحمد والثناء على الله كسائر الخطب، وأن الافتتاح بالتكبير لم يثبت قبل الخطبة لا في حديث مرفوع، ولا موقوف.
ـ وأيضًا ـ لم يصحَّ في السنة أن للعيد خُطبتين، يفصل بينهما بجلسة.

النَّفسِ، وترويح الخاطرِ.

ولكُلِّ أُمَّةٍ أعيادُها الخاصَّةُ بها، وليس في الإسلامِ سِوىٰ عِيدِ الأُسْبوعِ - يوم الجُمُعةِ - وعيدين في السُّنّةِ: عِيدِ الفِطْرِ، وعيدِ الأضْحَىٰ.

ففي «سنن ابن ماجَهْ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجَهْ»[1] مِنْ حديثِ ابْنِ عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: «**إنَّ هذا يومُ عيدٍ، جَعَلَهُ اللهُ للمسلمين؛ فمَنْ جاءَ إلى الجُمعةِ فَلْيَغْتَسِلْ، وإنْ كان طِيْبٌ فَلْيَمَسَّ منه، وعليكمْ بالسِّواكِ**».

وفي «مسند أحمد»، و«سنن أبي داود والنَّسائيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[2] مِنْ حديثِ أَنَسِ بنِ مالكٍ - رضي الله عنه - قال: قدمَ النَّبيُّ - ﷺ - ولأهْلِ المدينةِ يومان، يَلْعبون فيهما في الجاهليَّة، هما: يومُ النَّيْرُوزِ، ويومُ المهْرَجانِ، فقال: «**قَدِمْتُ عليكم ولكم يومان، تلعبونَ فيهما في الجاهليَّة، وقدْ أَبْدلَكُمُ اللهُ بهما خيْرًا منهما: يَوْمَ النَّحْرِ، ويومَ الفِطْرِ**».

قال الشيخُ أحمدُ البنا: «أي: لأنَّ يَوْمَيِ الفِطْرِ والنَّحْرِ بتشريع الله - تعالىٰ - واختياره لِخَلْقِه، ولأنَّهما يعقبان أداءَ رُكْنَيْنِ عظيمينِ مِنْ أركانِ الإسلام، وهما: الحَجُّ، والصيامُ، وفيهما يَغْفرُ الله للحُجَّاج والصائمين، ويَنْشُرُ رحمتَهُ علىٰ جميع خَلْقِه الطَّائعين، أمَّا «النَّيْرُوزُ والمهْرَجانُ» فإنَّهما باختيارِ حُكماءِ ذاكَ الزَّمانِ، لما فيهما من اعتدالِ الزَّمنِ والهواءِ، ونَحْوِ ذلك مِنَ المزايا الزَّائلةِ، فالفَرْقُ بَيْنَ المزيَّتينِ ظاهرٌ لِمَن تأَمَّل ذلك».

---

(١) رواه ابن ماجَهْ (١٠٩٨)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجَهْ» (٩٠١).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٠٣)، وأبو داود (١١٣٤)، والنسائي (٣/ ١٧٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٠٠٤).

وفي زمانِنا هذا الأعيادُ لا تكادُ تُحْصَرُ في كُلِّ بَلَدٍ مِنْ بلادِ الإسلام، فلا يجوزُ للمسلمين التشبُّهُ بغيرهم مِنْ أَهْلِ المِلَلِ الأُخْرىٰ بالاحتفالِ، أوِ المُشاركةِ، أو التَّهْنئةِ في أعيادِهم.

لما في «سنن أبي داودَ» بسندٍ حَسَنٍ صحيحٍ قالَهُ الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود»[1] - مِنْ حديثِ ابنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ اللهِ - ﷺ -: «مَنْ تشبَّهَ بقومٍ فهو منهم».

أيُّها الناسُ، إنَّ يومَكُمْ هذا هو يومُ الحَجِّ الأكبرِ، وهو عيدُ الأَضْحَىٰ والنَّحْرِ، لأنَّ الناسَ يُضَحُّون فيه، ويَنْحَرُونَ هَدْيَهُمْ، والأُضْحِيَّة لله - عزَّ وجلَّ -، وقرابةٌ إليه - سبحانه تعالىٰ -.

فهي سُنَّةُ أبيكم إبراهيمَ، ونبيِّكم مُحمَّدٍ - عليهما الصلاةُ والسلامُ -.

قال الله - سبحانه وتعالىٰ - علىٰ لسان إبرهيمَ الخليلِ - عليه السلامُ -: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٠-١٠٧].

ومِمَّا جاء في تفسيرِ هذه الآياتِ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: ولدٍ صالحٍ، ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ﴾ أي: إسماعيلَ، ﴿فَلَمَّا بَلَغَ﴾ الغُلامُ، ﴿مَعَهُ السَّعْيَ﴾ أي: بلغ سِنًّا، قد أقبلتْ معها منفعتُهُ، وذهبتْ مشقَّتُهُ ﴿قَالَ﴾ له إبراهيمُ - عليه

(١) رواه أبو داود (٤٠٣١)، بسند حسن صحيح قاله الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٤٠١).

السلام -: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ أي: قد رأيتُ في النَّومِ - ورُؤيا الأنبياءِ وَحْيٌ - ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾، فإنَّ أَمْرَ الله - سبحانه وتعالى - لا بُدَّ مِنْ تنفيذه، ﴿قَالَ﴾ - أي: إسماعيلُ -: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ أي: امْضِ لما أَمرَكَ اللهُ ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على ذلك، ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ خضعا وانقادا لأمر الله - تعالى - ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ أي: أَضْجَعَهُ على وَجْهِهِ؛ لئلا ينظرَ إليه وقتَ الذَّبح.

﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ في تلك الحال المُزعجة، والأمرِ المُدْهِشِ: ﴿أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ أي: قَدْ فعلتَ ما أُمرتَ به، ولم يَبْقَ إلا إمرارُ السكِّينِ على حَلْقه.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ في عبادتنا، المُقدِّمين رِضانا على شهواتِ أَنْفُسِهِم.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذَّبحَ المأمورَ به ﴿لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ أي: الواضحُ الذي تبيَّن به صفاءُ إبراهيمَ، وكمالُ محبَّتِهِ لربِّه، ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ﴾ بكبشٍ ﴿عَظِيمٍ﴾ أي: عظيمٍ من جهتين: أنَّه كان فداءً لإسماعيلَ، ومِنْ جِهَةِ أَنَّهُ مِنْ جُملةِ العباداتِ العظيمةِ، فهو قُرْبانٌ وسُنَّةٌ إلى يومِ الدِّينِ.

وقدْ ضحَّى نبيُّنا - محمَّدٌ - ﷺ -، وضحَّى المُسلمون مِنْ بَعْده.

ففي «الصحيحين»[(١)] مِنْ حديثِ أَنَسِ بنِ مالكٍ - رضي الله عنه - قال: «ضحَّى النبيُّ - ﷺ - بكَبْشينِ أَمْلَحَيْنِ، فرأيْتُه واضِعًا قَدَمَهُ على صِفَاحِهِما، يُسمِّي ويُكبِّرُ، فَذَبَحهُما بيدِهِ».

وفي «صحيح مسلمٍ»[(٢)] مِنْ حديثِ عائشةَ - رضي الله عنها -: أنَّ رسولَ الله ﷺ أَمَرَ بكَبْشٍ أَقْرَنَ، يَطَأُ في سَوادٍ، ويَبْرُكُ في سَوادٍ، ويَنْظُرُ في سوادٍ، فَأُتِيَ به؛

(١) رواه البخاري (٥٥٥٨)، ومسلم (١٩٦٦).

(٢) رواه مسلم (١٩٦٧).

لِيُضَحِّيَ به، فقال لها: «يا عائشةُ، هَلُمِّي المُدْيَةَ» ثمَّ قال: «اشْحَذِيها بحَجَرٍ» ففعلتْ ثمَّ أَخَذَها، وأَخذ الكَبْشَ، فأَضْجَعَهُ، ثمَّ ذَبَحَهُ، ثمَّ قال: «باسْمِ الله، اللَّهُمَّ تقبَّلْ مِنْ مُحمَّدٍ، وآلِ محمَّدٍ، ومِنْ أُمَّة محمَّدٍ» ثمَّ ضحَّىٰ به.

أيُّها الناسُ، إنَّه ممَّا لا خلافَ في الأُضْحيَّةِ أنَّها مِن شرائعِ الدِّينِ، وأنَّها سُنَّةٌ مُؤكَّدةٌ عندَ جُمهورِ عُلماءِ المسلمين، يُكْرَهُ لمن قَدَرَ عليها أنْ يَتْرُكَها، وفي ذَبْحِها خَيرٌ من التصدُّقِ بثمنها، ولا تُجْزِئُ إلا ببهيمةِ الأنعامِ، وهي: الإبلُ، أو البَقَرُ، أو الضَّأْنُ، أو المَعْزُ.

ولها ثلاثةُ شُرُوط:

الشَّرْطُ الأوَّلُ ـ أنْ تَبْلُغَ السِّنَّ المُعْتَبرةَ شَرْعًا:

لما في «صحيح مسلم»[(١)] من حديث جابرِ بنِ عَبْدِ الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تَذْبَحُوا إلا مُسنَّةً، إلا أنْ يعسر عليكم، فتَذْبَحُوا جَذَعةً مِنَ الضَّأْنِ».

قال العلماءُ: المسنَّةُ هي الثَّنِيَّةُ من كُلِّ شيءٍ: من الإبلِ، والبَقَرِ، والغَنَمِ، فما فَوْقَها[(٢)] والثنيَّةُ: هي خَمْسُ سنواتٍ للأبلِ، وسَنتانِ في البَقَرِ، وسَنَةٌ كاملةٌ في المَعْزِ، ونِصْفُ سنةٍ في الضَّأْنِ.

الشَّرْطُ الثَّاني ـ أنْ تكون سليمة مِنَ العُيوبِ التي تَمْنَعُ الإجْزَاءَ:

لما في «سنن أبي داودَ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داودَ»[(٣)] مِنْ حديثِ عُبَيْدِ بنِ فَيْرُوزَ قال: سألتُ البَرَاءَ بنَ عازبٍ: ما لا يجوزُ في

---

(١) رواه مسلم (١٩٦٣).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٣/ ١١٧).

(٣) رواه أبو داود (٢٨٠٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٤٣١).

الأَضَاحي؟ فقال: قام فينا رسولُ الله -ﷺ-، وأَصابعي أَقصرُ مِنْ أَصابِعِه، وأناملي أَقْصَرُ مِنْ أنَامله، فقال: «أرْبَعٌ لا تَجُوزُ في الأَضَاحي: العَـوْرَاءُ بيِّنٌ عَوَرُهَا، والمريضَةُ بَيِّنٌ مَرَضُها، والعَرْجَاءُ بيِّنٌ ضَلْعُهَا، والكَسيرةُ التي لا تُنقي».

ففي هذا الحديث - أيُّها الناسُ - بيَّن لنا رسولُ الله -ﷺ- أربعةَ عُيُوبٍ، لا تُجْزِئُ الأُضْحِيَّةُ إذا كانتْ فيها إحدىٰ هذه العيوب:

العيبُ الأوَّلُ - العَوْراءُ البيِّنُ عَوَرُها، بأنْ تكونَ عينُها العَوْرَاءُ ناتئةً أو غائرةً، أمَّا إذا كانتْ لا تُبصرُ بها، لكن عَوَرُها غَيْرُ بيِّنٍ - فإنها تُجزِئُ مع الكَرَاهَةِ.

والعَيبُ الثاني - المريضةُ البَيِّنُ مَرَضُها، وهي التي ظَهَر عليها آثارُ المَرَضِ، إمَّا في أَكْلِها، أوْ مَشْيِها، أو غَيْرِ ذلك مِنْ أحوالِها، ومِنَ المَرَضِ البَيِّنِ الجَرَبُ.

العَيْبُ الثَّالثُ - العَرْجَاءُ بَيِّنٌ ضَلْعُها، وهي لا تعانقُ الصحيحةَ في المَشْيِ.

العـيب الرابع - الكَسيرةُ التي لا تُنْقي، والكسيرة هي المُنْكَسرةُ الرِّجْلِ، التي لا تَقْدِرِ علىٰ المَشْيِ، والتي لا تُنْقِي: أي التِّي لا نِقْيَ لها (أي: لا مُخَّ لها) لِضَعْفِـها وهُزالِها.

قال الإمامُ ابنُ عَبْد البَـرِّ في التمهيد[1]: «أمَّا العُيُوبُ الأربعةُ المَذْكورةُ في هذا الحديثِ فمجمعٌ عليها، لا أعلمُ خلافًا بَيْنَ العُلماءِ فيها، ومعلومٌ أنَّ ما كان في معناها داخلٌ فيها، ولا سِيَّما إذا كانت العِلَّةُ أَبيَن ألا تَرَىٰ أنَّ العَوْرَاءَ، إذا لم تَجْزْ، فالعَمْياءُ أَحْرَىٰ ألاَّ تَجُوزَ، وهذا كُلُهُ واضحٌ، لا خلافَ فيه - والحمدُ لله -. وفي هذا الحديث دليلٌ علىٰ أنَّ المَرَضَ الخَفيفَ يَجُوزُ في الضَّحايا، والعَرَجَ الخفيفَ التي تَلْحَقُ به الشَّاةُ الغَنَمَ لقولِه ﷺ: «البيِّنُ مَرَضُها والبيِّنُ ضَلْعُها» وكذلك النُّقْطَةُ في العَيْنِ، إذا

(١) «التمهيد» لابن عبد البر (٢٠/ ١٦٨).

كانت يسيرةً، لقولِهِ: «العَوْرَاءُ البَيِّنُ عَوَرُها». وكذلك المَهْزُولةُ، التي ليستْ بغايةٍ في الهزلِ لقولِهِ: «والعَجْفَاءُ التي لا تُنْقي» يُريدُ التي لا شيءَ فيها مِنَ الشَّحْمِ...».

الشَّرْطُ الثَّالثُ من شُرُوطِ الأُضْحِيَّةِ - أنْ تقعَ في الوَقْتِ المُحَدَّدِ:

وهو مِنَ الفَرَاغِ مِنْ صلاةِ العِيدِ، والأفضلُ أنْ يَنْتظرَ حتّى يَفْرُغَ الإمامُ مِن الخُطْبةِ.

ففي «الصحيحين»(١) مِنْ حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ - رضي الله عنه - قال: قال النبيُّ - ﷺ -: «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلاةِ، فإنَّما ذَبَحَ لنفسِهِ، ومَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلاةِ فقدْ تَمَّ نُسُكُهُ، وأصابَ سُنَّةَ المسلمينَ».

أيُّها الناسُ، إنَّهُ مِن الأحْوطِ للمُسلمِ أنْ يَذْبَحَ يَوْمَ النَّحْرِ مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ لفعْلِ النَّبيِّ - ﷺ - خُرُوجًا من خِلافِ العُلماءِ، لأنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ دليلٌ صحيحٌ عَنْ نهايةِ الأُضْحيَّةِ.

وإنْ تعسَّرَ على المُضَحِّي أنْ يُضَحِّيَ في يومِ النَّحْرِ، فالجمهورُ يُجوِّزُون له اليومَ الحادي عَشَرَ والثاني عَشَرَ، والثالث عشرَ.

ومَنْ كان منكم يُحْسِنُ الذَّبحِ، فَلْيَذْبَحْ أُضْحِيَّتَهُ بيدِهِ لِفعْلِ رسولِ الله ﷺ ذلك بيدِهِ كما تقدَّم، ومَنْ كان لا يُحْسِنُ فَلْيَحْضُرْ ذَبْحَها، فإنَّ ذلك أفضلُ، ولْيَكُنِ الذي يتولَّى ذلك رجلاً صالحًا، فتاركُ الصلاةِ لا تجوزُ ذَبيحتُهُ، كما ذكَر ذلك بعْضُ أهلِ العلم.

ويُسمِّي اللهَ عندَ الذَّبحِ، فيقولُ - إذا أَضْجَعَها: باسْمِ اللهِ، واللهُ أكبرُ، اللهُمَّ هذا منك ولك، اللهُمَّ هذا عنِّي وعَن أهلِ بيتي، وإنْ نَسِيَ فلا يضرُّهُ، ولا يجوزُ البَيْعُ مِنَ الأُضحيَّةِ، كما لا يجوزُ أنْ يُعطَى الجَزَّارُ أَجْرَهُ منها، بل يُعْطَى أَجْرَهُ مالاً، وأعْطُوهُ

---

(١) رواه البخاري (٥٥٤٦)، ومسلم (١٩٦٢).

منَ الأُضْحِيَّة - إنْ شِئْتُمْ - هديَّةً - إنْ كان غنيًّا - أو صَدَقَةً - إنْ كان فقيرًا - وكُلوا منها، وتصدَّقُوا، وادَّخِرُوا - إنْ شِئْتُم -.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥) وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٤-٣٧].

أيُّها النَّاسُ، إنَّ من السُّنَّة أنْ تَخْرُجَ المَرْأَةُ إلى صلاةِ العيدِ، لِتَشْهَدَ هذه الشَّعيرة، وإنْ كانت حائضًا، وهذه سُنَّةٌ تكادُ تَكُونُ ميتةً في كثيرٍ من بُلْدانِ العالَمِ الإسلاميِّ، وها هو النَّبيُّ - ﷺ - يَأْمُرُ النِّساءَ العَوَاتِقَ، والحُيَّضَ، وذَوَاتِ الخُدُورِ أن يَخْرُجْنَ في الفِطْرِ والأَضْحَى.

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديثِ أُمِّ عطيَّةَ - رضي الله عنها - قالتْ: أَمَرَنا رسولُ الله - ﷺ - أَن نُخرِجَهُنَّ في الفِطْرِ والأَضْحَى: العَواتِقَ، والحُيَّضَ، وذَواتِ الخُدُورِ، فأمَّا الحُيَّضُ فيَعْتَزِلْنَ الصَّلاةَ، ويشْهَدْنَ الخَيْرَ ودَعْوةَ المُسلمين، قلتُ: يا رسولَ الله، إحْدانا لا يكونُ لها جِلْبابٌ؟ قال: «**لِتُلْبِسْها أُخْتُها مِنْ جِلْبابِها**».

ويلزمُ المرأةَ ارْتداءُ الجِلْبابِ الذي يَسْتُرُ وَجْهها، وجميع بَدَنِها لأَمره - ﷺ - عندما ذَكَرْنَ المانع الذي يَمْنَعُهُنَّ مِن الخُروجِ، فبيَّن لهُنَّ النبيُّ - ﷺ - حَلَّ هذا الإشكالِ، بأنْ

(١) تقدم تخريجه.

تُلْبِسَها أُخْتُها مِنْ جِلْبابها، ولم يَأذَنْ لهُنَّ بالخروجِ بغيرِ جِلْبابٍ[١].

وعلى المرأة أَن تَجتنبَ الطِّيب أو البَخُورَ عندَ خُرُوجِها.

لما في «سنن النَّسائيِّ» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»[٢] مِنْ حديثِ أبي موسىٰ الأشْعريِّ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أيُّمَا امرأةٍ اسْتَعْطَرَتْ، فَمَرَّتْ على قومٍ - ليجدُوا رِيْحَها - فهي زانيةٌ».

ومِنَ السنَّةِ أَنْ يَخرُجَ الرَّجُلُ إلى العِيد ماشيًا، ويَرْجِعَ ماشيًا.

لما في «سنن ابن ماجه» بسندٍ حسنٍ، حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجه»[٣] مِنْ حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قال: «كان رسولُ الله ﷺ يَخْرُجُ إلىٰ العيدِ ماشيًا، ويَرْجعُ ماشيًا».

ومن السنَّة مُخالفةُ الطَّريق، فيذهبُ مِنْ طريقٍ، ويَرْجِعُ مِنْ آخَرَ.

لما في «صحيح البخاريِّ»[٤] مِنْ حديثِ جابرِ بنِ عَبْدِ اللهِ - رضي الله عنهما - قال: «كان النَّبيُّ - ﷺ - إذا كان يَوْمُ عيدٍ، خالَفَ الطَّريقَ».

ومن السنَّة التكبيرُ في العيدين.

قال - سبحانه وتعالىٰ -: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والتكبير في الفِطْرِ عندَ الذَّهابِ إلىٰ المُصَلَّىٰ، وأمَّا في عِيدِ الأضْحَىٰ فَمِنْ فَجْرِ يَوْمِ

---

(١) انظر «رسالة الحجاب» لابن عثيمين (ص١٦).
(٢) رواه النسائي (٤٧٣٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٠١).
(٣) رواه ابن ماجه (١٢٩٥)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٠٧١).
(٤) رواه البخاري (٥٨٦).

عَرَفَةَ إلىٰ غُروبِ شَمْسِ آخرِ أيَّامِ التشريقِ، وأيَّامُ التشريقِ ثلاثةُ أيَّامٍ بَعدَ يومِنا هذا (أي: بَعْدَ يوْمِ النَّحْرِ).

وصفةُ التكبير ما رَوَى ابنُ أبي شَيْبَةَ بسند صحيح[١] إلىٰ ابن مسعودٍ أنَّه كان يقولُ: «**اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إله إلاَّ اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، ولله الحَمْدُ**».

وروىٰ البيهقيُّ بسندٍ صحيحٍ[٢] إلىٰ ابن عبّاسٍ - رضي الله عنهما - أنه كان يقولُ: «**اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، ولله الحَمْدُ، اللهُ أكبرُ وأجَلُّ، اللهُ أكبرُ على ما هَدَانا**».

والتكبيرُ الجماعيُّ بصوتٍ واحدٍ غيرُ مشروعٍ، كما قال ذلك الألبانيُّ - رحمه الله -، وكذلك التويجريُّ - رحمه الله - له رسالةٌ مُفْرَدَةٌ في إنكارِ هذا التكبيرِ الجماعيِّ، وخيرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحمَّدٍ - ﷺ -.

أيُّها الناسُ، قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مقامي هذا أحثُّ النِّساءَ علىٰ تقوىٰ اللهِ، وأن يتصدَّقْنَ، فإنَّ الصَّدقةَ تُثْمِرُ سعادة الدِّينِ والدُّنيا.

ففي «صحيح مسلم»[٣] من حديثِ جابرِ بن عبد اللهِ - رضي الله عنهما - قال: شَهِدْتُ مع رسولِ اللهِ - ﷺ - يومَ العيدِ، فبدأ بالصلاةِ قَبْلَ الخُطبةِ بغيرِ أذانٍ ولا إقامةٍ، ثمَّ قام مُتوكِّئًا علىٰ بلالٍ، فأمر بتقوىٰ الله، وحثَّ علىٰ طاعته، ووَعَظَ الناسَ وذكَّرَهم، ثمَّ مَضَىٰ، حتَّىٰ أتىٰ النِّساءِ، فوَعَظَهُنَّ وذكَّرهُنَّ، فقال: «**تَصدَّقْنَ؛ فإنَّ أكثرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ**». فقامت امرأةٌ مِنْ سِطَةِ النِّساء، سَفْعَاءُ الخَدَّيْنِ، فقالتْ: لِمَ يا رسولَ اللهِ؟! قال: «**لأنكُنَّ تُكْثِرْنَ الشَّكَاة، وتَكْفُرْنَ العَشيرَ**».

قال: فَجَعَلْنَ يتصدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ، يُلْقِينَ في ثوبِ بلالٍ مِنْ أَقْرِطَتِهِنَّ وخَواتِمِهِنَّ.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (   ).

(٢) رواه البيهقي (٣/ ٣١٥).

(٣) رواه مسلم (٨٨٥).

وأُذَكِّرُهُنَّ بما جاء في «الصَّحيحين»(١) من حديثِ عَديِّ بنِ حاتمٍ - رضي الله عنه - قال: ذكر رسولُ الله - ﷺ - النَّارَ، فأَعْرَضَ وأَشَاحَ، ثمَّ قال: «اتَّقُوا النَّارَ». ثُمَّ أَعْرَضَ وأَشَاحَ، حتَّى ظَنَنَّا أنَّه كأنَّما ينظرُ إليها، ثمَّ قال: «اتَّقُوا النَّار، ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ، فمن لم يَجدْ فبكلمةٍ طيِّبةٍ».

وفي «الصحيحين»(٢) منْ حديثِ أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا يتصدَّقُ أحدٌ بتَمْرةٍ منْ كَسْبٍ طيِّبٍ، إلا أَخَذَها اللهُ بيَمينه، فيُرَبِّيهَا كما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أو فَصيلَهُ (أي: ولد الناقة إذا فُصِلَ عن أُمِّه)، حتَّى تكونَ مِثْلَ الجَبَلِ، أوْ أَعْظَمَ».

وأُذكرُهُنَّ بعَدَمَ احتقارِ المعروفِ، واستقلالِهِ، واحتقارِ المَوْجُودِ من الصَّدقةِ عندَهُنَّ.

ففي «الصحيحين»(٣) من حديثِ أبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يا نساءَ المُسلمات، لا تَحْقِرَنَّ جارةٌ لجارتها، ولو فِرْسِن شاة».

وفِرْسِنُ الشاة: هو ظِلْفُها، وقدْ تقدَّم أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اتَّقوا النَّارَ، ولو بشِقِّ تَمْرةٍ»، والشاهدُ في ذلك عَدَمُ احتقارِ المَوْجُودِ من الصَّدقةِ.

وسبحانك اللهُمَّ وبحَمْدِك، أشهدُ أنْ لا إله إلا أنت، أستغفرُك وأتوبُ إليك.

---

(١) رواه البخاري (١٤١٣)، ومسلم (١٠١٦).
(٢) رواه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤)، واللفظ له.
(٣) رواه البخاري (٢٥٦٦)، ومسلم (١٠٣٠).

خطبة الكسوف والخسوف

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ هذا الكُسُوفَ يَحْدُثُ بأمرِ اللهِ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، يُخَوِّفُ اللهُ به عبادَهُ؛ ليتوبوا إليه، ويستغفرُوهُ، ويعبدوه ويُعظِّموه، ويَخْشَوْهُ ويخافوهُ.

فهو ـ سبحانه وتعالىٰ ـ نَصَبَ لهمُ الأدلَّة الدالَّةَ علىٰ كِبْريائِهِ؛ ليهابوه، ووصف لهم شدَّةَ عذابِهِ، ودارَ عِقابِهِ التي أَعَدَّها لِمَنْ عصاه؛ ليُسارعوا إلىٰ امتثالِ ما يَأْمرُ به، ويُحبُّهُ ويَرْضَاهُ، واجتنابِ ما يَنْهَىٰ عَنْه، ويَكْرَهُهُ ويَأْبَاهُ.

أيُّها الناسُ، إنَّ اللهَ - سبحانه وتعالىٰ - يَغَارُ علىٰ أوامره أنْ تُجْتَنَبَ، ومَحارمِهِ أنْ تُرْتَكَبَ، وإنَّه - سبحانه وتعالىٰ - شديدُ العِقابِ، لا يُرَدُّ بأْسُهُ عَنِ القومِ المُجرمين.

أيُّها الناسُ، إنَّ الذُّنوبَ حِجَابٌ عَنِ اللهِ - سبحانه وتعالىٰ -، وهي تُورِثُ الذُّلَّ والهَوانَ علىٰ اللهِ أوَّلاً، ثمَّ علىٰ الخَلْقِ ثانيًا؛ فعلينا أنْ نُبادرَ بالتوبةِ إلىٰ اللهِ - سبحانه وتعالىٰ -؛ فإنَّ اللهَ - سبحانه وتعالىٰ - يبسط يَدَهُ باللَّيلِ؛ ليتوبَ مُسيءُ النهارِ، يبسط يَدَهُ بالنَّهارِ، ليتوبَ مُسيءُ اللَّيلِ.

كما في «صحيح مسلم»[1] مِنْ حديثِ أبي موسىٰ الأَشْعَرِيِّ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبيِّ - ﷺ - قال: «إنَّ اللهَ - تعالى - ليَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ؛ لِيَتُوبَ مُسيءُ النَّهارِ، ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ؛ لِيَتُوبَ مُسيءُ اللَّيْلِ، حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها».

أيُّها الناسُ، تُوبوا إلىٰ اللهِ واستغفروه، فإنَّ اللهَ أشَدُّ فَرَحًا بتوبةِ عَبْدِهِ حينَ يتوبُ.

ففي «الصحيحين»[2] مِنْ حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «اللهُ أَفْرَحُ بتوبةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وقدْ أَضَلَّهُ في أرضِ فَلاةٍ».

وفي روايةٍ لمُسْلمٍ: «اللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بتوبةِ عَبْدِه - حينَ يَتُوبُ إليه - مِنْ أَحَدِكُمْ، كان على راحلَتِه بأرضِ فَلاة، فانْفَلَتَتْ منْهُ، وعليها طعامُهُ، وشرابُهُ، فَأَيِسَ منْهَا، فأَتَى شجرةً، فاضْطَجَعَ في ظِلِّها، وقدْ أَيِسَ من رَاحلَته، فبينما هو كذلك، إذْ هُوَ بها قائمةً عنْدَهُ، فأَخَذَ بخطامِهَا، ثمَّ قالَ - منْ شِدَّةِ الفَرَحِ -: اللهُمَّ أنت عَبْدي، وأنا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ».

أيُّها الناسُ، إنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ آيتانِ مِنْ آياتِ اللهِ الدالَّةِ علىٰ كمالِ قُدْرَتِه وحِكمتِه ورَحْمته، وقد كَسَفَتِ الشَّمْسُ في عَهْدِ رسولِ اللهِ - ﷺ -، فخرجَ فَزِعًا، يجرُّ

---

(١) رواه مسلم (٢٧٦٠).

(٢) تقدم تخريجه.

رَداءَهُ، حتَّىٰ أتىٰ المسجد، ثمَّ نُوديَ: الصَّلاةُ جامعةً، وصلَّىٰ بالنَّاسِ صلاةَ الكُسُوفِ، ثمَّ خَطَبَهُمْ - بَعْدَ ذلك - خُطبةً بليغةً، وجِلَتْ منها القلوبُ، أَجِدُني مُضْطرًا لذكرِها بتمامِها، كما استخلصها الألبانيُّ - رحمه الله - في كتابِهِ الماتع «كيف صلَّىٰ النبيُّ - ﷺ - صلاةَ الكُسوف؟»(١).

أوَّلاً - كُسُوفُ الشَّمْسِ وفَزَعُهُ - ﷺ -:

رَكِبَ رسولُ الله - ﷺ - غَدَاةَ يَوْمِ مات ابْنُهُ إبراهيمُ - عليهما السَّلامُ -، وكان يومًا شديدَ الحرِّ، فَخسَفَتِ الشَّمْسُ، فأَتَىٰ رسولُ الله - ﷺ - مِنْ مَرْكَبِهِ سريعًا(٢)، وذلك ضُحًىٰ(٣)، فمرَّ رسولُ الله - ﷺ - بَيْنَ ظَهْرَانَي الحُجَرِ، فخرج فَزِعًا، فأخطأ(٤) بدرعٍ، حتىٰ أدرك بردائِهِ، فخرج يَجُرُّ رِداءَهُ؛ يَخْشَىٰ أنْ تكُونَ السَّاعةُ، فأتىٰ المسجد، حتَّىٰ انتهىٰ إلىٰ مُصَلاَّهُ الذي كان يُصلِّي فيه، وقال الناسُ: إنَّما كَسَفَتِ الشَّمْسُ لموتِ إبراهيمَ!(٥) فَبَعَثَ ﷺ مُناديًا، فنادىٰ: الصَّلاة جامعةً، وثابَ النَّاسُ إليه، واصْطَفُّوا وراءَه(٦)، وخرجتْ نِسْوةٌ بَيْنَ ظَهْرِي الحُجَرِ في المسجدِ، واجتمع إليهنَّ نساءٌ(٧)، فصلَّىٰ رسولُ الله - ﷺ - بأصحابِهِ.

ثانيًا - ابتداءُ الصَّلاة:

بَدَأَ ﷺ فكبرَّ، وكبرَّ الناسُ(٨)، ثمَّ افتتحَ القُرآنَ، فقرأ قراءةً طويلةً، فجَهَر فيها(٩)،

---

(١) انظر «كيف صلىٰ النبي - ﷺ - صلاة الكسوف؟» للألباني (ص ١١٨، ١٧٠).

(٢) البيهقي (٣/ ٣٢٤).

(٣) البخاري (٢/ ٤٣٠).

(٤) مسلم (٣/ ٣٠).

(٥) مسلم (٣/ ٢٧).

(٦) النسائي (١/ ٢١٦).

(٧) أحمد (٦/ ٥٣).

(٨) أبو عوانة (٢/ ٣٧٥).

(٩) مسلم (٣/ ٢٩).

وقام قِيامًا طويلاً جدًّا نَحْوًا مِن سُورةِ البقرةِ؛ حتَّىٰ قيلَ: لا يَرْكعُ، وجَعَلَ أَصحابُهُ يَخِرُّون.

وقالتْ أسماءُ: أتيتُ عائشةَ، فإذا الناسُ قِيامٌ، وإذا هي تُصلِّي، فقلتُ: ما شَأْنُ النَّاسِ يُصلُّون؟ فأشارتْ برأْسِها إلىٰ السَّماءِ، فقُلْتُ: آيةٌ؟ قالتْ: نَعَمْ، فأطال رسولُ الله ـ ﷺ ـ القِيامَ جدًّا، حتَّىٰ تَجَلاَّني الغَشْيُ، فأَخذْتُ قِرْبَةَ ماءٍ إلىٰ جَنْبي، فجعلتُ أَصُبُّ علىٰ رَأْسي مِن الماءِ، قلتُ: فأطالَ القِيامَ؛ حتَّىٰ رَأيتُني أُريدُ أنْ أَجلسَ، ثُمَّ أَلْتَفِتُ إلىٰ المرأةِ التي هي أكبرُ منِّي، والمرأةِ التي هي أسْقَمُ منِّي، فأقولُ: أنا أحقُّ أنْ أَصْبِرَ علىٰ طُولِ القِيامِ منْك[١] . ثمَّ رَكَعَ ـ ﷺ ـ مُكبرًا، فأطالَ الرُّكوعَ جدًّا؛ حتىٰ قِيلَ: لا يَرْفعُ، ورَكَعَ نَحْوًا مِمَّا قامَ.

ثمَّ رَفَعَ رأسهُ مِنَ الركوعِ، فقال: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِده، ربَّنا ولك الحَمْدُ»[٢] ولم يسجدْ، فأطالَ القِيامَ جدًّا؛ حتىٰ قِيلَ: لا يَرْكَعُ، وهو دُونَ القِيامِ الأَوَّلِ، وقَرأ قِراءةً طويلةً، هي أَدْنَىٰ مِنَ القراءةِ الأولىٰ، وأطَالَ؛ حتَّىٰ لو جاءَ إنسانٌ بَعْدَ ما رَكَعَ ـ لم يكنْ عَلِمَ أنَّهُ رَكَعَ ـ ما حدَّثَ نَفْسَهُ أنَّهُ رَكَعَ مِنْ طُولِ القيامِ.

ثُمَّ رَكَعَ مُكبرًا، فأطالَ الرُّكوعَ جدًّا؛ حتَّىٰ قيلَ: لا يَرْفَعُ، وهو دونَ الرُّكوعِ الأولِ.

ثمَّ رَفَعَ رأسه، فقال: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَه، ربَّنا ولك الحَمْدُ»[٣] .

فأطال القيام؛ حتَّىٰ قيلَ: لا يَسْجُدُ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، فجَعَلَ يُسبِّحُ، ويحمدُ، ويُهَلِّلُ ويُكَبِّرُ ويدعو[٤] .

(١) البخاري (١/ ١٤٨).

(٢) البيهقي (٣/ ٣٢٥).

(٣) البخاري (٢/ ٤٢٧)، ومسلم (٣/ ٢٩).

(٤) أحمد (٥/ ٦١).

ثُمَّ كَبَّر - ﷺ -، فَسَجَد سُجوداً طويلاً مِثْلَ رُكُوعِه[١] ؛ حتَّى قيلَ: لا يرْفَعُ، وقالتْ عائشةُ: ما ركعتُ رُكُوعًا قَطُّ، ولا سَجَدْتُ سُجوداً قَطُّ، كان أَطْولَ منه، ثمَّ كبَّرَ[٢]، ورفَعَ رَأْسَهُ وجَلَسَ، فأَطالَ الجُلُوسَ، حتَّىٰ قيلَ: لا يَسْجُدُ[٣] ، ثمَّ كبَّرَ[٤] ، فَسَجَد، فأَطَالَ السُّجودَ وهو دُونَ السُّجُودِ الأَوَّلِ.

ثمَّ كبَّرَ، ورَفَعَ، فَقَامَ قِيامًا طويلاً، هُو دُونَ القيامِ الثَّاني مِنَ الركْعةِ الأُولىٰ، وقرأ قراءةً طويلةً، وهي أَدْنىٰ مِنَ القراءةِ في القيامِ الثَّاني.

ثمَّ كبَّر[٥] ، فَرَكَعَ، فأطال الرُّكُوعَ، وهو دُونَ الرُّكُوعِ الأوَّلِ.

ثمَّ كبَّر[٦]، فَرَفَعَ رأسه، فقال: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَه، ربَّنا ولك الحَمْدُ»، فأَطالَ القِيامَ، وهو دُونَ القِيامِ الأوَّلِ، ثمَّ قَرَأ قِراءةً طويلةً، هي أَدنَىٰ من القراءةِ الأولَىٰ.

ثمَّ كَبَّرَ، فَرَكَعَ، فأَطالَ الرُّكُوعَ، وهو دُونَ الرُّكُوعِ الأوَّلِ[٧] .

ثمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فقال: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ربَّنا ولك الحَمْدُ»، فأَطالَ القِيامَ؛ حتَّىٰ قِيلَ: لا يَسْجُدُ، ثمَّ تأَخَّرَ، وتَأَخَّرَتِ الصُّفوفِ خَلْفَهُ حتَّىٰ انتهتْ إلىٰ النساءِ، ثمَّ تقدَّم وتقدَّمتِ الصُّفوفُ حتَّىٰ قَام في مَقامِهِ.

ثمَّ كبَّر، فَسَجَدَ مِثْلَما سَجَدَ في الرَّكْعةِ الأولىٰ، إلا أنه أدْنَىٰ منه، وجَعَل يَبْكي في آخرِ سُجُودِه، وينفُخُ: أُفْ أُفْ، ويقولُ: «ربِّ، ألم تَعِدْني ألا تُعذِّبَهُم وأنا فيهم؟!، ربِّ، ألم تَعِدْني ألا تُعذِّبَهم وهُم يستغفرون، ونحنُ نستغفرُك؟!»[٨] .

---

(١) النسائي (١/ ٢٢٠).

(٢) النسائي (١/ ٢١٨).

(٣) النسائي (١/ ٢١٩).

(٤)، (٥) النسائي (١/ ٢١٤).

(٦)، (٧) النسائي (١/ ٢١٦).

(٨) النسائي (١/ ٢١٧).

ثُمَّ تشهَّدَ[١]، ثمَّ سلَّم[٢]، ثمَّ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، واستكملَ أَرْبَعَ ركعاتٍ في أَرْبَعِ سَجَداتٍ.

ثالثًا ـ الخُطبةُ على المِنْبر:

فلَّما انصرف رَقِيَ المِنْبَرَ[٣]، فَخَطَبَ الناسَ؛ فَحَمدَ اللهَ، وأَثْنَى عليه، ثمَّ قال: «أمَّا بَعْدُ، أيُّها الناسُ، إنَّ أَهْلَ الجاهليَّة كانوا يقولون: إنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ لا يَخْسفَان إلا لموت عظيم، وإنَّهما آيتان منْ آيات الله، لا يَنْخَسفان لموت أَحَد، ولا لحياته؛ ولكنْ يُخَوِّفُ اللهُ به عبادَهُ، فإذا رَأَيْتُمْ شيئًا منْ ذلك؛ فافْزَعُوا إلى ذِكْرِه، ودُعائه، واستغفاره، وإلى الصَّدَقة والعَتاقة، والصَّلاة في المساجد، حتَّى تَنْجَلي.

يا أُمَّةَ محمَّد، إنْ منْ أَحَد أَغْيَرُ منَ الله أنْ يَزْنيَ عَبْدُهُ، أوْ تزْنيَ أَمَتُهُ.

يا أُمَّةَ محمَّد، والله، لو تعلمون ما أعلمُ، لبكيْتُم كثيرًا، ولَضَحكْتُمْ قليلاً».

ثمَّ رَفَعَ يَدَيه، فقال: «ألا هَلْ بلَّغتُ؟! إنَّهُ عُرِضَ عليَّ كُلُّ شيءٍ تُولَجُونَهَ، فَعُرِضَتْ عليَّ الجَنَّةُ، وذلك حينَ رَأَيْتُموني تقدَّمْتُ في مَقَامي، ولقدْ مَدَدْتُ يَدي، وأنا أُريدُ أن أتناولَ منْ ثَمَرها؛ لتنظروا إليه، ثمَّ بدا لي ألاَّ أَفْعَلَ، ولو أَخَذْتُهُ، لأكلتُمْ منه ما بَقيت الدُّنيا.

ولقدْ عُرِضَتْ عليَّ النَّارُ، وذلك حينَ رأيتمُوني تَأَخَّرتُ مَخَافةَ أنْ يُصيبَني منْ لَفْحها، فجعلتُ أنفخُ خَشْيَةَ أنْ يَغْشاكمُ حرُّها، ولقدْ رأيتُ جَهَنَّمَ يحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فلم أَرَ مَنْظرًا كاليوم ـ قَطُّ ـ أَفْظَعَ[٤]، ورأيتُ أكثرَ أَهْلها النِّساءَ».

قالوا: لِمَ يا رسولَ الله؟ قال: «بكُفْرِهنَّ». قيل: أيَكْفُرْنَ بالله؟ قال: «يَكْفُرنَ العَشيرَ، ويَكْفُرْنَ الإحسانَ، لو أحسنْتَ إلى إحداهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رأَتْ منك شيئًا؛

---

(١) النسائي (١/ ٢١٥).
(٢) مسلم (٣/ ٢٩).
(٣) النسائي (١/ ٢١٥).
(٤) أبو عوانة (٢/ ٣٧٩).

قالتْ: ما رأيتُ منك خيْرًا قطُّ».

ورأيتُ فيها امرأةً منْ بني إسرائيل طويلةً سَوْدَاءَ[(١)]، تُعذَّبُ في هرَّةٍ لها ربَطتْها، فلم تُطْعمْها، ولم تَسْقها[(٢)]، ولم تَدَعْها تأكلُ منْ خَشَاشِ الأرْضِ، حتَّى ماتَتْ جُوعًا، فلقد رأيتُها تنهشُها إذا أَقْبَلَتْ، وإذا ولَّتْ، تنهشُ أَلْيَتَها.

ورأيتُ فيها سارقَ بَدَنَتي رسولِ الله -ﷺ-[(٣)].

ورأيت صاحبَ المحْجَنِ أبا ثمامةَ عَمْرو بنَ مالك بن لُحَي - وهو الذي سَيَّبَ السَّوائبَ[(٤)] يَجُرُّ قُصْبَهُ في النَّار، كان يَسْرقُ الحاجَّ، فإنْ فُطِنَ له، قال: إنَّما تعلَّق بمحْجَني، وإن غُفِلَ عنه ذَهَبَ به.

وإنه قدْ أُوحيَ إليَّ أنَّكم تُفْتَنون في القُبُور كفتْنة المَسيح الدَّجَّال، فَيُؤْتَى أَحَدُكُمْ، فيُقالُ: ما علْمُكَ بهذا الرَّجُلِ؟، فأمَّا المُؤمنُ - أو المُوقنُ - فيقولُ: هو مُحمَّدٌ، هو رسولُ الله، جاءَنا بالبيِّنات والهُدَى، فَأجَبْنا وَأَطَعْنا (ثلاثَ مرار). فيُقالُ لَهُ: نَمْ، قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أنَّك تُؤمنُ به؛ فَنَمْ صالحًا، هذا مَقْعَدُكَ منَ الجنَّة. وأمَّا المُنافقُ - أو المُرْتابُ - فيقولُ: لا أَدْري، سمعتُ الناسَ يقولون شيئًا فقلتُ، فيُقالُ لهُ: أَجَلْ، على الشَّكِّ عشْتَ، وعليه مُتَّ؛ هذا مَقْعَدُكَ منَ النَّار».

ثمَّ أَمَرَهُمْ -ﷺ- أنْ يتعوَّذُوا منْ عَذَابِ القَبْرِ[(٥)].

قالتْ عائشةُ: فكان رسولُ الله -ﷺ- بَعْدَ ذلك يتعوَّذُ منَ عذابِ القَبْرِ.

وسبحانك اللهُمَّ وبحمْدكَ، أشهدُ أنْ لا إله إلاَّ أنت، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك.

---

(١) رواه البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٦١٩).

(٢)، (٣) النسائي (١/ ٢٢٢).

(٤) مسلم (٣/ ٣٥).

(٥) البخاري (١٠٥٠).

خطبة في الاستسقاء

إن الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ فإنّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ـ ﷺ ـ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلّ ضلالةٍ في النّارِ.

أمَّا بَعدُ، أيُّها الناسُ، إنه ما مِنْ بلاءٍ يَحلُّ بالمسلمين إلا بذنبٍ، وما رُفعَ إلا بتوبةٍ.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

أيهـا النـاس، إنَّ الذُّنوبَ تُحْدِثُ في الأرضِ أنواعًا من الفسادِ في المياهِ، والهَواءِ، والزُّروعِ، والثِّمارِ، والمساكنِ. قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

ومن آثارِ الذُّنوبِ حِرْمانُ الرِّزْق، وما اسْتُجْلِبَ رزقٌ بمثلِ تقوىٰ اللهِ، واجتناب المعاصي، فتقوىٰ اللهِ سببُ الفلاحِ في الدُّنيا والآخرةِ.

أيُّها الناسُ، علينا أنْ نَعُودَ إلىٰ اللهِ عَوْدةً صادقةً، ونتوبَ إليه توبةً نَصُوحًا، فإنَّ التوبةَ سببٌ للمتاعِ الحَسَنِ، ونُزُولِ الأمطارِ، وزيادةِ القُوَّة، والإمدادِ بالأموالِ والبنين.

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

وقال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علىٰ لسان هود: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠، ١٢].

أيُّها الناسُ، علينا أنْ نتوبَ إلىٰ اللهِ مِنْ جميعِ الذُّنوبِ، وأنْ نُحسنَ الظَّنَّ باللهِ

حينَ نَتُوبُ .

فإنَّ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ يقولُ في حديثِهِ القُدْسيِّ، كما في «الصحيحين»(١) من حديثِ أبي هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**يقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ**: أنا عندَ ظَنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذَكَرَني، فإنْ ذكرني في نَفْسِه، ذكرْتُهُ في نَفْسي، وإنْ ذَكَرني في مَلإٍ، ذكَرْتُه في ملأ خَيْرٍ مِنْهُم، وإنْ تقرَّبَ إليَّ شِبْراً، تقرَّبتُ إليه ذِراعًا، وإن تقرَّب إليَّ ذراعًا، تقرَّبتُ إليه بَاعًا، وإنْ أتاني يَمْشي، أتيْتُهُ هَرْوَلَةً».

أيُّها الناسُ، إنَّ مِنْ حِكَمِ اللهِ في الابتلاءِ أنْ تَتَيَقَّظَ النفوسُ، وتَرِقَّ القُلُوبُ بَعْدَ طُولِ غَفْلةٍ، فتتوجَّه الخلائقُ إلىٰ ربِّها، يتضرعُون إليه، ويدعونه رغبًا ورهبًا، يرجون رحمَتَهُ، ويخافون عذابه، فيجدون في ظلِّ الضَّراعة، والمَسْكنة والإنابةِ إلىٰ اللهِ ـ الطُّمَأْنينة والرَّاحةَ، والأَمَلَ في الفَرَجِ والوَعْدِ بالبُشْرىٰ.

وكفىٰ بالتضرُّعِ دليلاً في الرُّجوعِ إلىٰ الله، وأَمَلاً في الفرَجِ مِنْ عِنْده، فلا يُرجَىٰ في الشَّدائدِ إلا اللهَ، ولا يُقْصَدُ في المُلمَّاتِ سِواهُ، فلا يُلاذُ إلا بجَنَابِهِ، ولا مَلْجأَ مِنْه إلا إليه.

فهو ـ سبحانه وتعالىٰ ـ يُجيبُ المُضطرَّ إذا دَعَاهُ، ولو كان مُشْركًا، فكيف إذا كان مُسْلمًا عاصيًا مُفرِّطًا في جَنْبِ اللهِ؟!، بل كيف إذا كان مُؤْمنًا بَرًّا تَقيًّا؟!

قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**﴾ [النمل: ٦٢].

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

قال القُرْطُبِيُّ ـ رحمه الله ـ:

«ضَمِنَ اللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ إجابةَ المُضْطَرِّ إذا دَعَاهُ، وأَخْبَرَ بذلك عَنْ نَفْسِهِ، والسَّببُ في ذلك أنَّ الضَّرورةَ إليه باللَّجَإِ ينشأُ عَنِ الإخلاصِ، وقَطْعِ القَلْبِ عمَّا سِواهُ، والإخلاص عندَّه ـ سبحانه ـ موقعٌ وذِمَّةٌ، وُجِدَ مِنْ مُؤمنٍ أو كافرٍ، طائعٍ أو فاجرٍ»[1].

وسُبحانَك اللهُمَّ وبحَمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوبُ إليك.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٣/ ٢٢٣).

فهرست الموضوعات

فهرست موضوعات الجزء الثاني

الموضوع	الصفحة
العقيدة	
الخطبة الأولى... نواقض الإسلام	٣٦٧
الخطبة الثانية... نواقض الإسلام	٣٧٥
الخطبة الأولى... التوكل	٣٧٩
الخطبة الثانية... ثمرات التوكل	٣٨٨
الخطبة الأولى... علام يقتل أحدكم أخاه؟	٣٩٢
الخطبة الثانية... علام يقتل أحدكم أخاه؟	٣٩٩
الخطبة الأولى... لزوم جماعة المسلمين	٤٠٣
الخطبة الثانية... لزوم جماعة المسلمين	٤١١
الخطبة الأولى... معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة	٤١٦
الخطبة الثانية... معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة	٤٢١
الخطبة الأولى... مخالفات في العقيدة	٤٢٧
الخطبة الثانية... مخالفات في العقيدة	٤٣٥
الأدب والرقائق	
الخطبة الأولى... الإخلاص	٤٤٠

الخطبة الثانية... علاج الرياء	٤٤٨
الخطبة الأولى... متابعة الرسول	٤٥٢
الخطبة الثانية... وسائل معينة على الاتباع	٤٥٩
الخطبة الأولى... أمراض القلوب وعلاجها	٤٦٣
الخطبة الثانية... علاج القلوب	٤٧٢
الخطبة الأولى... علاج الهم والحزن	٤٧٦
الخطبة الثانية... الدعاء العلاج الأعظم للهم والحزن	٤٨٣
الخطبة الأولى... الدعاء	٤٨٧
الخطبة الثانية... أوقات يستجاب فيها الدعاء	٤٩٦
الخطبة الأولى... التوبة	٥٠١
الخطبة الثانية... شروط التوبة	٥٠٩
الخطبة الأولى... خصائص يوم الجمعة	٥١٣
الخطبة الثانية... خصائص يوم الجماعة	٥٢١
الخطبة الأولى... تفسير سورة ق	٥٢٥
الخطبة الثانية... تفسير سورة ق	٥٣٢
الخطبة الأولى... أسباب الرزق	٥٣٤
الخطبة الثانية... أسباب الرزق	٥٤٠
الخطبة الأولى... الحقوق الزوجية	٥٤٤
الخطبة الثانية... في حقوق الزوجة على زوجها	٤٥١
الخطبة الأولى... تربية الأولاد	٥٥٦

الخطبة الثانية... موعظة لقمان لولده ٥٦٣
الخطبة الأولى... الحجاب في الكتاب والسنة ٥٦٦
الخطبة الثانية... الحجاب في السنة ٥٧٢
الخطبة الأولى... ولا تقربوا الزنا ٥٧٦
الخطبة الثانية... ولا تقربوا الزنا ٥٨٣
الخطبة الأولى... حكم الغناء ٥٨٧
الخطبة الثانية... حكم الغناء ٥٩٤
الخطبة الأولى... حقيقة الظلم ٥٩٩
الخطبة الثانية... حقيقة الظلم ٦٠٧

الأخــــلاق

الخطبة الأولى... مكارم الأخلاق ٦١١
الخطبة الثانية... مقتطفات من الشمائل المحمدية ٦١٩
الخطبة الأولى... بر الوالدين ٦٢٣
الخطبة الثانية... آداب التعامل مع الوالدين ٦٣١
الخطبة الأولى... الصبر الجميل ٦٣٦
الخطبة الثانية... الأسباب المعينة على الصبر ٦٤٥
الخطبة الأولى... من أحكام السلام ٦٤٩
الخطبة الثانية... من أخطاء الناس في السلام ٦٥٧
الخطبة الأولى... الأمر بحفظ اللسان إلا من الخير ٦٦١

الخطبة الثانية... الأمر بحفظ اللسان إلا من الخير ٦٦٨

خطب في المناسبات

خطبة عيد الفطر المبارك ٦٧٢

خطبة عيد الأضحى المبارك ٦٨٣

خطبة الكسوف والخسوف ٦٩٤

خطبة في الاستسقاء ٧٠١

فهرست الموضوعات ٧٠٥

من إصداراتنا
لأبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

* فن الحوار.
* التاج المفقود.
* طريقنا للقلوب.
* نعمة الأخوة.
* ملك القلوب.
* منتقى الأشعار.
* تسهيل البلاغة.
* منتقى الفوائد ١/٢
* كيف تنال محبة الله.
* صيد الخواطر
* الخطاب البليغ في جماعة التبليغ.
* الصحيح من الأثر في خطب المنبر.
* حادي الصديق إلى بيت الله العتيق.
* المنتقى من الأحاديث القدسية.
* نزهة الأحباب شرح منظومة الاداب.
* تحفة الخطيب (أصول الخطابة - آدابها - صفات الخطيب).

التوزيع في القاهرة: العربية للتوزيع خلف الجامع الأزهر
شارع الإمام محمد عبده - أول درب الأتراك - ت: ٥١٢٠٦٢١ / ٠٠٢٠٢

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤١١٩١٠-٠٢-٥٢٢٢٠٠٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

دار القمة لتوزيع الكتاب والشريط والسي دي

0 001986 505558